الجزء الثاني عشر من قصة فارس الطراد

من زلزل جميع الاوهاد وأذل

من في الحصون والاوتاد وحير

العقول وفتت الاكباد

وأذل كل بطل من

الابجـــــاد أبو

الفوارس

عنتر بن

شداد

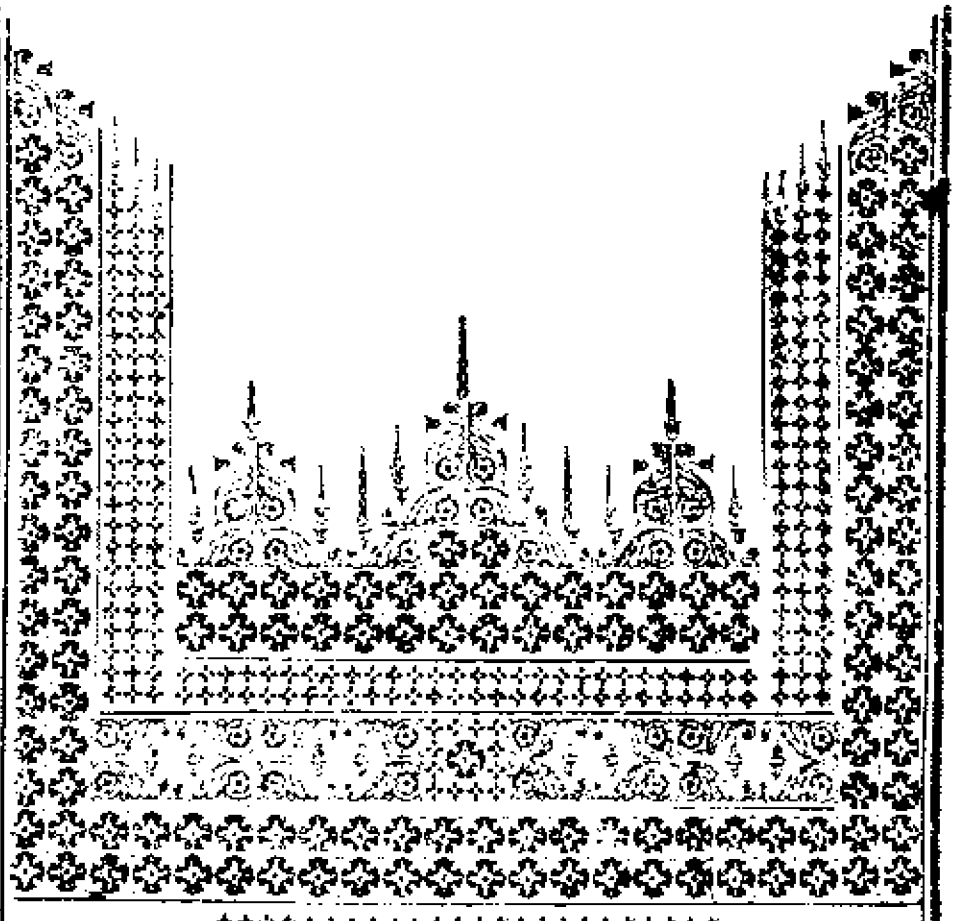

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ولقد قضيت شهوتي وفرجت عني كربتي وأنقذتني من هلاك مهمتي ولكن ياشيبوب اذا ركبت أنا هذا الجواد ما الذي يركبه رفقتي فعندها حدثهم بحديث الحجورة والمهارة التي رآها في وادي الجماجم ووصفها لهم وقال رأيت من الرأي انكم تتبعوني حتى أدلكم عليها من جهة بني فهان وأدعكم تسوقونها وتذبحون العبيد الذين عندها وتطلبون الديار مادام الليل راخي الاستار فقال عنتر وبلك ياشيبوب كيف نترك زبد الخيل الذي فعل هذه الفعال بأخي عامر بن الطفيل سالما ولم نذقه ألم التعب والويل فقال شيبوب الرأي عندي انكم تمضون وأنتم سالمون وأما ان أثرتم حربا لقيتم تعبا وكربا والصواب عودتكم وأنتم رابحون من كل

جانب حتى لا يغركم الطمع بحبال الدوائب وتجتمع عليكم
المواكب والكتائب وتقصدكم العرب من كل جانب وترجعون
تخاطرون بأنفسكم حتى تخلصوا أرواحكم وتفوتوا الغنائم ويعود
كل واحد منكم وهو نادم فقال الخطيئة الشاعر يا شيبوب لقد
صدقت ولا يقع موضع الخسران الا من انقطع أمله ودنا أجله وأما
زيد الخيل أنا أعلم انه اذا أصبح الصباح وأبصر ما قد جرى عليه تبع
آثارنا مع جميع قبائل العرب من بني طي وسار خلفنا الى ديارنا لانه
يعد نفسه بالبطل العظيم وأبوه المهلهل رجل مطاع كريم في هذه
الديار وله عز ومقدار ونحن اذا صح هذا الحساب وسار معنا الى ديار
بني عامر بلغنا المقصود ولو جاء الينا أهل عاد وثمود قال فلما سمع عنتر
هذا الكلام قال لاخيه شيبوب دعنا الساعة من هذا الملام وسر
بنا حتى نسوق الخيل الذي ذكرتها ونرجع ومن تبعنا كان لنا وله
حساب يسمع فسار شيبوب قدامهم على الطريق الذي أتى منه
وما مضى من الليل ساعة حتى حطهم على وادي الجماجم من
ناحية بني نبهان وفرقهم ثلاث فرق حتى لا يفلت من الوادي انسان
وحملوا على الخيل في ظلام الليل فساقوها بعد ما قتلوا العبيد الذين
كانوا عندها وساروا في عرض القفار يطلبون الاهل والديار
وشيبوب يخالفهم الطرقات الى ان أصبح الصباح وغاص بهم
في السباسب والبر الاقفر وقال اعلموا ان الانسان ينال بالتدبير
ما لا ينال بالصارم الذكر وصار يدلهم على الطريق الواضح ويجدهم
السير في البراري والقفار طالبين الاهل والديار قال وركب زيد
الخيل كما ذكرنا وجرى ما وصفنا وعاد راجعا كما قدمنا ومن مشورة
أبيه المهلهل نزل والنار في قلبه تلتهب وتشتعل وأرسل الى سائر

العرب من بنى طى وطاب منهم النجدة على بنى عامر وأقام يتأهب لهما وأما عامر بن الطفيل وعنتر بن شداد ومن معهم من الرجال الاجواد فانهم ساقوا الخيل وأوصلوا سير النهار بسير الليل وكان عنتر قد اشتاق الى عبلة واقلقه الهوى وتباريح الجوى وكلما لاح له نور الصباح يهيم ثم يحيا اذا هب عليه نسيم محبوبته عبلة عند الدجا فتنفس صعدا وأبدى الوعة قلبه وأنشد يقول

كيف اصطبارى وطيب العيش مسلوب

بعد الانيس ودمع العين مسكوب

شوقا ووجدا وأشواقا مؤبدة ✽ وبعد ألف غدا بالبين محجوب

ولوعة كل وقت لا انقضالها ✽ بين الضلوع لها وهج وتلهيب

وعبلة قد ناها البعد عن نظرى ✽ وقد غدوت حزين القلب متعوب

ياعبل لو عاينت عينا كما صنعت يدى الفراق بات متعوب

يكفيك لى رحمة ياعبل حين غدا ✽ تأتى المزار بنار الوجد ملهوب

يابنت مالك أشواقى اليكى لها ✽ تاجج فى سويد القلب مصبوب

ان كنتى جاهلة ماقلته فسلى ✽ يوم النزال وذيل الحرب مسحوب

فى يوم كنا على وادى الجماجم فى ✽ حرب تصير لها شيبا نهاشيب

والخيل قد رجعت من خيفتى هربا

والسيف بالدم مصبوغ ومخضوب

سلى الفوارس عنا يوم قام لنا ✽ سوق النزال وأضحى الليث مرعوب

وقد أخذنا الخيل القوم حين بغوا

حتى غدوا بين مقتول ومنهوب

وعامر كيف خلصناه حين غدا ✽ عنا أسير عن الابصار محجوب

اذ تعلمى أنى عزم أقدم به ✽ كل الجموع اذا ما اقرن منهوب

كم من كمى قد صيرت مهجته

يوم الكريهة رزق الوحش والذئب

لوان عين القضا قرن ينازلنى * صيرته فى رحاة الحرب مغلوب

(قال الراوى) ثم انهم سارو اوجدوا فى المسير حتى أشرفوا على ديارهم والمنازل فقاصد عنترة ان تبان له الخيام ويرى عبلة حتى يبل شوقه منها ويقبلها تحت اللثام وبين عينيها فلما قابلها سألها عن حالها وكيف كان مقامها فى ديار بنى عامر فقالت والله يا ابن العم مازلت طيبة العيش فى حظ وافر وما برحت من عندى كبشه أم عامر تؤانسنى وتهون علينا أسباب الرد أو الخطر وأما بنى عبس فانهم انقطع منهم الاثر وما ترك لهم دير بن الصمه ذكرا يذكر ولهم ثلاثة أيام وهم يرسلون فى طلبك وأتى من عند الملك قيس جماعة من الرسل يسألون عنك وأنا أردهم خائبين وأقول لهم والله ما أدرى أين مضا من حيث أنفذ أحمال الخمر وقد سمعت يا أبا الفوارس انهم فى شدة شديده وعمارة بن زياد أسره دريد وأنزل به كل مكيده وقد عول على صلبه اذا فرغ من بنى عبس وينزل به التعس والنكس وقد حلف انه لا يبقى عليه ولا على بنى زياد كلهم ولا يترك منهم أحدا فى الفلا لانهم كانوا السبب فى هذا البلاء فقال عنترة أنا أعلم شؤمهم تغطى على الملك قيس واخوته وأما أنقاذهم خلاصى وأرسالهم الى فأنا منهم وماهم منى وما بقابينى وبينهم قرابة وما طردونى الا أنفة على أنفسهم من عبوديتى فبأى وجه ينفذونى ثم أقام عند ابنة عمه يطفى نار اشواقه كلما نظر اليها ويبل شوقه منها ويقبلها بين عينيها قال هذا ما جرى من حديث هؤلاء من الامر والشأن وأما ما كان من حديث بنى عبس وعدنان فانه كان حديث عجيب وأمر

غريب نسوقه على الترتيب بعدما نسمع من يصلي على النبي الحبيب لانهم سمعوا انه دريد سالم من طعنة عماره وانه جمع قبائل العرب وعول على غزوهم ويطالبهم بدم أخيه عبدالله فتفكروا في ذلك ولم يصدقوا بل رجعوا واتفق رأيهم على ارسال الجواسيس الى بني جشم وهو اذن وكشف الاخبار عن حديثهما فأرسل الملك قيس ثلاث عبيد من عبيده وأوصاهم بسرعة العوده فساروا وغابوا أياما وعادوا يخبروا بصحة الحديث الذي بلغهم عن دريد انه صحيح وانه قد جمع فرسان القبائل وأتى في خمسة عشر ألف مقاتل سوى الطماعة والنهابة وانه قد سار الى نحو بنا طالب قتالنا وقد كاتب اللقيط بن زراره وقال له التقيني على بني عبس الذين قد نزلوا على بني عامر حتى أخرب ديارهم وأخذ منهم الثار قبل قبائل العرب ما تعايرنا بلباس العار قال فلما سمع قيس ذلك المقال اندهل وتحير وجمع وجوه العرب وأخبرهم بذلك الخبر وقال يا بنو اعمي هذه خمسة عشر ألف فارس سائرين الينا وفيها مثل دريد بن الصمه وسبيع بن الحارث وألم نحسن التدبير والا وقع بنا الهلاك والتدمير فقال بعض الجواسيس يا ملك سبيع بن الحارث لا تخافون منه فانه مريض جريح وقد تخلف عن المسير مع دريد لانه غزا الى بلاد اليمن مع خمسمائة فارس وأغار على الملك الريان بن معمر صاحب أرض العنبر وأخذ أمواله ونوقه وجماله ولما عاد تبعه في خمسة ألف فارس وأرادوا خلاص الغنيمة فما قدروا على ذلك وكسرهم وقتل أكثر فرسانهم المذكوره وعاد وفيه ثلاث جراحات وقد وعد دريدا انه يلحق به اذا برئ من جراحه فقال قيس الله لا يشفيه ولا يبرئنا وجهه لانه والله لا يلتقا ولا يخاف جيشا عند اللقاء وهذه محنه أعاذنا الله منها ولا بقا

الا التدبير لان الموت قدم الحريم والاجتهاد فى دفع الغريم فقال الربيع مرادنا نعلم ما فى نفوس بنى عامر ان كانوا يعينونا أو يتخلوا عنا فقال الملك قيس بنى عامر لا تراسلهم ولا تبعث خلفهم فأنا أعلم انهم علينا أحقد من الاعداء ولو قدروا على أذيتنا ما تركونا الى غداه والصواب انا نأخذ حذرنا منهم ونترك لنا عليهم عيون وأرصاد قبل ان يدهمنا دريد ويقع القتل والجلاد لانى أعلم انه اذا قارب أرضنا أرسل لهم مرسال ودبر واعلى قلعنا ثم اخذ قيس فى التدبير والتأهب للحرب وصار يبات ويصبح متفكرا يقاسى الهم والكرب قال فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الكلام وأما كان من دريد فانه لما برئ من جراحه جمع له من قومه خمسة عشر ألف فارس من كل قوم مداعس وسار بهم يجد المسير فى ذلك العسكر الجرار والبحر الزخار بهمة لا تقاس بالهم وعزم لو صدم به جبل لاهتدم قال ولما أبعد عن أرضه وأبصر طول عسكره وعرضه فرح بذلك وجد فى مسيره وهو ينشد ويقول

أتتنى جياد الخيل عن أم معبدى * بعاقبة أم أخلفت يوم موعدى
وبانت ولم أحمد لديك جوارها * ولم تدع فينادرة اليوم أو غدى
كان حول الحى اذ طلع الضحا * تنامفه السفنا وعصبة مزودى
فقلت لهم ظنوا بألف مرجع * سراتهم وافى السوائر المشردى
أمرتهم وا أمرا بمنوج اللوى * فلم يستجيبوا النصح منى الى غدى
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى * غوايتهم أوانني غير مهتدى
وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد به غير أرشدى
تناخا وقالوا أردد الخيل فارسا * فقلت اعبد الله أخى وأرشدى
فان كان عبد الله أخلا مكانه * فان كان وقافا ولا طايش اليدى

تراه خميص البطن من غير حاجة
عنيدا وبغدوا فى الحروب ويرشدى
فطارت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد
دعانى أخى واخيل بينى وبينه * فلما دعانى لم يجدنى بنجدى
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت
الى ان علا من حالك الليل أسودى
فما زلت حتى جرحتنى رماحهم * وعدت رهين فى البقاع ممدد
فعال امرىء أفدا أخاه بنفسه * ويعلم ان المرء غير مخلد
وأهون وجدى انى لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى
أعاذل كفا بعد لومك مقصرا * وان كان علم الغيب رأى فأرشدى
أعاذل ان الدهر هالك خالد * ولا عز فيمن أهلك الدهر عن يدى
فقالت الا تبكى فقلت وما البكا * عروف يا حداة للزمان المبدد
أعاذلتى كل امرىء منه مانع * كزاد منع من ركب غير مزود
قال ومازال يقطع الفجاج ويسير بهذا الجيش الذى يحاكى البحر العجاج حتى بقا بينه وبين أرض بنى عامر ثلاثة أيام وقال لاخيه خالد كن أنت مقدم القوم فى المسير وأرفق بهم حتى أتقدم بين أيديكم وأزور الاخوص بن جعفر سيد بنى عامر وأسأله عن بنى عبس ومن أنجدهم من العرب وهل علموا بمسيرنا اليهم أم لا واسمع ما يقول فى حقهم وان كان يشق عليه هلاكهم أو يسره لان الملك النعمان قد أوصاه بهم واكشف سائر الاحوال قبل الحرب والقتال حتى لا يبقا من بنى عمنا كلام ولا ملام قال ومن وقته ساعته اذ عا بعشرة من الرجال وكانوا هؤلاء الرجال من أولاد عمه الذى يعتمد عليهم لاجل كشف همه وغمه فركبوا وساروا وكان

بينهم وبين جذع الطواف يوم أو بعض يوم فأجهدوا في مسيرهم وركضوا بالخيل وكان مرادهم الدخول في الليل حتى لا يعلم أحدا بهم ويعودوا الى عساكرهم قال وسار دريد مع العشرة فرسان الى ان قرب من الديار فسمع حس رجال وركض خيل فقال لقومه اكشفوا الخبر وما هؤلاء القوم الذي سائرين في ظلام الليل المعتكر فاتم كلامه حتى أتى منهم فارس وسار قدامه وقال لهم من أنتم من الفرسان وكيف انكم سائرين تحت ستور الظلام قال وكان هذا الفارس الذي يخاطبهم الربيع بن زياد وكان السبب في ذلك الايراد ان الملك قيس من حين ما سمع بركوب دريد أمر الربيع بن زياد ان يأخذ في ليلة مائة فارس ويبعدهم في الصحرى ولم يزال كذلك الى الصباح وكان تلك الليلة دائر ومعه المائة فارس ولم يزالوا سائرين لى ان مضا من الليل الربع الاول فأراد أن يرجع فسمع حس رجال تركض على الخيل والى تلك الديار قادمه في الليل فقال الربيع لمن معه نظرتم الذي أنا ناظره فقالوا بلى يا أمير هذه خيل الى عندنا قادمه وقاصده فقال الربيع ما يكشف خبرها الا أنا ثم انه حرك جواده حتى قارب الخيل وأنتم بإسناده تعلموا ما كان في الربيع من المكر والخبث والخداع الا انه لما قارب الخيل وسألها فتقدم اليه دريد وقال له يا أخا العرب انا قوم من بلاد اليمن وقد أتينا برسالة للاخوص بن جعفر فأنتم من تكونوا فان حذاقة الربيع استغنا دريد ولكنه ما حققه بل انه استند على الاقوى وقال له يا وجه العرب ونحن من بني عامر والمقدم علينا غشم بن مالك وانا كل يوم وليلة نخرج ونطوف أطراف الجبال فنتنظر فارس الاقطار ومشيع الاطيار دريد بن الصمه لان مقدما ألزمه النعمان أن ينزل أعدائه

فى جواره وهم بنو عبس الذين قتلوا خالد بن جعفر وتركونا عليه
فنكسر ومن حرارة مقدمنا فى كل وقت من الاوقات يغرق الفرسان
فى سائر الطرقات لاجل كشف أخبار راحات الحرب وشيخ العرب
دريد بن الصمه وهانحن سائرون مع أخيه طراد فى مائة فارس أجواد
وقال لناسير وا فى الليل ولاتتركوا الصباح يصبح عليكم الا وانتم
فى أرض بعيده حتى لايعلم بكم أحد من بنى عبس وأيما القيتم شيخ
العرب دريد استشيروه على الخبر ولاتتركوه يقر فى المنازل لايفوته
ماهو مأمول ونحن كاترى مجدين فى هذه الامور فأنتم من تكونوا
من العرب وأى أرض أنتم طا البور تحت ظلام الغيهب فقال دريد
وقد فرح فرحا شديدا أبشروا وجه بنى عامر فقد قرب عليكم
الطريق ووصلتم الى من أرسلتم اليه بلا تعويق فأنا دريد بن
الصمه وتركت خلفى عساكر الا القيعان أتقام ابنى عبس
والملك النعمان ولو كان معه سائر العربان وما جئت أرضكم
الا بهذا المعنى زائرا ومستخبرا والا ما كنتم لقيتمونى قريبا من الديار
وكنت عدت الى قومى وما أضيع تعبى ولابد من زيارة ابن
عمى الاخوص بن جعفر لان زيارته واجبة على وهى مثل الفرض
فعد الى صاحبك طراد واعلمه بما سمعت حتى نعود جميعا وندبر
على هلاك أعدائنا رفيعا ووضيعا فعندها عاد الربيع وهو ينادى
بمكره ودهاه أبشروا يابنى عمى فهذا دريد سيد العرب أتاكم زائرا
ولكم معينا وناصرا ومعه قبائل وعساكر لم تدع من بنى عبس سالما
ولا ناظرا ومازال كذلك حتى صار مع بنى عبس وقال لهم يابنى عمى
أبشروا بالنعمة فهذا دريد بن الصمه ومعه عشرة فوارس وطالب
أرض بنى عامر ليدبر على قلع آثارها وخراب ديارها وأخذ أموالها وسبى

حريما وعيالنا وقد جرى لى معه كذا كذا والصواب انكم تقهرون
الفرج عن قتاله و يترجل اليه منكم عشرون فارسا ونكن قد ملكناه
ونحمل بعد ذلك على الخيل التى معه والا ان صحنا وطلبناه وعلم
انا من أعدائه ما نقدر عليه ولا نصل اليه لانه كما سمى راحات الحرب
ومافينا من يقدر بقتاله اذا كان متأهبا للطعن والضرب هذا ان
طلب قتالنا وان توهم انا خلق كثير نجا فى الليل وقطع خلفه الخيل
ويجتمع علينا العرب من سائر القبائل لانه ما تم فى العرب قبيلة الا وله
فيها مكرمة وفضيلة من سائر الفرسان وأرباب الضرب والطعان
(قال الراوى) فلما سمعوا كلامه قالوا له رأيك صادق وما فى الامر
غير ذلك ثم ان الربيع أخذ منهم جماعة وأتوا لى دريد وداروا
حوله ولما علم الربيع ان دريدا ما بقى له سبيل الى النجاة صاح
دونكم يا بنى عمى ثم صاح يا لعبس يا لغدنان فلما سمع دريد كلامه
اراد ان يجرد حسامه فما مكنه الربيع ومسكه وتكاثروا عليه
وقتلوا جواده ثم أخذوه أسيرا وداروا بقية بنى عبس بالخيل التى
كانت معه وقتلوا منهم ثلاثة وأسروا سبعة وعارضوا الجميع على الخيل
وعادوا طالبين بنى عبس فى ظلام الليل فلما بقى بينهم وبين جزع
الطواف ساعة من النهار تقدم الربيع وأرخى عنان جواده قاصدا الى
الملك قيس يعلمه بأسر دريد بن الصمه فلما وصل الخبر الى الملك قيس
فرح فرحا شديدا لما عليه من مزيد ركب فى سائر اخوته الى لقاء
الربيع وركبت بنو زياد الى لقاء أخيهم وفرح الحى فرحا بذلك الاخبار
وخرجوا الى أذيال الخيام الكبار منهم والصغار والتقى قيس بالربيع
وشكره على هذه الفعال وقال له يا ابن العم بهذا الفعل تنال المقصود
وتتفرق عنا العساكر والجنود وان لم يأسر دريد عساكره بالرحيل عنا

هذا منا بقتل وبريد رد العسكر وقد بريد سماع هذا الكلام فقال له يا قيس ان أردت أن تقتلني دونك وما تريد وا ترك هذا الكلام فانا أهون ما عندي شرب كاس الحمام لاني قطعت من العمر أربعمائة وخمسين عام ونفسي كرهت عمر السنين والايام وانا أعلم بعدي ما يبقى لكم ذكر يذكر ولا بد ما ينقطع منكم الا ثر لان خلفي خمسة عشر الف فارس مع أخي خالد وفي غد يكون عليكم قادم ولا أحد الا وله عندكم دم وخلفي أبي ناصري سبيع بن الحارث الذي رأيتم فعاله وسمعتم بأعماله وكذلك اللقيط بن زراره يطلبكم في بني مشاجع وأنا أعلم أن ما يطلع لكل خمسمائة رجل من أعدائكم واحد منكم اذا ثارت نار الحرب واشتد الطعن والضرب والصواب أن تقتلوني وتقتلوا كل من معي وكل من وقع في أيديكم وخذوا بثار نفسكم قبل فناكم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام احتار وعلم أنه جبار من الجبابرة الاقيال لا يبالي بقرب الاجال وما يخطر له الموت على بال فقال له أنا ما أقتلك في هذا الوقت وانما اذا قدمت هذه القبائل اللاتي هدد تنا بها وان عجزنا عنها كان لنا معك تدبير آخر ثم انه شده في بعض الخيام وأقام عليه الحرس وقال الملك قيس يا بني عمي الصواب اننا نذهب من اليوم الى غد ونسير كلنا واذا لاح لنا غبارهم نقسمنا فرقتين ونترك فرقة تنادي يا لمعيس يا لعدنان والفرقة الثانية تنادي يا لعامر الشجعان حتى يظن العدا ان بني عامر سارت معنا لاجل الجوار وانهم قبضوا على بريد لما أتاهم زأر وركب طريق الاخطار لتنفذ به الاقدار ومن لا يركب الشرائف المخطات منزلته عند أرباب المناصب فلما سمع الربيع هذا الخطاب قال له والله يا ملك أشرت بالصواب فاعلم رجائك بما خطر ببالك وابشر ببلوغ آمالك

وقوى عزمه على القتال فانصرف وقد علم سادات بقايل ان عنتر كان بناما كان نحن بعنتر فارسل الملك قيس عبيده الى رجاله وأعلم فرسانه بحاله وباشت القبيلة بتهيئة القتال ويفتقدون العدد والزرد للجمال وما أصبح الصباح حتى خرج كلامنهم الى ظاهر المضارب وترتبوا كتائب ومواكب وانقلب البر من صهيل الخيل والجنائب وبريق السيوف القواضب وركب الملك قيس فى موكب كبير من بنى عمه واقاربه ودارت حوله فرسانه وعشيرته وركب الربيع فى سائر اخوته ومافى القوم الا من خرج على نية الحرب والجلاد بعد ماوقد عزا الحريم والاولاد وساروا وهم ثلاثة آلاف فارس كأنهم الاسود العوابس وكان سيرهم بلا عجل ولا وجل لانهم سمعوا من دريدان العساكر تشرف عليهم ذلك اليوم أو غدا فوقفوا بالخيل حتى تعينهم عند اللقاء ويجاولون بها الاعدا فى الملتقاء ومازالوا وهم يقطعون الاكام حتى اعتكر الظلام فنزلوا وباتوا الى الصباح فما سمعوا للعدا خبرا ولا وقعوا على أثر فقال الملك قيس ارحل يا ناس يا ربيع فكلما بعدنا عن الاوطان والاطلال تقع هيبتنا فى قلوب التجمعان والاقيال اذا عموا باحوالنا يقولوا لولا أنهم فى غاية الاستظهار ماجبنوا فى طلبنا وساروا فى القفار فرحل الربيع فى المقدمة وتبعه الجيش وكان سيرهم فى المرحلتين الذى رحلوها دون المرحلة لفارس المجد ثم باتوا على مثل ذلك وزاد بينهم الحديث والافتكار حتى مضى الليل وأقبل النهار وساروا الى ان انبسطت الشمس فى الاقطار وساروا وقت الضحى ومدوا أعينهم فرؤا غبار وقتام قد علا وغما وصعد الى عنان السما وله جلبة ولمعان أسنة رماح وبريق صفاح وأمور تدل على حرب وكفاح وجيوش سدت

لاق وملأت الطرقات وسد البرارى والفلوات كما قال فيه القائل
هذه الابيات

جيش اذا صاب وجه الارض عارضه * أفنى المصانع آخره وأولاه
بعيد مابين أولاه وسابقه * كالبحر لاتدرك الانظار أقصاه
والسابقات تبارى تحت نارو غا * تجرى عليها من الهامات أفواه
والباشهات اذا انشرت كواكبها * رأيت أسفل ما فى الفرق أعلاه
كذا النبال تبارى عند رشقتها * مثل الجراد اذا ماسار مرعاه

فلما رأى الملك قيس ذلك قال والله ان هذه مراكب الاعدا وان صدقنى حذرى فقد وقع بينهم أمور وهذه سبب ابطائهم عنا ثم قال لبعض الفرسان يا ابن العم حرك جوادك وأتينا بالاخبار وابصرلنا ذلك الغبار حتى ندبر على قدر ماترى فيه الصلاح فانطلق الفارس عنان جواده وطلب القتام وماغاب الا قليل وعاد يركض بالجواد فقال له الملك قيس ماهذا الخبر وماحال هؤلاء فقال ياملك عالهم غير مبارك عليهم لانى مضيت خطيت أذيال الغبار أطلب من أسأله عن الاخبار واذا برجل خرج بجروح وهو يطلب أقطار السهر الاجل يشم الهوى فقلت له ياوجه العرب كيف حالكم وماهذه الطوائف المتقابلة وعلى أى شئ وقع بينهم الحرب والقتال فقال لى يافتى أما أنا فلا تسأل عن حالى فانى قد جرحت وأخذ رمحى وحسامى وقتل فرسى وأما هذه الطوائف يتقاتلون على حطام الدنيا التى يطمع فيها كل أحد والسبب فى ذلك انا خرجنا من بنى كريم ابن صارم مع صاحبنا الكليم ونزلنا على بنى غراب وتركناهم يارهم قفرا خراب وسقنا نوقهم وأموالهم والدواب ولم نترك لهم مضارب ولا قباب وعدنا نطلب الديار لنقاتل هذا العسكر الجرار الذى مانقع له على

عيارة بصر والغنائم معنا والذواب فتبادروا علينا مثل الذياب وأرادوا أخذ الاموال منا فقاتلناهم وما رأينا على أنفسنا أن نموت غنائما ولنا يومين فى هذا القتال نرد القبائل التى سبقت الاراضى والجبال وهى تضرب بنا بأمواجها من كل جانب ونحن ندافع عن أرواحنا ونمانع ولولا مارسنا وشجعنا الكليم بن صارم مارقمنا لا قاعد ولا قائم وهذه قصتنا باقى شرحتها لك وان كان عندك فرج والا أرجع من حيث أتيت فلما سمعت قصته ضمنت له النصر ورجعت وهذه أخبارهم (قال الراوى) فلما سمع ابن قيس هذه الاخبار قال لاصحابه هذه الاسباب قوة لنا وضعف الاعداء لنا ولكن الصواب أننا نقيم على ما نحن عليه من التدبير ونقسمهم فرقتين فرقة تنادى يا لعبس يا لعدنان وفرقة تنادى يا لعامر الشجعان ونحمل على هذه الفرسان لعلنا نكسرها ويكن الامر قد هان فقال الربيع هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب ورب البيت قد بعث لنا من يعيننا بغير حساب وأنا أعلم انا اذا حملنا رأى هذا الفارس فعالنا وصارت له معونة منا فانه على الاعداء يعاونا ثم انهم انقسموا فرقتين وأطلقوا الاعنة وقاموا الاسنة (قال الراوى) وكان هذا الفارس الذى قدمنا ذكره فارس مذكور وبطل مشهور من أبطال العرب الاقيال اذا عدت الابطال يذكر فى أول الرجال ويحسب من الاقيال وكانت الفرسان تسميه بحر الهلاك ومرج المنايا وكانت قصته كما ذكرنا فى هذا الكتاب وانه عند عودته من غزوة بنى غراب جرت له هذه الاسباب وقاتل عساكر دردر كما ذكرنا أول يوم الى آخر النهار ولما رأى كثرتهم طلب منهم البراز فقاتل معهم الى المساء وقتل منهم خمسة وسبعين وحملت عليه تلك الفرسان فردهم بالسيف

والسنان وحما أصحابه وثبتهم للطعان فانهم كانوا أرادوا أن يطلبوا الهزيمة ويتركوا الاعداء الغنيمة فطيب قلوبهم واوعدهم بالنصر على أعدائهم وقال لهم بالله عليكم يابني عمي اصبروا على قليل حتى أشبع من الحرب مع هذه العسكر وأترك لي ولهم حديث يتذكر مابقيت الشمس والقمر مادام انهم مقيمين على برازي وان تكاثروا على أحوالي أنتم ظهري وأنا أظاهر فيهم بحجائبي وافرجكم على طعاني ومضاربي ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوب أصحابه وباتوا يصلحون رماحهم وصوارمهم وأما خالد أخو دريد فانه لما عاد من القتال جمع فرسان القبائل والمقدمين على الجحافل وقال لهم ضيعتم اليوم النهار وأخطأتم بمبارزة هذا الفارس الجبار لان الفرسان الجبابرة ما تغلب الا بالمكاثرة ولاسيما هذا الفارس الذي أذل الشجعان ورمته الارض الينا من أبعد مكان ولا يكن ذو قوة ظاهرة ما سمي بين الفرسان بحر الهلاك والرأي عندي انكم عند الصباح اقصدوه كلكم بأسنة الرماح ثم انهبوا جسده ومن معه بشفار الصفاح والا ألقى الهيبة في قلوبكم ويكسكم عار مادام الظلام وطلع الصباح لاسيما أخي دريد وراءكم وطلبكم فكيف تفروا من فارس واحد في البرازة وعليكم عار وأنتم أبطال الجبار وأخي أراد أن يأتي بكم فرسان بني عبس وهي قبيلة قد قاومت الاعارب وهذه فعالكم من فرد فارس واحد تقطع في القفار والسباسب فلما سمعوا الابطال منه هذا المقال عرفوا المقصود من خالد فقالوا له لا تلومنا ولا تعتب علينا فقد امنا فارس دون وهذا شجاع ومثله لا يكون على ان الذي لم يبارزوه ولم يعرفه ولو عرفه ما قاربه وعند الصباح نحمل كلنا في ساتر القبائل ونقصده بالرماح الذوابل

وفجوا مرتا مع هذا الجمع اليسير وتساق غنائمهم بين أيدينا وتسير
وماصدقوا بالليل يقضي والصباح يضي حتى ثار الفرسان مثل
الاباس وقصدوا الكليم وأصحابه الالف فارس وأخذوا معهم
في القتال وطلبوهم بكل صارم فصال فعندها حمل الكليم عليهم
وجال فيهم وهو يمانع ممانعة المقاتل ويبري بسيفه الرماح
الذوابل وصارت أمواج المواكب تلطمه كيف مال وهو يخطف
الارواح من الاجساد وينثر الرؤس تحت الاقدام حتى قتل أو في
من مائتين فارس تمام وكثرت عليه الاقوام وساعدوه أصحابه من
بني كريم الكرام فما كنت ترى الا دما فائرا وجوادا غائرا ورأسا
طائره وعظمت المصائب والكبائر ودارت بهم الابطال والعشائر
ثم طلبتهم أمواج العساكر وخسرت الاوائل والاواخر وطلع الغبار
الناثر وأيقنت بهلاك الكليم وأصحابه الضمائر ولا بقي يدري لمن
يحارب ولا لمن يبادر وخالد يحس عليه العساكر وما بقي الا أخذه
باليكف فأقبل الملك قيس في أبطال بني عبس وأسنة رماحهم
جعلت ضوء الشمس وتظروا الى القتال فعملوا من سائر الجهات بعد
أن تفرقت قبائلهم ثلاث فرق وزعقت فرقة بالعبس والعدنان
وفرقة بالامر وفرقة بالغطفان أبشروا بالهلاك والخسران ويلكم
سيدكم دريد قتلناه وعلى فعاله جازيناه وقد امتثلنا أمر الملك
النعمان وقبلناه (قال الراوي) وكان هذا من تدبير الربيع بن
زياد حتى يلقي الهيبة في قلوب الاعداء والاحقاد فلما سمعت القوم
هذا الندا تفرقت في جنبات البيدا هذا وبنو عبس باعت النفوس
بيع السماح وعلامتهم الضجيج والصياح وسدّ في وجوه الجميع
أبواب النجاح حتى تثلمت الصفاح وتقصفت الرماح فانكشفت

عن الكليم الغمه وبرق برق المنايا من حسامه ولاح وتفرقت عنه العرب وأخذوا فى الهرب فقال خالد يا ويلكم يا بنى عمى تهدموا مجدكم بالفرار وستندمون اذا بانت لكم حقيقة الاخبار على ان أخى دريد سالم وعن قريب تروونه اليكم قادم فاجتهدوا فى جودة الطعن والضرب وأبشروا بالغنائم والكسب ومازال على ذلك حتى رد الفرقة المنهزمة من رؤس الجبال والتلال وقتلت الخيل هربا وشكت الرجال كربا واتبع كل انسان سبيا وجرى الدم وانسكبا ولا يلتفت الحبيب الى حبيبه وعاد الصبر منقلبا وصار النهار غيهبا وأظهر الكليم العجب لما انكشفت عنه الكرب وعلم ان هذا الاتفاق من سعادته فداتفق فصاح وزعق ولمع صارمه وبرق وسال الدم وانهرق وامتلأ غيظا ومازال الامر كذلك حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعاد كل جمع عن الآخر وافترق ونزلت بنو عبس فى وسط الاعداء وملأت جنبات الارض بالقتلى وما قتل منها الا نفر يسير وأخذ من بنى عبس خمسين فارسا أصير لان خالدا صاح فى الرجال وقال لهم كل من قدر على عبسى لا تقتله بل بشده كتاف وبحفظه حتى نفدى به أخى دريدا من الاتلاف ووقع كما ذكرنا فامتثلوا أمره ومقاله وكان هذا رحمة لهم ولما وقعت الاسرى فى يد خالد أحضرهم بعد الانفصال من الحرب والقتال وسألهم عن أخيه دريد ابن الصمه فقال له العقلاء منهم والله يا وجه العرب ظفرنا به وهو سائر الى بنى عامر وعند فراغنا من سيره سرنا الى لقاكم طمعا فيكم وقلنا قد شملكم وكان الذى كان ولولا فعالك لم شمل الناس كنا طمعنا فيكم فقال خالد ومن الذى خلفتموه فى الديار لما رحلتم لحفظ المال والعيال بعد مسيركم فقالوا له أيها السيد أهلنا فى أمان من تغير

الزمان وأكثر القبيلة تخلفت فى الابيات وما سرنا الا فى نفر قليل من
الناس وهى هذه الطائفة التى تراها. فقال خالد كذبتم يابنى الزوانى
وكان عددكم حين خرجتم من بلاد اليمن أكثر من هذا الجيش
ونحن ما سرنا فى طلبكم حتى صح عندنا أخباركم وسمعنا ان عبدكم
الذى كنتم تتكلمون عليه غضبان عليكم وان القبائل كلها
طالبتكم فقالوا له صدقت ياوجه العرب أما الذى حدثكم بغضب
عنتر فهو صادق ولكن عند مسيرنا اليكم صالحناه وتركناه عند
خيامنا ومعه الفرسان والحماة مثل مقدى الوحش وعروة بن
الورد وابن أخت عنتر لطفال وعبده أبو الموت سيد السودان
وجماعة من بنى غطفان وفرقة كانت تبعتنا من بلاد اليمن وهذه
فعال ملكنا قيس خوفا من بنى عامر لانه فزع منهم أن يضيعوا حرمته
عند غيبتنا لما بيننا وبينهم من الدما (قال الراوى) وكان السبب
فى كون العبسى قال هذا المقال خوفا على الاهل والعيال لاجل
ما سمع من المقال الا أن خالد لما سمع منه ظن انه صحيح فجرد من ليلته
خمسة آلاف فارس من الشجعان وأمر عليهم رجلا جبارا من بنى
جشم يقال له سابق بن ثابت وقال له يابن العم سر بهذا الجيش من
وقتك هذا ولا تفتر ولا تهدى لك بال أن تصبح مضارب بنى عبس صباحا
وتخاص أخى دريد ويكون انفصال الحال وبلغنا الآمال فقال له
ومن بقى فى بنى عبس حتى نبعثنى اليهم فى هذا الجيش فقال أخبرنى
بعض الاسارى ان عنترة هناك ومعه طائفة قويه فان كان الامر صحيحا
فهذه خمسة آلاف تدعهم وتكسرهم بها وان لم يكن الامر
صحيحا فانزلوا فى خيام القوم وخلصوا دريدا واقسموا مضاربهم على
الفرسان والذى يأمركم به الشيخ دريد افعلوه لانه يفعل على قدر

ما يرى فقال سابق السمع والطاعه ثم تقدم امام الجيش وسار يقطع الارض تحت اذيال الاعتكار وبقى خالد فى دون العشرة آلاف فارس ينتظر الصباح ويعد الابطال بالنصر والمال المباح فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانها لما نزلت عن ظهور الخيل عند اقبال الليل أتاهم الكليم فارس بنى كريم وشكرهم على فعالهم وسلم على الملك قيس وحياه وكان حوله سادات بنى عبس مثل الربيع بن زياد واخوته فقال لهم لا تفشوا ايها السادات أن فعلكم معى ضائع فانى ما أنساه مادامت الرماح اللوامع ولابد ما أقاتل حتى تهب جسدى السيوف القواطع لانكم احسنتم الى وفرجتم عنى الكرب على انى لو كنت أطلب النجاة كنت نجيت ولكن نفسى لم تحدثنى بالهرب وما سرت فى بنى عمى الا لاجل المعايش والمكسب وها أنا التزمت وكان الذى كان ولابد من تفريق هؤلاء القبائل والفرسان كى لا أصير عندهم حديثا على طول الزمان (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس كلامه أعجبه وقام اليه وأجلسه بجانبه وقال له يا فتى لو كان هنا انصاف كما كلما سمينا بالاسماء لانك تصير تاج على الاعداء والجيل لمن بداونحن والله ما تسمينا فى معوتك قصدا ولكنا اتفق لنا هذا الاتفاق والهدى من سعادتنا وعنوجدنا والا ما كنت تخلصت فى امسك وكانوا أعدموا رفقاتك لاجلك ولا كانت أهلك تراك فكما لك ملقيت من الحرب فى أمسك ويومك فخذ نفسك الراحة من هذا الصدام واطلب النجاة برجالك تحت أستار الظلام ونحن دعنا نقاتل من بلينا بقتاله من هؤلاء اللئام فقال الكليم لا وحق مسير الغمام لا فارقكم حتى أشتت هذه القبائل فى البراري والآكام

أواشرب معكم الكاس الذى تشربون منه والسلام فقد صار لى
على هؤلاء القوم ثارا أطلبه ودينا أخلصه ولا أتوانا عن سببه
فشكره الملك قيس والجماعة وقال بعضهم لبعض يا الجواد أخلف
الله علينا عوض عنتر بن شداد هذا الفارس وهو أثبت من عنتر
فى الحرب والجلاد ومعه ألف فارس شداد ثم قدموا لهم الطعام
وصار بين القوم حرمة وذمام وأمنوا حولهم النيران وما أظلم
الظلام حتى أخذوا فى المشورة والتدبير والحيلة فى تفريق هذه
الاعداء الجيش الكبير فقال الملك قيس الرأى عندى انا نأخذ
الراحة ساعة من الليل ونعود الى ظهور الخيل ونحفظ حريمنا
بالاحياء ونجعل قتالنا قدام الحريم بلا امتراء ولا نأمن من خالد ان
يرسل أحد من فرسان هذه القبائل حين يأتى الظلام الهائل
فيسوقون الكواعب وتعظم علينا المصائب لانهم ان فعلوا هذه
وعادوا علينا وصاروا من خلفنا وبين أيدينا عظم الامور علينا
وهذا الحساب خطر ببالى وقاربى منه نعاف وان دريد اذكر لى انه
أرسل الى لقيط بن زرارة وأعلمه انه يلاقيه على أرضنا ويشغل قلوبنا
ونحن هاهنا ويطول المطال فتهلك الحريم والعيال وتهلك ديارنا
والاطلال والاهل والعيال والذخائر والاموال وتقتضم بين
القبائل فى الارض والجبال فلما انتهى الملك قيس من هذا الحديث
علم جميع رجاله والاصحاب انه أصاب وان خاطره قد حدثه
بالصواب فقال الربيع بن زياد يا ملك لقد حسبت حسابا مناسبا
ونظرت فى العواقب نظر اللبيب بالفهم الثاقب وان كان أعداؤنا
اتفقوا على هذا الرأى المصائب فحياهم ولا بد سارت من الليل
تحت ظلام الغياهب فسر بنا أيها الملك على الاثر حتى نرى أحوالهم

وأعمالهم فلما سمع الكليم بهذا الامر العظيم قال لهم ارحلوا أنتم الساعة واطلبوا أهلكم حتى أسير أنا خلفكم على أثركم ومن تبعكم كفيتكم أمره وقطعت عمره فعندها رحل بنو عبس الكرام طالبين المضارب والخيام تحت أستار الظلام وتركوا النيران على حالها زائدة الاضرام ولم يعلم بهم أحد من الانام لانهم جرائد على الخيول الجياد وتخلف بعدهم الكليم ومن معه بسيوف حداد ورماح مداد ولما أصبح الصباح صبحت قبائل العرب أرضهم فلم يجدوا لبني عبس خبرا فاذهل خالدا وتحير وعلم انهم طلبوا الديار فعندها أقبل خالد على رفقاه وبني عمه وأقرباه وقال لهم لا بد ان بني عبس علموا بمادبرناه ونسوه وابخبر الجيش الذي سيرناه ورحلوا على أثره خوفا على مالهم وحريمهم وعيالهم ونريد نحن أن نلحقهم والاضيقوا على دريد لانهم علموا ان المصائب من أجله فساروا عليه باسم الهزيمة وهانت عن خلفهم نجد في طلبهم ومتى أدركناهم نعول على هلاكهم وفناهم ثم انه ركب وركب ذلك الجيش الجرار الذي كأنه البحر الزخار وفي قلبه على أخيه دريد لهيب النار وجدوا على هذا الحساب في الروابي والهضاب وكان أول من أشرف على خيام بني عبس ثابت بن وائب الذي سار في الاول يطلب خلاص دريد من الاثر والعذاب فلما قرب من الاحياء فرق الجيش في سائر الجنبات وانتظر أن يخرج اليه أحد من بني عبس لقتاله فلم ير الا دون المائتين فارس ظهرت في اذيال الخيام وهم مع نوفل أخو الملك قيس الا انه لما رأى تلك المواكب والكتائب تفرقت من كل جانب وأحاطت بالحريم وصارت بين المضارب ورفعت الصياح من المشارق والمغارب ورجفت قلوب الفرسان على فقد

الجنائب وانقلبت الدنيا بضجيج البنات الحكواعب واختلطت
الاحرار بالعبيد وقاتلوا القتال الشديد ومانعوا عن الحريم والعيال
وقد ظهرت من سابق واصحابه الاهوال فصاح وأعلن بالصياح
وقال عليكم بأبيات الملك قيس باستعجال فما يكون سيدكم دريد
الا هناك فيمن معه من الرجال ومتى خلص انصلح الحال وبلغنا
الآمال فعند ذلك مالت الابطال وعظمت الاهوال وركضت بين
الاطناب الخيل والرجال واشتد على الملك قيس القتال وبرقت
النصال فما كان أكثر من ساعة على هذه الاحوال حتى أقبلت بنو
عبس مواكب وسرب وطلع غبارهم مثل الروابع ورأوا القتال دائرا
بين أطنابهم وشائع فصار الغيظ في قلوبهم متتابع وصاحوا صياحا
منكرا وأقبلوا مثل موج البحر اذا ذخر وفي الحال صاروا مع أعدائهم
في الخيام وحارت الافهام وأظلمت الاقطار مثل القتام وما
تضاحا النهار حتى عادت بنو جشم الى القفار وأخرجتها بنو عبس من
خيامهم قوة واقتدار وذهبت منها نفوسها وطيرت رؤسها وأدركها
فارس بني كريم في ألف فارس المقدم ذكرها ورأى القتال يعمل
وأقبل هو ورفقته وجدوا الطعن والعراك واشرف بنو جشم وبنو
هوازم على الهلاك وعلمت انهم مايقاتلهم من الموت فكاك وقاتل سابق
قتالا شديدا وكثرت الالام بينهم والبوائق وما نجا الا من كان جواده
سابق وهلك من نفذ فيه الحمام الماحق وانقسمت الواكب في سائر
الجنبات ونفخ على بني هوازم وجشم بوق الشتات وبقوا
في هزيمتهم حيارى وبعد الربح عادوا في خساره وفي ذلك الوقت
أشرف عليهم النقيط بن زراره في خمسة آلاف فارس من كل مدرع
ولابس وورا غبار الحرب تأثرا وتمام المعمعة فأثاروا عليه وحملوا

على بنى عبس وطلبوهم من كل المواضع لانهم حارسون أنفسهم باشد الموانع ودارهم لا يقصدها الا من له على بنى عبس ثار وقصد هلاكهم والدمار وكان عندهم علم ان دريدا يلقاهم فى تلك الارض كما تقدم الحديث فقصدوا الغبار ومالوا اليهم من سائر الجهات والاقطار فلما نظرهم بنو جشم مالوا اليهم وأخبروا اللقيط بحال سيدهم دريد وأن أخاه خالدا أرسلهم لاجل أن يخلصوه من أسر بنى عبس فلما سمع اللقيط ذلك الكلام صاح فى أبطاله وحسهم على حرب بنى عبس وركب فى أوائلهم جواد الدوبه وقلبه ملان بالحنق والحرق لانه اذكرنا سابقا ما بينه وبين بنى عبس من الثار وما جرى لهم من الحرب القديم خوف العار فطلب بنى عبس بفرسانه وحمل عليهم بشجعانه وكان قد وصل معه عشرة من اخوته لانهم كانوا تسعة عشر اخا من أم واحدة وأب واحد والكل فرسان وابطال خبيرون بالطعن والنزال ورماحهم طوال فتفرقوا خلف المحاربين فى رؤس الجبال وعاد بنو عبس خوفا على الحريم والعيال واجتمعوا المار وذلك الجيش الذى كالرمل السيال والتقوا أعداءهم على هذا الحال وصاح الملك قيس يا بنى عمى هذا اللقيط بن زراره أتانا بهذا الجيش الكبير فاقتلوهم قبل أن يصل الينا الذى تركناهم خلفنا فيكثر علينا العدد وتشتد مصائبنا وعلى الحقيقة اهتزت أرض جزع الظواف وتزلزلت النواحى وملئت البطاح وبيعت النفوس بيع السماح وانحطمت الرؤس والاكتاف وقطعت الايادى والاعضاء من خلاف وفزع الجبان من الموت وخاف وحمل الكليم فى بنى عبس وعدنان وصار يقاتل بالسيف والسنان وكان بحر الهلاك وموج المنايا كاسمته الفرسان فقتل فى بنى دارم وأذاقهم الهوان ومازال

القتال

القتال يعمل حتى تضاحا النهار وبنى عبس على قلة عددها فانلت ونصحت فى قتالها لانها أيقنت بهلاكها وبالها وفى تلك الساعة وصلت عساكر دريد مع أخيه خالد وقد ذكرنا انها عشرة آلاف الا انها لما رأت الغبار تاير والحرب دائرة رحلت وطلبت القتال وما أحجمت وكانت بنو عبس من القتال وتعبت عند ذلك عادت الى الخيام وقد أظلم على الناس الظلام وبات بنو عبس سكارى من الصدام أقوى مما يسكر من شراب المدام ولما أخذوا الراحة واستقروا فى الخيام أخذوا فى المشورة والتدبير وكانت قلوبهم قوية بالكلام لانهم أبصروا منه شيأ ما أبصروه من غيره هذا والملك قيس أعرض عليه الاموال والخيل وأن يأخذ ما أراد هو وقومه ويعول على الارتحال فى الليل فأبى وقال وحق من جعل الليل سكنا والبر معاشا وفى علم غيبه قد احتجب لارحلت عنكم ولا ذكرت ديارى حتى أبصر آخر امركم كيف يكون مع الاعداء واجعل روحى وروح أصحابى لكم الفداء فقال الكليم اعلم يا ملك انى من قوم يحفظون الوداد ويعرفون حق الزاد وعند الصباح أن أخرج الى البراز وأطلب منهم الانصاف فان بارزونى بلغت منهم المقصود وبانوا فى انتظار الصباح وافتقدوا آلة العدد والسلاح وهم يدبرون أمرهم للكفاح وتقرب الكليم من قلب الملك قيس وعقل أن يزوجه بنته لما له ان تفرغ قلبه من هذه المصائب ودارت حولهم القبائل وحاطوا بهم من كل جانب والتقا خالد مع اللقيط بن زراره وأخذوا يتشاورون فى خلاص دريد فقال اللقيط عند الصباح نهجم على بنى عبس ونخلص دريدا ونحرر امر هذه القبيلة التى عدت سائر القبائل وننهب أموالهم والخلائل

ولما كان عند الصباح تبادرت الفرسان من كل جانب وضيقوا على بني عبس المذاهب وقاتلوا بني عبس في اذيال المضارب واشتدت الاهوال والمصائب وبطل خطاب المخاطب وفاضت بحار الاعداء على بني عبس سواكب لانهم اجتمعوا عليهم في عشرين ألفا ماش وراكب وأوهموهم بالصياح وأغلقوا في وجوههم باب النجاح وكان لهم يوم عظيم الشأن مما صار فيه من الضرب بالصفاح والطعن بالرماح كما قال فيه الشاعر حسان في هذه الابيات الملاح

ويوم طال فيه الافتكار * به نار بلوح لها شرار
وخيل تحرث الميدان حرثا * وأقحاف الرؤس لها بذار
ودم السيف يصب مثل سيل * ومن حد القنا تروى القفار
فشق به المفارق عن شقيق * يظل سبرقها منه انهار
ربيع لم يشم به فؤادى * ولم يشمم برائحة عذار
وقد عادت سماء النقع أرضا * بهم تهوى الى جهة القرار
هتكت بحابه ببريق سيف * ولمعمرات طي وانتشار
وطعن للقلوب به انتظام * وضرب للرؤس به انتثار
وخيل للغبار مشردات * وهامات تطير وتستطار
واجساد هنالك مطرحات * وقد أبدت أنينا واختوار

(قال الراوى) ولولا الكليم فارس بني كليم ما كانت طائفة بني عبس أتى عليها الظلام وبقي منها شيخ ولا غلام واذا كان فارس جيد في طائفة ضعيفة جاها وجرأها على الثبات الا أن الليل ما دخل حتى قتل من بني عبس أو في من مائتي بطل وباتوا وهم حيارى في غاية الخذلان يودعون الاولاد والنسوان وأما الكليم فانه قال لاصحابه يا بني عمي لو علمت أمرنا ينتهي الى هذا الحال كنت

أنقذت الى قومنا رسولا يعلمهم بما أبنا ويأتي بهم الى نصرتنا ولكن كان الذي كان رأي خالف على هؤلاء القوم الذي أكلما رادهم وصرنا بين حريمهم وأولادهم والله لا تخليت عنهم حتى تلعب الخيل برأسي وأبقى تحتهم لا أعرف ما أفاسي (قال الراوي) وقد قاتلوهم في ثاني يوم يوما كاملا وهم بين الخيام والاطناب ودافعوا عن الكواعب والاتراب وتمددت القتلا وتفتت الاكباد وصارت النساء أرامل والاولاد أيتام وما صدق بنو عبس بدخول جيش الظلام حتى تفرقوا ووقع الانفصال فقال الملك قيس للربيع بن زياد ما بقي يا بن العم الا انك تدخل على دريد بن الصمه وتسأله في الصلح وتطلقه من الاسر وان طلب منا الفداء أعطيناه ولو طلب منا ملكه لبذلناه ونطلق سبيله وينصرف عنا بهذه القبائل والا صرنا مثلا لكل قائل لانا قتلنا أخاه وعمارة أنك طعنته في أحشاه وجعله ممدودا في الفلاه وهذه الفعله ما تزول من قلبه ولا ينساها الا أن نطعمه في المال ونرق له بالسؤال والاجمع علينا كل الفرسان والابطال فانه رجل على القدر في القبائل واحد المل وأمره مسموع ونمتثل والمال الذي يأخذه منا ان عشنا عاد الينا واستخلف وأما الارواح فلا ترجع بعد الهلاك والتلف فقال الربيع ما هذا الا نعم لرأي فافعله أيها الملك حتى يكون على قدر جوابه التدبير وأما أنا فلا أقنع في عينيه حتى لا يلزم اللجاج لاجل ما فعلت به من الانزعاج فأخذ قيس جماعة من عشيرته ودخل على دريد وسلم عليه وقال له اعلم يا سيدي بني حشم أترك بيننا العناد وترميل النساء وتيتيم الاولاد وأنت تعلم اننا قط ما ذلينا البشر وما برحنا عن قتال أصحاب النصر والظفر وانما قتل لنا في بلاد اليمن فرسان كانوا لنا عند الحرب أركان ونريد

فتكون لك صديقا ناصرا ويكون في مصادقتك عز وفخر لنا وتبلغك الآمال فأطلب ما أردت فهذا أخيك حتى انا نحملك اليك وتبلغك الآمال ولا تكن من أدنى الرجال وأعطيت هذا العمر الطويل وتفعل فعل الجهال وقد سألتك أن لا تبغي علينا ولا ترد السؤال لان الدهر مادام لا حد على حال وطبعه التغير والانتقال وأمرك ياشيخ العرب أولى وأنت الى طريق الصواب أحرى فلما سمع دريد بن الصمة ذلك خاف من عاقبة البغي والنكال وقال للملك قيس اسمع يا قيس أما الاحوال التي فعلها بنو زياد فقد ملأت قلبي أحقاد وأما كلامك اسمعه وحق سؤالك لا أضيعه وأما قولك تعطيني ما لا ما أقبله فالمال مردود عليك ولكن أريد منك أن تسلم لي الربيع بن زياد وأخيه عمارة لفؤادي وطائفة بني زياد حتى آخذ منهم دم أخي عبد الله فانك تعلم أن الربيع فعل معي هذه الفعال ورماني في الاعتقال بالمكر والاحتيال ولا ترك لي بين العرب رأسا تنال ولا عادت العرب تسمع لي مقال واذا أطلقتني أطلق كل من كان معي أيضا في الاعتقال بغير فداء ولا مال وبعدها انكافح أنا وبنو زياد حتى استوفي دم أخي منهم بالحسام الفصال أو هم يقتلوني ويبلغون بقتلي الآمال وان كان يصعب عليك تسليمهم لي عملك وهم بنو زياد وتخاف من معيرة العباد فلا تلام على هذا الايراد انما النفير بعيد عنك في البر والوهاد وأنا أعلمهم في كل شعب ووادي واذا كنوا يحتجون بالمكابرة وقلة الانصاف فأنا أبارزهم فارسا لفارس بلا اسراف فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال له لا بد من المشورة في هذا المرام وقام الملك قيس من عنده وأتى الى الربيع وأعلمه بذلك فقال عمارة أطلقه دعه يطلق أسرانا فان رجالنا أنفع لنا فقال الملك قيس خائف

أن أطلقه فما عندنا من يقاومه فى الميدان ولا يثبت له فى جولان
فقال عمارة يا ملك أطلقه مما هو فيه من المضرة وأنا على به أيضا
هذه المرة ولا تخشى يا ملك من بأسه وسوف أهدم أركانه من أساسه
وأقطع يديه مع رأسه فان ما أسرته فى مقام الطراد كنت أنا الامير
عمارة القواد والا أعدم من الاوغاد ولا أحد بنادينى يا أمير بل
أكون بين العربان كالطير واتفق الرأى على اطلاق دريد
والمبارزة بينه وبين بنى زياد ثم أرسل الملك قيس الى دريد من يأخذ
عليه العهد والميثاق ويطلقه من الوثاق فأطلقه وخلع عليه وأعطاه
عدته وجواده وسيره الى أخيه وكان وقت السحر وما أصبح الصباح
الا وهو عند قومه وعشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بخلاصه
وما طلعت الشمس حتى أطلقوا كل أسير لبنى عبس وردوا عليهم
خيلهم وعددهم فقال له اخوه خالد لو كنت صبرت اليوم كنا
خلصناك بلا فدا وأهلكنا جميع العدا فقال دريد خفت
يا أخى من عاقبة البغى وأردت الان الملك قيس اد خل على وتذلل بين
يدى فأجبته فى اطلاق أسراء وان هذا لا ينفعه ولا أرضاه ولابد
من أخذ الجميع وأصنع بهم أقبح صنيع ان مانعونى عن عمارة
وأخيه الربيع ثم انه أمر ذلك اليوم بترك القتال لاجل السلام على
الفرسان والابطال ولما كان من الغد اصطف سادات العرب
فى الجدال وعرفوا ما هم متفقون عليه من البراز والنزال وركبت
طائفة بنى عبس وبنى زياد وفى أوائلها فارسها شيخ العرب عمارة
المنقب وسار فى المقدمة يقتل سبالة ويفتش لبته ويهز أكتافه
ويجر الرمح من خلفه ويرقص أردافه وعزم على براز دريد بن الصمة
حتى يصدقوه الناس فى مقاله ويعلموا أجناسه وكان راكبا على

مهرة حمرا يقال لها حضرا ومعتقلا بفتاة سمره فسار يمشي قدام القوم ويجر رسنه من ورائه جرا وينتظر خروج دريد حتى يخرج الى القتال ليسقيه شرابا مرا فبينما هو كذلك واذا بدريد برز الى الميدان وجال وصال كما تجول الفرسان وتذكر انقلاب الدهور والازمان عندها أنشد وقال

قطعت من الدهر عمرا طويلا * وأفنيت جيلا وأبقيت جيلا
هذبني الشيب حتى عرفت به * أمان الصديق وصرت به خليلا
شبت وما شاب عزمي ولا * وهن الدهر من حيلي وبيلا
مابت الا رظهر الحصان مقيـــ * ـلي اذا قل عني المقيـــلا
فيوم ترانى قتيـــل المدام * وبين الرياحين أمسي جليلا
ويوم ترانى روحات الحروب * أجود الطعان وأشفي الغليلا
فويل لمن أبيت في نومـــه * يراني أمز الحسام الصقيلا
وويل لمن ظن في نفسـه * مقاتلتي أو يراني قتيـــلا
أنا من تأبيات الزمان الذي * اذل العزيز وأرفعه ذليـــلا
وجاري مجار من التأبيات * وخصمي صريع في معامعه قتيلا
وفي السلم لي في المعاطي فخار * وأهب المال والمالك الجزيلا
ولي همة في نهار الطعان * ترى الخصم منها عفيرا جديلا
واحتقر الجمع عند القتال * وعندي كثير لاعادي قليلا
وان أردت بالليل ردع العدا * لدى الصبح لم نزالهـــم مقيلا
فقل لمن سقاني بالخدع تألما * وصار بأمري يجـــر الذيلا
اذا كنت يوم اللقاء فارسا * تهز القنا فوق ظهران الخيولا
فبارز لي لتلقا فتى شرسا * لتنظر نهارا عليك وبيلا

وقد عنى بالبيت الاخير الربيع بن زياد لما خدعه وأسره هذا

وعمارة لما نظر الى دريد وسمع مقاله فهز رمحه وحرك جواده وسار
بين أعطافه فسبقه ذؤاب بن أسماء من فرسان بني زياد المذكوره
وهو الذي قتل عبد الله أخا دريد وصار مع دريد في القتال وصرخ
فيه وزجره وقال له ويلك يا دريد أنت تدعي انك فارس شجاع لا تكل
من القراع ولا تفزع ولا ترتاع وتفتخر بما أعطيت من العمر الطويل
مع أنه لا يطول الا عمر من كان جبانا ذليلا وأن لو كنت فارسا
شجاعا وقرنا منداعا فأنا أفرس منك في الحرب والقراع فاني أنا
الذي قتلت أخاك في منعرج اللوى ومنتظرك حتى أحقق به لتقابلا
سوى فانك احتقرت الناس وغرك طول عمرك وبعد الاجل
وافتخرت بفروسيتك في السهل والجبل وهذا يدل على انك ذليل
مهان لان الشجاع لا يكون عمره طويلا وعمرك قد دنا واليوم
أذيقك كأس الفنا وأجابه على عارض شعره يقول

لقد خضت في الجهل عمرا وطولا
وجاوزت في الدهر عمرا طويلا

وغرك طول الامل والزمان * وجردت للبغي سيفا صقيلا
ومن جعل البغي سربال له * ومد يديه كي يطولا
ولا يخشى عاقبات الزنا * ن فوسط المعامع يمشي قتيلا
أما تستحي بعد فقد الشباب * تمد الى الجهل باعا طويلا
وتحتقر الناس يوم الطعان * وتبصر كل كثير قليلا
وجسمك قد أخلقته السنين * وغادره الدهر رسما وقيلا
فما قتل الدهر الا شجاعا * ولا وهب العمر الا ذليلا
فيا در حلتي تكن صبورا * فانك خصمي ولاك مقيلا
قتلت أخاك بهذا السنان * وأنت به اليوم تضحى قتيلا

فلما سمع دريد بن الصمة من ذوات ابن أسماء ما قاله وما أنشده من الشعر والمقال علم ان هذا الذى قتل أخاه على كل حال وبان له الصدق من المحال وهذا هو خصمه وما بقايكن أمهاله وعلم هذا ذوات ابن أسماء وقد غابت عنه الارض والسماء فرمى الرمح من يده وجذب الحسام من غمده وهزه فى يده حتى دب الموت من أفرنده ومنعه الغيظ عن الكلام فطالب خصمه كما يطالب الصقر أبراج الحمام وضرب رمحه بالحسام براه برى الاقلام ثم قاربه وانحط عليه انحطاط جبار قاسى النوائب والاخطار وقطع باعه ومد بالحسام ذراعه وضربه ضربة مشبعة بهمته فنزل حد الحسام الى وسط قمته فقطعت البيضه والزفاده ونزل السيف الى نصف قامته وزياده فمال وانقلب وصاحت فرسان العرب وتعجبوا من ذلك الضرب كل العجب ولما نظر عمارة ما وقع بذوات بن اسما فابتلى بداهية عظما ورفع رأسه الى السما وادركه الويل والعمى وطارت من رأسه الشجاعه وبقى فى غاية الخوف والضراعه وذهب عنه فشاره وتعجبه وارادان يولى دبره فاستحى من العربان فثبت جنانه فى الميدان وهو تايه العقل حيران فقوا جنانه وأطلق عنانه وقوم سنانه وتلقى دريدا وقال فى نفسه ان الفرع مايفيد فاخذ معه فى المجال واستقبله دريد ولما أبصر عمارة ان دريدا قد قاربه حمل عليه وقاتله فصار عمارة من فزعه يأخذ فى الميدان عرضا وطول ويحاول خصمه وخصمه عنه لايحول ولا يزول ولما زاد عليه العيار أراد ان يطاول دريدا فانشد الاشعار فأنشد يقول

اليوم طاب الضرب بالقرضاب ✻ والطعن بالسنان والحراب
دونك حربى يادريد فانى ✻ انا عقاب الطعن والضراب

أنا عمارة الفارس الندب الذى * ادعى لدى الحرب بالوهاب
صبور لطعن القنا يوم اللقا * ولم أكن من العدا هراب
أيا دريد اثبت لتنظر همتى * ومهرتى فى مشيها العجاب
انظر لتلبسنى الحديد وركبتى * وحربتى وسيفى القرضاب
أبى زياد وأنا عمارة اسمه * ذو الفضل والاحساب والانساب
كم من فوارس فى اللقاء قهرتهم * وقدتهم فى الحبل مثل كلاب
فأتى خامى بنى عبس الذى * يدعى الربيع الفارس المنهاب
وسوف أنقيك فى الثراء مجندلا * معفر الخدين بالتراب
(قال الراوى) فقال له دريد يا ندل بنى زياد تعساك ولا خيبك وأهلك وأبيك أما لى تقول هذا الكلام الذى تذكر به نفسك فى شعرك قطع أهلك وفرعك خسارة فيك الكلام لانك ندل من دون عرب الانام فعندها انحط عليه الامير دريد انحطاط الباشق الجسور على أصعف الطيور وعقد على رؤسهما الغبار فصار الربيع يتطاول وينظر الى أخيه وهو محتار وقد علم عماره انه فى مقام الاخطار والربيع خائف على أخيه من القتل والدمار ويتمثاله الاسر ويدعوله بالنصر الى أن تعالى النهار وانجلا الغبار عن الفارسين واذا بعمارة قدام دريد أسير وهو يسوقه سوق الحمار لان دريدا أتعبه وكربه وطعنه بعقب الرمح قلبه وكانت طعنة من يد رجل جبار فقصفت ضلعين من جنبه اليسار وتبادرت فرسان بنى جشم اليه وكزوه فى أقفاده وظهره بأسنة الرماح وقالوا له أن الفجار يا فشار وناداياالتارات عبد الله هذا الربيع لما رأى ذلك ما كان منه الا أنه تمطى فى شعر ذقنه فحمله ونزل على وجهه وقد عدم عقله وشق ثيابه وعمامته ولم يدر ما فعله وصار يلطم وجهه

ورأسه حتى كاد أن يقلع أضراسه وصار يقول واذل بني زياد بعدك
يا عماره لقد شمت أعداؤك بما أصابك من الخساره وصاح جميع
بني زياد وأسفاه عليك يا وهاب لا طابت لنا بعدك الحياه ولا لقينا
من يريد المقام في دنياه ثم حملوا عليه من كل جانب ومدوا الى دريد
لاسنة والقواضب ولما أبصر دريد ذلك حمل عليهم حملة الليث
الواثب وصار يضرب فيهم ضربا مثل صواعق العذاب وصاح وقال
طاب الموت يا كلاب وخاض فيهم بطعن مستبق وساعد في الضرب
منطاق وصار اذا طعن فارسا أدماه وان قبض على أحد أعدمه الحياه
وما زال كذلك حتى قتل سبعة عشر وأسر خمسة وكان نصف النهار
قد عبر فلما رأى الربيع بن زياد ذلك الحال زادت ناره اشتعال
فقال لي دريد في الميدان وقاتله بهمة قوية وهجم عليه وكان ربيع
كما ذكرنا فارسا شديد البأس لا يقع به ملل اذا اشتد المراس فبقي مع
دريد حتى أقبل الليل ورجع وهو يشكو عدم القوى والخيل فتلقاه
الملك قيس وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك فقال
يا ملك ما هو الا كاسمه راحات الحرب لانه لا يخاف من الطعن
ولا من الضرب ولكن نحن أخطأنا حيث حكمناه على أنفسنا
وأطلقناه من الاعتقال بعد اذلاله وأمسى أخي وبني زياد في حباله
وأنا خائف عليهم من الهلاك لانه ان أهلكهم بدم أخيه ألبسنا العار
الى الممات وتركنا بعدهم نتقلى على الجمرات فقال أسيد بن جزيمة
عم الملك قيس اخطأ في الاول كان منكم في ابعاد كم عنتر بن شداد
لانه سعادة هذه القبيله العبسيه ومذ غاب عنها ما فارقتها البليه
وكان حاميتها وجامع شملها وأنتم ما عرفتم قدره وكرهتم ذاته وغدره
فان بني عبس ما نبتت في هذه الايام وقاتلت الا غصبا وكانت معزله

على الحرب فوكان حاميتها معها لم يقدر أحد اليها يتقرب واعلم
يا ربيع كل من كان فى القبيلة من كبير وصغير يدعو عليك وعلى
قيس ابن أخى حيث كان لك مطيع وقد فرح فيك وفى أسر اخواتك
الغدا وأحبوا أن يقتلوهم ولا يطلقوهم لما لهم عليكم من الثار من
ابعادكم عنتر الفارس الكرار ولا بقى لكم ذكر يذكر فقال الملك
قيس صدقت يا عماه والرأى عندى أن تنفذ اليه ونأخذ بخاطره
ونطلب منه النصر على الاعداء ونتذلل بين يديه حتى يرضى فقال
أسيد هذا هو الصواب بأن تنفذوا اليه وتعتذروا له من أفعالكم
الرديئة فان أجاب كان ذلك خيرا منه وكرما وان لم يجب فهو معذور
لان الطرد أعظم ما يكون فى الامور فقال الربيع وان كان الامر كذلك
فأنا أسير اليه وأقبل يديه ورجليه وأتذلل له وأبذل له ما تملكه
يدى وأسأله أن يعاونى على كشف بلوتى فقال الملك قيس قصدى
أن أرسل اليه رسولا واسمع منه ما يقول ثم أنهم أنفذوا اليه بعض
الفرسان وأمره قيس أن يسير اليه ويحدثه عما هم فيه ويلين له
الكلام ويترضاه بحب الاوطان ومشاهدة الاخوان فسار الرسول
اليه وهم باتوا تحت الظلام يحرسون أنفسهم ويتشاورون فيما
نزل عليهم من الاحكام هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من دريد بن
الصمه فانه لما عاد الى قومه وكان أشفى فؤاده وفرح بأسر أعدائه
وأخذ ثاره وأشار الى خالد بأن يقتل كل من وقع فى يده من بنى
عبس وبنى زياد ويصلب الجميع حول بيوتهم وان رأينا الملك قيس
حاما عنهم بذلنا فى بنى عبس سيوفنا وحملنا عليهم بجمعنا وأرحنا
العرب من شرهم ثم انه بات ينتظر الصباح بعد ما وكل بعمارة واخوته
جماعة من العبيد وأمرهم بأن يعذبوهم العذاب الشديد فلما

ذهبت اذيال الدجا وأقبل الصبح مبتلجا زعقت الخيل وترنمت للقتال فقال القيط بن زرارة اصبروا اليوم حتى أن الشيخ يريد ان يأخذ غرماءه وينال ماتمناه ويبلغ من بني زياد مناه ونحمل نحن على الخيام والمضارب ونسبي النساء البنات الكواعب حتى لا نكون قد أتينا من بلادنا المتباعده ونعود بلا فائده وترجع بنو عبس عن هذه الحاله المتقدم ذكرها وكان أول من خرج وطلب البراز دريد ابن الصمه ونادى يابني عبس اخرجولي غرمائي كما وقع الاتفاق بيني وبينكم ثم انه صال رجال وافتخر في المجال وأنشد وقال

يانديمي أسقني كاس الحيا * في ثنايات الحمامن كف ريا
بين روض ونبات مزهر * حسنه اهدى لنا مسكا ذكيا
من كل عذرا جنوب قدها * يخجل الاقار والشمس المضيا
قد شففت كاساتها من قرقف * فتعيد الميت للذات حيا
يانديمي أسقياني واجتهد * ودعاني ابصر الشيا آن شيا
فؤادي قد صحا من سكره * واشتفى الداء الخفيا
ليت عبد الله خلاء الردا * في نعيم أو يعود اليوم حيا
ليته يرجع كما أعهده * حسن القامة وضاح المحيا
ايرى اعداءه مع وحش الفلا * تذهب من جمعهم لحما طريا
زرتهم والخيل تركض في الحما * وعليها كل جبار عتيا
فتركت الارض في عرصاتها * تدعي بعد الظما شبعا وريا
يابني عبس لقد أورثكم * قتل عبد الله ذلا سرمديا
فوحق البيت والركن ومن * طاف بالاركان والحجر الدقيا
لا تركت اليوم في أرضكم الامن * كانوا شمطا أو شيوخا مضيا

وكان دريد يقول هذه الابيات والربيع يتأهب للقائه والملك قيس

عن

عن ذلك ينهاه ويقول له يا ابن العم لا تخرج الى هذا الشيطان الذى
أخذ من الزمان أمان وتخاوا معه مخاوات الاخوان فانه ان
يظفر بك أهلكك وأهلك أولادك وانا أعلم أنه ما أبقى عليهم
الا حتى يظفر بك فالصواب انك تصبر حتى يعود رسولنا من عند
عنتر واذا أتى معه فرج عنا ما نحن فيه من الكربة والغمة ودفع عنا
شر دريد بن الصمة فبينما هم فى المجادلة واذا بالكريم فارس بنى كريم
تقدم الى الملك قيس وقال أيها الملك ما هذا التوقف عن هذا الشيخ
المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه وأنا ما تأخرت عن مبارزته الا
لاجل الشرط الذى بينكم وبينه والا كنت برزت اليه فقال الملك
قيس يا فتى جزاك الله خيرا اما أنت فقد أوليتنا من الجميل ما لا نقدر
على مثله ومع ذلك فانا خائفون على ابن عمنا الربيع ان يظفر به هذا
الشيطان فيهلكه وهو شيخ القبيلة والعشيرة كلها تحت مشورته
وقد عودنا ان نتعاون اليوم منكم ما كنا أول مرة ونصبر على هذه
المضرة ونساعد بعضنا بعضا حتى لا تصير معيرة فى سائر الارض
فقال الكليم ان كنتم عولتم على ذلك فاصبروا حتى أجرب روحى
مع هذا الشيخ الذى فى قلبى منه النار ولى عنده أيضا ثار ثم انه قفز
الى الميدان مثل السلهب وافتخر فخرة العرب وامتزج بالغضب
ثم أنشد هذه الابيات

يا حسامى آن لك أن تراعى الزماما * وترافى العهود والاعداما
وتفك القيود ظهرا وبطنا * وتريق الدما وتبرى العظاما
فحرام على ان عدت فى الدفع * أشهر السيف أو أسل الحساما
قد نزلنا بحى قوم كرام * أكرمونا وودونا احتراما
والتقينا معهم صدور الاعادى * وكان أكثرهم قوم لئاما

مالهم ناصرة لى مادهاهم * ونهلكهم وان كانوا كراما
تسمى بالبيت الحرام ومن حج وزار من بعد الطواف مقاما
لاقطليت عن حماهم بجهدى * حتى أمسى بالفلاء رماما
(قال الراوى) فلما نظره دريد قال له انت ليس من بنى زياد بل أنت
الكليم فارس بنى كريم فاسبب نزولك هل انتقض الشرط الذى
كان بينى وبين قيس فقال له الكليم دونك والميدان لا فتح بما يكون
وكان ثم انطبقا انطباق الجبال واقتتلا قتال من لا يهاب
الرجال ودام كذلك حتى عبر نصف النهار وكلت الابطال من
الانتظار واحمرا تحت الغبار غاية الاحمرار وكثر الكلام
بين الخاص والعام وكان كل واحد من هذين الفارسين له محبين
وانصار فتفوا قتلة معرفتهم فى الاخبار وفى تلك الساعة وصل
الرسول الذى كان أرسله الملك قيس فى طلب عنتر وأعلم الملك
قيس انه غائب فاشتدت على بنى عبس المصائب وقالوا ما بقى
لنا من يفرج عنا كربتنا غير الكليم فيا ربا اجعل فرجنا قريب
على يديه (قال الراوى) وكان دريد قد تعجب من فروسية الكليم
وأبصر من قتاله الهول العظيم فوقف عنه وكان عبر نصف النهار
فقال له يا كليم فأى شئ رأيت من بنى عبس من الخير حتى عرضت
نفسك للهلاك واخترتهم على محاقلت وقتالك وكان أبوك أصدق
الناس الى وأحفظاهم لذى فوقف الكليم عن قتاله وسمع مقاله
واعتمد على مكره واحتياله وقال له دارات الحرب الذى أحوجنى
الى القتال مع بنى عبس سبب ما يمكنى أطلعك عليه فقال له دريد
وذمة العرب ان قلت لى عن قصتك لاوصلنك الى غرضك وأردّ
اليك غنيمتك واعطيك من أموال بنى عبس ما تحتاج ولا تعادى

مثلى وتلزم النجاح بين هذه القبائل التى كأنها البحر النجاح لان الشرط الذى بينى وبين بنى عبس انفك بخروجك عنا فى وفى غداة غد آمر القبائل باخلاء عليهم وأنهبهم بأطراف زماخ الدوابل وأنت تندم حيث لا ينفعك الندم فعد برجالك الينا واجعل معولك علينا وأبشر بما يسر فؤادك اذا صادقتنا وان كنت هويت بعض بنات العرب فأنا أجعلها لك خادمة ولو كانت الجمانة بنت ملكهم قيس أو غيرها من بنات سادات قبيلتهم حتى نقلع منهم الاثار ونأخذ منهم بالثار فاظهر ما فى قلبك بلا حياء وابشر بالمنى فقال الكليم وقد أتاه الامر على مراده حيث حدثه فى حديثه بما كان أعرض عليه من بنى عبس وأضمره فى فؤاده فتبسم وقال لله درك يا أبا النضر لقد فقت بالفصاحة فى حال الكبر والصغر لانى فى هذه الايام نفرت الى الجمانة بنت الملك قيس فهام قلبى بحبها وما خرجت الى قتالك الا من أجلها ودخل فى عقلى انى أقدر عليك وأتقرب الى قلب أبيها قيس وجدها الربيع واحظى بها عنهم اذا انكشفت هذه الشدة عنهم والآن فقد خاب ظنى فى أمرك وعجزت عن أسرك واستحييت من علو قدرك لكننى ما آمن من غدرك الا ان تعطينى يدك وتحلف لى بالرب المعبود انك لا تزول عن الايمان والعهود حتى انى أحول معك فى هذه الساعة التى بقيت من النهار وأعود واذا كان عند الصباح ومالت الطوارف تطلب الحرب والكفاح حملت أنا على أعلام الملك قيس برجالى واجتهد فى معونتك بكل آمالى اذا اشتغلت قلوبهم بأخذ ملكهم حاتم فتم بعدى عليهم وانتهزت تلك الاشغال وبلغ الآمال واذا لم تفعلوا ذلك لم ينل عليكم الطوال وتقضى الايام والليال لانهم فى الليل أنفذوا المال

الى الفرسان المذكوره فى القبائل وسوف تأتيهم بالفارس والراجل
وتمتلأ عليكم الارض كتائب وجحافل وأرسلوا أيضا يستعرضون
فارسهم الاوحد وحسامهم المهند الذى ما مثله فى هذا الزمان
يوجد وهو عنتر بن شداد الفارس الاسود فلما سمع دريد مقاله
انطلا عليه محاله وايده قد انخدع وبذلك حدثته نفسه وقال هذا
رجل غريب وما كان لبنى عبس الا من أمر عجيب فظن ذلك الظن
الحسن وظن أنه يكون من حربه أو يقى معينه على تصاريف الزمن
وأما الكليم فانه حسب حساب آخر وقال هذا رجل أسعده الزمان
والوصول اليه بالطعن والضرب على غير الامكان وكان الكليم
يخاصم دريد بن الصمه ولما رآه انخدع رمى الرمح من يده الى الارض
ومد يده الى الشيخ دريد ففعل دريد كفعاله ولكنه ما خفى عليه من
رجفان الكف والزود وانزعاج الاحشاء والكبود وعاد الصلاح
بينهم مفسود وصاحا صيحات الرعود وتجاذبا بجاذبة الاسود
وكان لهم وقت مشهود يشيب منه كل طفل مولود ويذيب منه
الصخر الجلمود ومازال على مثل ذلك حتى تعبت منهم الخيل
ووقعت الى الارض من شدة التعب والويل وتراكضا فى الميدان
حتى هجت من أفعالهما الابطال والفرسان وحار من أفعالهما
الاقران وظن الكليم أن دريدا تعب عند المعاركه لانه دخل
عليه الاسى من ملاقات الفرسان شيئا ضايقه فرآه عرفا لايلين
ومضاربه كالاسد العرين وداما على المواثبة والمجاذبة حتى أيس
كل واحد من صاحبه الحياة عند المقاربه فقال الملك قيس لمن
صحبه يابنى عمى ماهو من المروءة أننا نتغافل عن هذا الرجل الذى
أحسن الينا ببذل نفسه دوننا ونتركه مع هذا الجبار فى مقام

الاخطار والصواب أننا نحمل عليه جملة واحدة ونخلصه والا هلكه وأهلكنا من بعده فهم فى الكلام واذا بالفرسان الذى مع الكليم حملت تطلب خلاص فارسها وشرعت أسنتها واشهرت سيوفها ونادت واغوثاه واقلة ناصراه فأبصرهم خالد فحمل عليهم فى بنى هوازن وجشم وحمل القيط بن زرارة فى بنى دارم وبنى مشاجع وتتابعت القبائل من سائر المواضع فعندها حمل الملك قيس وركضت ابطال بنى عبس وعدنان من كل جانب ولم يتخلف منهم ماش ولا راكب وارتجت الارض بما عليها من الواكب وظنوا ان اسرافيل قد نفخ فى الصور وبعث الله أهل القبور وثارت الصناديد الغيور وولى الجبان الخائف المدعور وغرق الحسام على الرقاب والرمح فى الصدور وفاض الدماء على اللحاء والشوارب وطارت الرؤس بشفار القواضب وقد غامت الأسنة فى البطون الى الكواعب واشتد الامر المهول وكان بنو كريم قد أدركوا صاحبهم وأركبوه على بعض الخيول وناولوه عدة الجلاد وكذلك فعل بنو جشم وأركبوا دريد بن الصمه وأعطوه آلة الحرب ولما ركب الفارسان قاتل كل واحد منهما مع عسكره وفرسانه حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكانت بنو عبس قد خسرت ثلثه عددها وقل صبرها وجلدها وفرحوا بخلاص الكليم وهنوه بالسلامة من يد دريد بن الصمه وهو يقول يا قوم العرب ما كنت عن خصمى بعاجز وما كان على رايحا لما كان لى مبارز وخدعته لانجاز أمره وقطع أثره واكف عنكم شره لانه رجل كبير وبضرب السيف خبير وقصدت هذ ركنه والمبارزة لابلغ منه الامل بالمشابكة وظننت انى آخذه على عجل فرأيته شيطانا فى صورة انسان لا يبالى

بقتال فقال الملك قيس ما هو ممن يلين بالخداع ولا ينقاد للقراع ثم انه أنفذ رسولا ثانيا الى عنتر بن شداد وقال له اكشف خبر ابن عمك لعله يكون قد عاد فهذا ما جرى لهؤلاء (قال الراوى) وأما دريد بن الصمه فانه لما خالدا أخاه على حملته وقال يا خالد أى شىء جرى على حتى حملت أنت فى العسكر وحق ذمة العرب ما كنت مع خصمى الا فى غاية الاستظهار وكنت قادرا على مصارعته ومقارعته باقى النهار وما كنت أرجع من الميدان الا ان آخذه أسيرا فقال له اللقيط ابن زراره يا أبا القطرد عنا من لوم أخيك والعتاب فما كان فعله الا صواب وما بقى لنا نية فى براز ولا جدال ولا نحمل الا كلنا سوية كى تصبر الامر والحال والاطال علينا المطال وانقضت الايام والليال وربما أتى الى بنى عبس ناصر من بعض القبائل والعشائر أو يصالحون أسودهم ويعظم علينا شرهم وكيدهم ولو كان الاسود حاضرا فى بنى عبس ما تخلا عن مساعدتهم واطال علينا حربهم وسألت من الاسرى فأخبرونى أنه غائب والرأى عندى أن نغتنم الفرصه بهذه الكتائب الذى جمعناها من أقطار البلدان قبل حضور عنتر الشيطان (قال الراوى) وباتوا على انهم يزحفون عليهم بسائر العساكر والدساكر والفرسان ومازالوا يتقلبون تحت مشيئة الرحمن الى أن أصبح الصباح وتبادرت الرجال مثل العقبان وزحفت جيوشها الى بنى عبس وعدنان واقتتلوا بالصارم اليمان وتطاعنوا بالاسنة حتى جرى الدم من الابدان وسال كأنه طوفان وفنيت العدد الغالية الاثمان ودافعت بنو عبس عن الحريم والولدان وعمل السيف اليمان والرمح المران الى ان طلع الميزان وغابت الثريا والميزان وتسرطن السرطان وتفرقدا الفرقدان وحل

الحمل ضيغم الليل فابن سواده وطابت الابراج الامان وضربت
الجوزه بشروق الفجر فانصدعت كالسندیان وتحرك نسيم الغرب
فأعمى الخلائق واشتد المجال وكثرت العوائق وجاوبت
الرعود زعاقات البوائق وهجم ضيغم الاسود فانفاق الصباح بأنوار
الاشراق وبان وحصدت السنبله بمناجل السيوف ومالت كفة
الميزان ووقع الحوت وبان عليه الخسران ولذع العقرب بحية القضاء
والممان وانكسرت الخود وقطعت البنان وجرى على الجدى
من الثور مايهد كواثر العقبان وتزحزح رجل من موضعه وطلب
الانهزام وبيع المشترى بأخس الاثمان ولم يزالوا على هذا الحال
حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت بنو عبس بالضر
والعيش المرود اموا كذلك ثلاثة أيام والرسل تسير الى عنتر وتعود
بلاخبر وفى اليوم الرابع صار مهم القتال فى الخيام والمضارب
وكثر على بنى عبس العدد ودهمهم المواكب وجالت عليهم
الخيل والجنائب وندبت النوادب وعظمت المصائب وشبكت
فيهم انياب النوائب ودافعوا عن أنفسهم الى أن أظلم الظلام
وهادوا وهم سكارى من غير شرب مدام وكان آخر من مضى الى
عنترة رواش بن هانى ابن عم الملك قيس فرآه عائدا من السفر من عند
زيد الخيل مع عامر بن الطفيل فهجم عليهم فى السرادق وبكى وانتحب
وصاح وقال يا أبا الفوارس أطلت الغيبه وتركتنا من بعدك الصعبة
بالخيبه وان لم تدركنا والا فسابق لنا ولدولا حرمه ولا قدر ولا قيمة
والحرائر تسبى سبى الامه ثم حدثه بما جرى لهم من دريد بن الصمه
وما هم فيه من الكربة والغمه وقال فى آخر الكلام يا حامية
عبس ما تريد تصنع والعرب طمعت فى قوملك اى مطمع فبادرهم

لعل أن نلحقهم وفيهم رمق والا تشتت شملهم وتفرق وقل عددهم وانمحق وهم قد ندموا على معاداتك وعادوا الى محبتك وودادك وحلفوا انهم يكونون لك عبيدا ولا يفعلون الا ما تريد لا سيما زياد فانهم ندموا كثير الندم وعزم كل منهم أن يكون لك من الخدم وهم يفادونك بخيرهم من العدم لانهم من يوم أبعدوك يأكلون كفوفهم أسفا يا مكرم ومرادهم يسترضوك ولو تطلب اموالهم يعطوك وبأرواحهم يفدوك وعمارة واخوته فى العذاب الشديد والذى أثرهم دريد أذلهم ذل العبيد وما بقى الا الربيع ودريد بن الصمة معول على صلب الجميع وأما الملك قيس فلا تسأل عن حاله فانه خابت آماله وقتلت رجاله وندم على فعاله فانجعل العجل قبل قدوم الاجل وانقطاع الامل (قال الراوى) وكان قرواش يحدث عنتر بهذا الكلام وعنتر منكس رأسه يسمع ولان قلبه وخشع وركع طرفه ودمع وأراد ان يشاور عامر بن الطفيل ويسيره وواياه فتفكر طرد الملك قيس وكلام الربيع وما سمع من الكلام الوجيع فقسى قلبه عليهم وقال يا مولاى أنا سمعت هذا الحديث من بنت عمى عبله وأخبرتنى بما جرى لهم مع دريد بن الصمه فلو كان لى فيهم نية كنت سرت اليهم بالكتيبه ولكن يا قرواش كم أهان وأسمع وكم يطردونى وأرجع وأنقى روحى فى كل نائبه وتعودا عمالى معهم نائبه وأنت أكبر شاهد بما فعلت فى أرض اليمن ببنى حذيفه وبنى كنده وبنى سعد ومعاوية ابن النزال وبنى تميم وبنى كلاب وابن برزة فى مياه عراعر ولولا سيفى والسنان ما كان عمرو بن هند أبقى منهم انسان وما كان نفعهم الملك النعمان ولما وصلوا الى هاهنا وسلموا من نوائب الزمان فعلوا

معى ذلك الفعال بلا ذنب وطردونى طرد الكلاب وما عاذوا بذكرونى بذكر حتى ظنوا انى أصبح هالكا وأصير بين القبائل والاحياء متهتكا والآن كان الذى كان وقد استرحت من الذل والهوان ومعادات العربان وملافات الفرسان وبعد ذلك يا ابن العم ما أنا من فرسان دريد بن الصمة ولا أقدر اقف قدامه اذا سل حسامه وهو المسمى براحات الحرب ولا سيما ومعه جشم وهوازن فارجع الى قيس وحدثه بما أنت به سامع ولا تعتب على فيما أمانع (قال الراوى) فرد قرواش على عقبه ودموعه على خده تسيل وكان قد خرج من بنى عبس فى أول الليل فرجع اليهم وقت السحر وأعلم بنى عبس بما سمع من عنتر فارتجف قلب الملك قيس وتحير وقال يا ابن العم ما يمسى المساء وفينا رمق وما بقى لنا غير الهرب والا أهلكنا هؤلاء العرب ثم ان الملك قيس أحضر الربيع بن زياد وجمع أعمامه وأعلمهم بالحال وما قال قرواش من المقال فأخذتهم الحيرة والانذهال فقال الربيع ما بقى فى الامر الا اننا عند الصباح نجتمع موكبا واحدا ونترك الاموال ونبذل أنفسنا للرماح الطوال ونقاتل جهدنا بكل ما نقدر عليه من الفعال وندفع الخيل الجياد الى أبيات عنتر بن شداد فاذا نحن وصلنا اليه طرحنا أنفسنا عليه وأحوجناه أن يقاتل معنا ويعيننا على الاعداء فان القبائل لابد ان يتبعونا فقال قيس يا ربيع ما أظن أنه يصل منا من المائة واحد لان المكان بعيد وتنهب الاموال ولا نستفيد وأنا ما اعلم غير هذا وهو أن نرسل لعنتر جماعة من النساء الاحرار والبنات الابكار ونوصيهم اذا وصلوا اليه أن يكشفن رؤسهن بين يديه ويقبلن يديه ورجليه ويطلبن منه صيانة الحريم والمساعدة على هذا الامر

العظيم لانى أعلم انه شديد الغيرة على النساء والبنات والاطفال المرضعات فقال الربيع هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فافعل يا مولاك ما أشرت به من الكلام وأرسلهن الى عنتر الهمام لعله يدركنا قبل تلف أرواحنا والاجسام وها أنا أيضا أرسل له بناتى وزوجتى ونساء اخوتى مع نساء أكابر العربان فلعله يلين قلبه بهذا الشان وما مضى من الليل غير ساعه حتى اجتمعت غانون امرأة من حريم سادات بنى عبس وأعلمهم الملك قيس ما يقلن لعنتر وما يفعلن اذا وصلن اليه وما هم فيه من الامر المنكر وشدة من على الخيل فرسان بن وسرن فى ظلام الليل وكانت القبائل دائرة ببنى عبس من كل جانب وما تركوا مكانا الا وسكنوه الا طريق بنى عامر فانهم تركوه لعلمهم انهم ما يركبون ذلك الطريق أبدا وان كان بنو عامر لهم من جمله الاعداء وما زالت النساء يقطعن البر والاكام تحت استتار الظلام وهن فرحات بالقدوم على عنتر البطل الهمام واخفين حسهن عن الكلام هذا ما جرى يا كرام لهؤلاء (قال الراوى) وأما عنتر فانه لما أصبح الصباح أتاه عامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد والغطمال ولما دخلوا عليه وجلسوا يشربون المدام ويتذاكرون بنى عبس وما هم فيه من الشدة والانقطاع وما منهم الا من هو منجب من قساوة قلب عنتر عليهم وصبره على ما فعلوه فى حقه فبينما هم كذلك واذا بالنسوان أقبلت على الابيات ونزلت وهن مهتكات بدامع منهملات وغرقن البراقع بالمدامع ولم يلتفتن الى بشر غائب أو سامع وعقدن الانواح وعالين البكاء والصياح وكشفن الوجوه وأرخين الشعور ونادين بالويل والثبور وأشرن جميعا الى عنتر وقلن له يا أبا الفوارس بحق

ذمة العرب وما بيننا من حرمة القرابة والنسب لا يمنعك عن نصرتنا الغضب ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فانا أشرفنا على السبي والانتهاك وما لنا أحد غيرك يحرسنا الان رجالنا هلكوا وسادا تنا لمكوا والذى طاردوك وأبعدوك قد ندموا ولاموا أنفسهم على فقدك وأصابتهم نوائب الدهر لما عاندوك لاجل ما لقيوا من آفات الزمان وطوارق الحدثان فارحم من بقى فى الحى من يتيم وثكيله وأجرنا على عاداتك القديمة ثم تقدمت الجمانة بنت الملك قيس وقد ذكرنا ما أعطيت من الملاحة والفصاحة فوقعت فى صدر عنتر وفاض دمعها والمحدر وقبلت يده وأشارت له تشكى وتنشد وتقول

حامية عبس يا ابن السادة النجبا * يا من له الفخر والاحسان والادبا
حامية عبس لا تنسا مودتنا * واحفظ لنا حرمة الود الذى ذهبا
جرنا فقد أصبحت خيل العدا سربا
من حولنا ينهبون المال والسلبا
حامية عبس لو أبصرتنا سحرا * بين المضارب نشكو الويل والحربا
مهتكات تنادى اين فارسنا * أغضيتموه وما راعيتم النسبا
أبعدتموه رجلا لولاه ما ذكرت * عبس ولا ضربت بيتا ولا طنبا
لو كان فى الحى ما حاط الحمى وبنا * ولا استقام لدينا فى ساعة هربا
ليث اذا سل يوم الحرب صارمه * أعاده بدم الابطال مختضبا
وان تفاخرت الفرسان قال أنا * قد اتخذت حسامى صاحبا وأبا
حامية عبس قد غاب الذى قدموا * ببعد دارك لما عاينوا العطبا
وقد غدا بعضهم فى البر منطرحا * تهوى الطيور عليه كلما انقلبا
والبعض فى الاسر لا يرثى له أحد * اذا بكى من عذاب الشد وانتحبا
فلا تؤاخذنا بالقول من رجل * غرقان فى جهله لا يعرف الادبا

فما عمارة من يربا الكرمة * ولا له هيبة تخشى اذا غضبا
فارحم بكانا ولا تنسى مودتنا * فقد بكت لبكانا أعين العربا
عودتنا العز من بعد الهوان فلا * تنسا الوداد ولا تشمت بنا العربا
(قال الراوى) فلما فرغت الجمانة من شعرها تناثرت الدموع من أجفان الحاضرين ورموا من أيديهم أقداح المدام ودبت فيهم نخوة العرب الكرام وعلامتهم الضجيج والكلام ورمى عامر بن الطفيل من يده القدح وبكى وانتحب وقال للامير عنتر وحق ذمة العرب الكرام ما بقيت آكل معك زادا حتى تسير الى نصرة قومك الامجاد خذ الاهبة من يومك خوفا عليهم من تلك الاوغاد لانى آلمنى بكاء النسوان وأنسانى ما جرى لى طول الزمان وكذلك قال مقرى الوحش وعمرو بن الورد وماز الوامع عنتر حتى جرى دمعه وانحدر ورق قلبه وكاد أن يتفطر وقال يا وجوه العرب وحق من فى علم غيبه احتجب ما بقى بعد هتك الحريم والاولاد الا الرواح للملافات دريد الفارس الجحاح ومن معه من الفرسان الاوقاح (قال الراوى) ثم انه صاح فى أخيه شيبوب وأمره فى ساعة الحال أن يشد له الابجر ويحضر له عدته وكذلك سائر الفرسان تأهبوا للسير فى صحبته فعند ها ارتفع الصياح فى الحى من النساء والبنات الكواعب وركبت الرجال على الجنائب وتقلدوا بالسيوف القواضب واعتقلوا بالرماح الكواعب وأنفذ عامر بن الطفيل الى أسد فائه وأصحابه ورفقاه فاجتمع معه خمسمائة فارس أبطال قناعس تعودوا خوض الحروب فى المهالك وركب بنو قراد على الصافنات الجياد فلما هموا الى المسير والرحيل أمر عنتر النساء أن يقمن عند بنت عمه عبله وقال لعامر بن الطفيل يا أخى الرأى عندى أن تشاور فى رحيلك معى ان

فقالت غنم بن مالك والاخوص بن جعفر وتعلمهم بالمسير الى قتال
دريد بن الصمه لان ذلك أظن ما يجبهم ويوجب عليك لومهم وعتبهم
فقال عامر يا أبا الفوارس أين غنم وغيره من العرب الكرام
وحق الملك العلام خالق الضيا والظلام لو كان من بني عامر الذين
يعادونك لوضعت فيهم الحسام وأحرمتهم لذيذ المنام فانك عندي
أعز من أهلي وأقاربي فشكره عنتر على مقالته ثم ركب وسار
فسار معه عامر في أبطال عشيرته وكان من جملتهم الخمسمائة فارس
الاسود العوابس وكلهم في الحديد غواطس وهم بالخيول
الصواهل والسيوف الفواصل والرماح الدوابل وجدوا السير
باقي النهار وتمام الليل وفي مقدمتهم عنتر وعامر بن الطفيل ولما قربوا
من جزع الطواف نزلوا للراحة لما عول الليل على الانصراف
ورحلوا طالبين بني عبس الكرام فرآهم كأنهم اشباح بلا ارواح
مما نالهم من الحرب والكفاح وكان وصولهم قبل الصباح ومدوا
اعينهم فرأوا ثلثمائة خشبة منصوبة على رؤس الروابي والتلال
وتحت كل خشبة واحد من المأسورين من الرجال وعمارة واخواته
بجملتهم مربوطين تحت الاخشاب بالحبال وفرسان بني جشم
حولهم بالسيوف الصقال منتظرين اذن دريد بن الصمه في قتلهم
قبل وقوع الحرب والكفاح وهذه العبارة كان السبب فيها للقيط
ابن زراره لانه قال لدريد بن الصمه يا أبا النظر أنت شيخ كبير
ومحتاج الى مدبر ومشير وما الذي تنتظر في هذه الاسارى اضرب
رقابهم وارم رؤسهم لاصحابهم وبهذا تقطع ظهورهم ويحتارون
في أمورهم وبذلك يعجزون عن القتال وتبلغ منهم الآمال فقال
دريد يا لقيط انما معول على هذا اذا ملكت الكل أتلف الجميع

فى هذه الديار وأفرق عليكم نساءهم ليكونوا لكم جوارى وأقلع منهم
الآثار ولكن ما أخالف لك مقال ولا أرد لك سؤل فانى أعلم
ما فى قلبك من هؤلاء الاذلال وعند الصباح خذ منهم القادات
واضرب رقابهم بالسيوف المشرفيات ثم ان دريد أمر عبيده ان
ينصبوا لهم الاخشاب من الليل فايقن جميع الاسارى بالكرب
والويل وكان فى أوائلهم الامير عمارة بن زياد وكان ذلك التدبير
فى الليل وفى الصباح أشرف عنتر بن شداد وكان دريد قد أخرج
الاسارى للاصلب من حنقه عليهم وغيرته وقارب بهم أبيات بنى
عبس وأوقف كل واحد تحت خشبته وجعلهم ثلاثة أقسام وعزم
أن يسقيهم كأس الحمام وقال لرجاله وعشيرته اذا رأيتمونى صلبت
عمارة بن زياد وأسقيته كأس منيته فكل من كان معه أمير يضرب
رقبته (قال الراوى) ولما نظرت بنو عبس الى هذه الافعال خافت
وهاجت كما تهيج الجمال وماجوا يمينا وشمالا وقد صاحوا خوفا على
الرجال واطم الربيع بن زياد على راسه حتى كاد وقوع أضراسه
وهو ينادى واحسرتاه عليك يا ابن امى وأبى ويا من أرجوه لكشف
همى وغمى ويا حزنى عليكم يا اخوتى وبنى عمى ومن بعدكم من
أرجوه لكشف همى وغمى ثم أراد أن يحمل هو ومن معه من أقارب
المأسورين حتى يخلصوهم مما هم فيه من العذاب المبين واذا قد
أشرف عليهم فى ذلك الوقت عنتر بن شداد ومن معه من الرفاق
الاجواد ونظر بنى عبس محصورين بين الحيا م ليسوا قادرين
على الكلام فحمل بمن معه بقلوب ملآنه حنق وصاح فى أوائلهم
عنتر وزعق وأطلقوا رؤس الخيل فقال عنتر لابيه شداد وعامر
ابن الطفيل ومقرى الوحش جودوا أنتم الطعن والضرب ولا تشغلوا

أرواحكم بأسر ولا بنهب وجدوا بنا حتى نخلص هؤلاء المأسورين الذين أشرفوا على الهلاك ونجود عليهم بالفكاك ونبعد الاعداء عنهم في فسيح البر وبعد ذلك لنا تدبير آخر (قال الراوي) وان قبائل العرب ارتخت عزائمهم وضعف منهم الحيل لما رأوا ذلك الجيش وعلموا أن هذا عنترة وراءه عامر بن الطفيل وعلموا انه صالحهم وما بقي له قعود عنهم فعند ذلك ترتبوا للقتال وقال اللقيط يا دريد هذا الحساب الذي حسبناه وأنا كنت أقول لك في غيبته أطلب الانجاز وأنت تطاولهم في البراز فقال دريد وما الذي تغير علينا وبعد ساعة نفني هذه الطوائف التي قدمت علينا وأقول ما هم أكثر من خمسمائة فارس وفيهم طائفة من بني عامر وأتوا اعانة لهم على ما نزل بهم وأنا أريك ما ذا أفعل بهم وببني عامر من بعدهم وما أنزل بهم من النعس والنكس بعدما أفني بني عبس ثم انه صاح في فرسانه ووكل بالاسارى جماعة من العبيد وأوصل الطعن بسنن الاصل واختلف الضرب تحت الغبار والقسطل وفرحت بنو عبس بقدوم الامير عنتر فصاحت وكادت قلوبهم من الصياح أن تتفطر وخرجت من بين الضارب والخيام وجعل الملأ قيس ينادي هاقد أتاكم الفرج يا بني عبس الاخيار فخذوا لانفسكم بالثار وقاتلوا الاعداء الاشرار وساعدوا من أتاكم يعينكم ويحفظ أموالكم وحريمكم فنادوا كلهم بلسان واحد يا ملك قيس ما بقي لنا حاجة تمنعنا عن القتال ومن لم يجد الطعن والضرب فما هو بولد حلال ثم انهم تبادروا يركضون بالخيل خبب وانتخوا نخوة العرب وماج البر وانقلب وترغرغت جوانبه واسود من الجو مشارقه ومغاربه وهاج الجيش واضطربت مواكبه وصاحت الخيل بالصهيل وضاق على

الهارب فسيح البر وسباسبه وسدت طرقه ومذاهبه وشاب الطفل الصغير وابيضت ذوائبه وانجم اللسان عن ردّ الجواب لمن يخاطبه هذا وأبو الفوارس حامية عبس عنترة أظهر عجائبه وشاهدت الشجعان طعناته ومضاربه ومازال هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ورجاله وأقاربه حتى ردّوا القبائل الى الفجاج وخضعوهم وساقطوهم افرادا وأزواج وبانت الاخشاب الذى نصبها دريد للاسرى وصارت من وراءهم فى البر والفلا ونجوا جميعا بشجاعة عنترة حاميتهم من الصلب والبلا وجعل كل من له قريب يحمله من كتافه بعدما كان أيقن بتلافه وطلب كل واحد أهله وأقاربه وهم لا يصدقون بالنجاة وكان من جملة الذى خلصوه الامير عماره وهو الذى كان أصل هذه العباره فارتفعت مقاصله وزادت به الخساره وما بقى يساوى بين الفرسان شعرة حماره فأقبل اليه بنو عبس وحلوه ومن لحيته مسحوه فوجدوه مما حصل به خزيان فاشتبك ثوبه فى الخشبة فشقه وصار كأنه عريان ولكنه بخلاصه من القتل فرحان وبقى يجرى ويلتفت الى خلفه كأنه لذعه ثعبان ونظره دريد وهو يجرى فى القيعان وعورته مكشوفة وحاله لم يسر انسان عند ذلك التفت دريد الى بعض الفرسان وقال له الحق هذا الرجل المحارب واسقه كأس المعاطب وان لم تدركه فاضربه بنبلة تهلكه وحسر عليه ناسه فان هذه الفتنة من تحت رأسه فأطلق الفارس لجواده العنان وطلب عمارة مثل الشيطان ونظر عماره ذلك الفارس قاصدا اليه فشد عزمه وهو خذلان وبقى من شدة خوفه يجرى مثل الحصان فما كان من الفارس الا أنه أخرج نبلة من كنانته وضربه بها من حرقته وفجره وبالمصادفة أثبت عمارة فى ذيره

فحملها عمارة هاربا حتى دخل الخيام وداربه العبيد والخدام وهنوه بسلامته وصبره وأخرجوا النبلة من دبره فزادت فرحته ومسرته بعد أن أيقن بنزول قبره (قال الراوى) هذا ما كان من الاسارى وشيخ العرب عماره وكيف حل به من الخساره وأما ما كان من بنى عبس وبنى عامر وما فعلوا فى ذلك اليوم من الهول العامر فان عامر بن الطفيل عمل فى بنى مشاجع وبذل هو وبنو عمه فيهم السيوف القواطع وطعن سعيدا أخا اللقيط فقتله فعندها حمل اللقيط عليه وقتله وعلى أخيه جرت مدامعه ودام الضرب مختلف والغبار منعكف والدماء ترفرف حتى أقبل الليل وافترقت الرجال والخيل ولما عاد عنتر تلقاه الملك قيس واخوته والربيع بن زياد وجماعته ونزلوا عن الخيل وتباشروا باللقا وصاروا يمكون ويدعون له بالعلو والارتفاع ويقولون له يا ابن العم سامحنا عما سلف ولا تؤاخذنا بما جرى من العيوب والكلف فأنت المالك ونحن المماليك ولا لك فينا شريك فشكرهم عنتر على مقالهم وترجل اليهم وقبل صدورهم وقال يا سادتى ما أرحل الا اذا طردتمونى لاجل التخفيف عن قلوبكم ولو أعلم انكم ترضوا عنى بعد يوم أو يومين مثل ما تفعل الحبائب ما كنت أغيب عنكم ولا أكون غاضبا ولو قطعتم جسدى بالسيوف القواضب ثم انه دخل الى المضارب وكل من كان من بنى عبس تقرب اليه حتى نساء الحى عظمنه أعظم حى وهم يدعون له ويثنون عليه ويقبلون يديه وصدره ويقولون له لا أوحش الله منك يا سيفنا القاطع ودرعنا المانع وبات بنو عبس تلك الليلة فرحين غير حيارى بخلاف الليالى الماضية لاجل الاسارى واطمأنوا على البنات العذارى ولما غسق الظلام قدموا ألوان الطعام وافتقد

عنتر لعروة بن الورد فما راى له خبر وسأل عنه فما أعطاه عنه أحد خبر فتنغص عيشه وتكدر والتفت الى من عنده وقال الليلة ما أخوفني عليه ممن يقتله فقال شداد رأيته مع دريد بن الصمه يقاتله ويجادله وما أدري أمره أقتله أم انزل به شيأ من النقم فقال عنتر ان فعل ذلك لاقتلنه أشر قتله وأهلك بني هوازن وجشم وأذبح الجميع ذبح الغنم وبات عنتر ضيق الصدر على عروة ما يدري ما حل به من البلوى وأما دريد بن الصمه فانه رجع وقد خسر في ذلك اليوم أعظم خساره وبات وهو يعض يديه أسفا على ما فاته من قتل الاسارى وكيف كان خلاصهم وكذلك جرى على الاقيط بن زراره من أجل قتل اخوته وما جرى عليهم وصار يقول لمن معه من الرجال يا بني عمي لا بد ما أبذل المجهود وأجمع العساكر والجنود وأبطالا وفرسان أخيار حتى أقلع من بني عبس الآثار وكذلك بني عامر الاشرار ولو تعلقوا بالفلك الدوار وكذلك جرى على دريد من مونة عامر بن الطفيل لعنتر وما صدق ان الفجر قد انفجر حتى خرج الى الميدان وطلب البراز وأراد ذلك الثبات لمن معه من الفرسان لان أكثرهم عول على الهرب والارتحال وعند مجيء عنتر قد خابت الآمال فخرج دريد يصطلي نار الحرب بنفسه وبروحه وينظر صهره ذا الطمار سبيع بن الحارث لانه اذ كرنا انه تركه قائما على أثره الى هذه الديار ويعلم انه اذا أتى قضى الاشغال وقتل الابطال فبرز الى الميدان وصال وجال وطلب البراز والقتال واذا بعنتر قد برز اليه فمنعه من ذلك عنتر وقال له يا فارس الشام أما اعلم أن ثبات هذه القبائل كلها بهذا الشيخ ولولاه ما ثبتوا وان ظفر بواحد منكم عادت عزائمهم قويه كما أنتم فعد أنت لمالك قيس وعاونه على

ترتيب الصفوف ولا تزالوا وقوف حتى ترونى أخذت هذا الجبار الموصوف فاحملوا ذلك الوقت بحملة صادقة بنية موافقة ومكنوا من الاعداء السيوف الماحقة ونكون قد بلغنا المنال الان هذا الرجل ما يخفى عليه من أبواب الحرب ما بعد أودنا الاجل ما قاسى من الفرسان ولا لقى من الابطال والشجعان فى هذا العمر الطويل من العناوان لم يبرز له عنتر بن شداد أحد يبلغ منه مراد لانه جبار مكار فتبسم مقرى الوحش من كلام عنتر وعلم انه بمثل هذه الامور أدرى وأخبر لاختباره الفرسان بين يديه حين تذكر فتأخر مقرى الوحش وتقدم عنتر الى الميدان ولما قارب الاعداء صال وجال حتى حير عقول الابطال ثم تذكر ما جرى عليه من الاحوال فأنشد يقول هذه الابيات

سكت فقر أعداء السكوت * وظنوا انى أهلى نسيت
وكيف أنام عن سادات قوم * وفى افضال نعمتهم ربيت
أنا عبدهم ان أبعدونى * بعدت وان هم ارضوا رضيت
وان دارت بهم خيل الاعادى * ونادونى أجب كرها أبيت
بسيف حده تقسم المنايا * ورمح سنه الموت المميت
أنا العبد الذى ألقى الاعادى * بفرح فى لقا الهيجا ثبوت
فى الحرب العوان ولدت طفلا * وفى حجر المعامع قد ربيت
أرى الدنيا تحت أقدامى تزلزل * وتهتز الجبال اذا مشيت
فما للرمح فى جسمى نصيب * ولا للسيف فى الاعضاء قوت
خلقت من الحديد أشد قلبا * وقد بلى الحديد وما بليت
وأهوى الطعن بالسمر العوالى * ومحياياً بها وبها أموت
ولو أنى شربت دم الاعادى * بأقحاف الجماجم ما رويت

ولى بيت على فلك الثريا * فقصر لعظم هيبته البيوت
وانى قد برزت اليك حتى * أذيقك من يدى الموت المميت
أنا عنتر بن عبس المسمى * اذا دعيت فوارسها دعيت

(قال الراوى) فلما سمع دريد بن الصمه كلام عنتر وشعره زاد به الحقد والغيظ فصاح فيه وقال له ويلك يا ردى الابن ويا أسود البدن عدت وذليت لبنى عبس بعد ما طردوك وأبعدوك وانكروا نسبك وما حمدوك واستعروا من النسب وما أعطوك وأدانوك والآن أحضروك وفى قتالى أطمعوك فقال عنتر يا دريد لقد خانك دهرك وطاش سهمك ولا بقى لك من الخلاص سبيل الا ان كنت تعتذر لى قبل أن أقطع عمرك الطويل وتركتك فى هذا البرقتيل وأما قولك أنى رجعت الى قومى بعد الغضب فما هذا عجب لان المولى لابد على عبيده تارة ترضى وتارة تغضب وهذا مقام القتال وهذا مقام المحاجمة والمقال وفى هذا اليوم يبان الرابح من الخاسر اذا سال الدماء من الاوداج والمناخر فدافع عن نفسك بالسيف البواتر والا تبقى طعما للوحوش والنسور الكواسر

(قال الراوى) ثم انه انطبق عليه وصاح وقد اشتد بينهم طعن الرماح وضرب السيوف على الصفاح وتكافح الاثنان أشد كفاح واندهشت منهما المقل الصحاح والحمام أرسل بينهما سهام وملك الموت سل على رؤسهما حسام واختلف بينهما الضرب والصدام وكثر بينهما المعاركة والخصام وقل منهما الكلام وكان دريد ابن الصمه عرف الابطين فلان وأبصر فارسا ما نظر مثله فى سالف الازمان فاطهما الجلد حتى تقطعت الرماح فرميا بها وتقاذفا بالصفاح المتراشى وقرب الى نهب الارواح ودام الامر بينهما على

ذلك الحال حتى اعتدلت الشمس فى قبة الفلك وتعب كل واحد منهما وملك وما كان أكثر تعبا وملل الادريد بن الصمه لكثرة ما فعل لانه أحس ان مقاصده قد انفصلت وسهام المنية اليه قد أرسلت فخاف أن تحط منزلته عند قبائل العرب ويقال عنه انه أمره عبد لا قدر له ولا نسب فقال دريد وقد وقف للراحة وقال اعلم يا حامية عبس ان مثلى لا يدخل عليه الهال والصدق عند العاقل أحب الاشياء والانصاف من أعلى مراتب المروءة فى الانصاف وأنا وحق ذمة العرب أصدق من نفسى ولا أتخلق بالكذب ولا أرضى به وأنا قد قل منى الحيل والقوى وأسودت فى عيناى أقطار الدنيا ورأيت منك ما لا رأيته من أحد الا أن يكون من صهرى سبيع بن الحارث المسمى بذى الحمار وهو الذى شاع ذكره فى الاقطار وأريد منك ان تسترحانى وتضيفه ولا تظهر لاحد ما نحن فيه حتى لا تحط منزلتى بين القبائل وتخالف الفرسان أمرى وجميع المحافل فتفعل ما أقول لك وتخلينى لك عدة عند كل نائبة وشدة وترى بعد ذلك ما أفعل وما يصل اليك من الهدايا والمال اذا قبلت منى هذا المقال وتتركنى أعود سالم وعلى جاهى قائم فان الشجاع ما يكمل فى الشجاعة حتى يكمل بالمروءة والكرم والقناعة وأريد منك ان تقاتلنى ساعة وتعود عنى وتظهر لسادات قومك انك طلبت الامان منى ثم تشير على الملك قيس ان يأتى ويسألنى حتى أعود عنكم بهذه القبائل وأفرقها الى غدرانها والمناهل وتكون عودتى عودة المذلول فى رق الرابح المسؤل وترى بعد ذلك ما يصل اليك من الانعام ومافى حقك أقول بين محافل الكرام وان كنت تظن هذا الكلام خداعا أو غفول ولا دخل فى أذنك والمعقول فأنا أسلم روحى

اليك وأبقى أسيرا بين يديك حتى يأتى صهرى سبيع ويخلصنى بالمال أو بالحرب والقتال وانما يفوتك صداقة مثلى وتندم حيث ماسمعت قولى فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الانبهار ورغب فى صداقة هذا الجبار والاسد الكرار الذى تطيعه سائر القبائل والسادات وأراد أن يبقى له بذلك مجدا ويكسب شكرا وحمدا فقال له افعل مابدا لك وان كنت طلبت الاقاله فان عنترة قد أقالك لان مثلى لايخيب سؤالك ولا يرد مقالك ولايخالف أمثالك على انى وحق ذمة العرب لو أردت قتالك من أول النهار لقتلتك وتركتك رزقا لوحش القفار وانما أردت أسرك ليلا أونهارا لما سمعت ذكرك فعظم على أمرك وانك فارس كرار فغلب على الحياء منك وعاملك بالاعتبار وبعد ذلك أراد عنتر أن ينزل الى دريد ويضمه ويقبل صدره واذا بالمواكب تتابعت وأقبلت الخيل وخالد قدامها يزعق وهى مثل البرق اذا لمع وهم طالبون عنتر من كل موضع ولما أبصر عنتر الى هذه المصائب فعلم أن دريدا كاذب وانه خدعه وطلب أخاه يقاتله معه فقال له يادريد على مثل سنطلى هذا المحال قطعت شيتك وقطع منك المحال وأتيت به على أن أفرق هذه الجيوش فى البرارى والتلال ثم صاح به صيحة أرجف بها فؤاده وضربه بالسيف رمى به عنق جواده فوقع دريد واشتغل بنفسه واستقبل عنتر الخيل القاصده اليه ويرى أكثر رماحها بحسامه ونزل عليها باهتمامه وحمل مقرى الوحش وعامر بن الطفيل وصاح الملك قيس فى باقى الرجال والخيل وحملت رجال عروة بن الورد وزعق عم عنتر مالك بن قراد والامير شداد وتصايحت الفرسان على الخيل الجياد وقد جالت الصوارم الحداد وعاد الصلاح فساد وتمددت من القتلى

والاجساد على الارض والمهاد (قال الراوى) وما كان قول
دريد الاحق لانه لما رأى شجاعة عنترة اشتهى أن يكون له صديقا
ومجيرا ولكن جرت الاحكام بخلاف الضمير لاجل آجال تقاربت
وأعمار تناهت والاصل فى ذلك ان خالدا أخا دريد كان يعرف
منه اذا بارز بعض الفرسان وطال معه فى الميدان وأبصره يحدثه
لاجل أن يخدعه فيشغله الى أن تحمل الفرسان وفى حملتهم
اما أن يقتله واما أن يأسره وكانت هذه اشارة بينهم حتى لا يقال
عنه انه ناكس العهود فلما دارت الحرب ضربه فألقاه حيران ولما
وقع على الارض تضعضع وانهان وكان وقوعه بشدة وما أفاق على
نفسه حتى أدركه شيبوب وشده كتافا ولم يزل السيف يعمل
بهم حتى مضى النهار وطلبت القبائل الغربية الفرار الى الاهل
والديار وأراد اللقيط الهرب فأدركه مقرى الوحش وطعنه بعقب
الرمح أقلبه وأخذه أسيرا وما أقبل المساء حتى ما بقى من القوم نسمة
واحدة فقدام بنى عبس الابنى هوازن وجشم وكانوا معولين على
الهرب فثبتهم خالد أخو دريد وقال لهم يا قوم أخى دريد فى المصائب
ونطلب الهرب والنجاة من النوائب ونبقى حديثا بين الاعارب
أصبر وابا قى اليوم على الاثقال لما ننظر على أى شىء ينفصل الحال
فحاميتنا سيبيع لابد ما يصل الينا فى الحال وأخى دريد لابد له يعالج
بنى عبس ونرجع بسلام وان لم تتم هذه الامور ورأينا الغلبه
هربنا الان الهرب ما يفوتنا ولا معنا شىء يعيقنا وداموا على مثل ذلك
حتى أقام من القبائل الذى يلزمهم من دريد ملزم مثل بنى هوازن
وجشم وأما بنو سليم وبنو مشاجع أقاموا مع أخى اللقيط ينتظرون
ما يكون من أخبارهم وكان عروة معهم أسيرا فعولوا على ان يفادوا به

اللقيط ويعودون وجملة المقيمين كانوا عشرة آلاف فارس وأما العشرة آلاف الأخر قتل منهم من قتل وأسر من أسر وهرب منهم من هرب هذا ما جرى (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم عادوا مسرورين بالنصر والظفر وما منهم الا من يشكر عنتر وهو مشغول قلبه لاجل عروة فاحضر دريدا وسأله عنه فقال وذمة العرب ما هو عندى بل عند اللقيط ابن زراره وان خلاصه هين ما دمت أنا فى يدك ولكن من الرأى أن تنفذنى صاحبك لاجل الصلح حتى آخذ هؤلاء القبائل وأرحل بها عنكم قبل أن يصل من لا يقبل مصالحه ولا يحترز من المكافحه وهو ذو الحمار لانه أن وصل وأنا فى الاسر سفك الدما وهذا الرأى لكم فيه الحظ الاوفر من وجوه عديدة ولو لم تقع محبتك فى قلبى ما قلت لك هذا المقال وما كنت صالحتك بعد هذه الفعال وأريد أن أتخذك لى صديقا على ممر الايام والليالى فقال عنتر يا دريد ما بقى ينطلى على خداعك والمحال بعد ما فعلت الذى فعلته فى القتال واشغلتنى بالقتال حتى حمل على أخوك خالد فى فرسانه والابطال وأما قولك عن سبيع وتخويفك لى منه فهذا شىء لا يدخل فى قلبى منه خوف ولا بد لى أن أفضه بين الصفوف وآتى به أسيرا وأتركه على الارض طريحا عفيرا وان أعاقته الاقدار عن دخوله الى هذه الديار سرت الى بنى حمير وأقلع منهم الارض وأخفى منهم الاثر ولا أخلى أحدا غيرى بالفروسيه يذكر ولا يوصف فى قتال وأسود بذلك على جميع الابطال فحلف له دريد بن الصمه ان خالدا ما كانت حملته باختياره ولا أراد حملته ولا أمره بذلك ولا استشاره وانما أبا الفوارس هذه أقدار وآجال كانت تقاربت عندها الاعمار (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بالجريرا تى عنتر

أقبل من بني عامر ودخل على عنتر وعلى وجهه آثار تدل على انه
فزعان فقال له عنتر ويلك يا جرير مالي أراك في هذه الحاله وهذه
الحيله فأخبرني من تركته عند عبله فقال جرير يا ابن الام ان
نوائب الدهر تأتي بما لم يكن في الحساب وعبله وسائر النساء أشرفن
على السبي والذهاب وان لم تدركهن والا نزل عليهن المصائب
والعذاب لانه من بعد مسيرك من عندنا صابحتنا بنو نبهان مع زيد
الخيل وأحاطوا بنا وبني عامر وأنزلوا بنا وبهم البلاء العامر ودار وا
حول القبيله بالخيول الضوامر وتدفقوا مثل موج البحر الزاخر لانهم
قبائل مجتمعة وعشائر وأول ما فعلوه نهب الاموال وسوق الخيل
والجمال وأوقعوا بين القوم الحرب والقتال وزيد الخيل جرح
ملاعب الاسنه جرحا قد أشرف منه على الوبال ونسف بعده
الابطال وساق بني عامر بالحسام حتى ردهم الى أذيال الخيام
مخضبين بدمائهم الروابي والاكام وترك بني عامر مشرفين على
الهلاك ولا بقي لهم من الموت فكاك ولولا كبشة أم عامر بن الطفيل
لكان سقانا زيد الخيل كؤس الويل لاننا لما كنا في أطراف
الخيام واختلطنا بأهل الحي بغير أمر الاخوص بن جعفر والليل
والنهار يا أخي في شدة الخوف والحذر فقال له عنتر ان بني عامر ما علموا
بنزولكم بجوارهم فقال جرير يا أخي ما هم راضون بجوارنا ولا هم
قادرون أن ينظروننا فقال عنتر ان لم يكونوا راضين بجوارنا فانا أخليهم
يرضوا عنا ثم ان عنتر دخل على الملك قيس وقال له يا مولاي أنت
تعلم ان حريمكم في بني عامر ونحن جميعا بين أيديكم وفي هذه الايام
قد طرق ارضهم زيد الخيل مع بني نبهان واذا سبيت حريمهم سبوا
حريمنا معهم وأنا لا أبتغي أن أدركهم وها أنتم مستظهرون على

أخصامكم ولا يبقى عندكم من تحمله وجهه واذا حضر الفارس ذو الخمار ولا لكم به طاقة فصالحوا دريدا وهو يردهذا العداعنكم وانا لا أغيب الا مسافة الطريق فقال عامر بن الطفيل يا أبا النفوارس أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أقم عند أهلك وأنا أمضى الى بنى عامر أتحمل هذه الكبائر فقال عنترهذا لا يكون ثم انه أوصى مقرى الوحش بالحرب والقتال وأوصى الملك قيس بالتدبير والاحوال وبعد ذلك اعتمد وسار من أول الليل هو وعامر بن الطفيل وأبوه شداد وتمام العشرة فوارس من بنى قراد وكان قد ترك ابن عمه مالك عند مهلهل يحفظها فى نفر قليل من الابطال ولما ابعد عن منازل بنى عبس وعسعس الليل صار يذكر الحروب التى تواترت عليه والنوائب التى تتابعت اليه فانشد يقول

حار بينى يا نائبات الليالى * عن يمينى تارة والشمال
واجهدى فى عدواتى وعنادى * فرزاياك لا تنالم ببالى
لى قلب أشد من عزم الحديد * وعزم أقوى من راسيات الجبال
وحسام اذا ضربت به الدهر * تجلى به القرون الطوالى
وسنان اذا انعطفت فيه ليلا * هدانى وردنى عن ضلال
وجواد اذا ما سار بارق البرق * اراه بعد أثر النعال
اد هم يخجل الدجا بسواده * بين عينيه غرة كالهلال
يفدينى بنفسه وافتديه * يحمونى وأحمى ثم مالى
فاذا قام سوق حرب العوالى * وتلظت بالمرهفات العوالى
كنت ملاها وكان حسامى * تاجر يشترى نفوس العوالى
سباع الفلا للحرب لما اشتعلت * نارها ذابت اشاهقات الجبال
وتقول خذوا من اللحم قوتا * لبنيك الصغار والاشبال

واشكروا

واشكروا واذكروا ما رأيتم * وأجدوا واشهدوا لي بالفعال

فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات اطرب من كان حوله من السادات ومامنهم الا من تحرك حواسه ومالت به نخوة راسه وصار الموت عنده الذ من الشهد وسار واحتى حصل لكل منهم الجهد الى أن تنصف الليل ونزلوا حتى استراحت الخيل وركبوها الى أن صحوا ارض بني عامر صباح الا انهم ما قاربوا الخيام حتى سمعوا الضجة والصياح وبان لهم بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وعلموا ان القوم في حرب وكفاح وتبينوا أحوال الطائفتين فرأوا فرسان بني عامر خامدة الاصوات قريبة الحركات وهي تقاتل بين المضارب والابيات وتدافع عن النساء والبنات وملاعب الاسنة تارة يحمل يمينا وتارة يحمل شمالا وهو موثوق بالجراح والمواكب تصدمه من كل جانب كما تصدم الغريق الموجات وزيد الخيل ينادي في أول القبائل ويقول هيهات هيهات يابني عمي الاطايب ابذلوا أيديكم اليوم في ضرب القواضب ولا تبقوا على ماش وراكب فاليوم تكون المضارب والنساء الكواعب (قال الراوي) فلما سمعت الرجال كلام زيد الخيل تدفقت من كل جانب لانهم كانوا عالما كثيرا بعدد الكواكب وقد ذكرنا سابقا ما جرى لزيد الخيل مع عامر بن الطفيل لما أسره وأخذ خيل القوم من وادي الجماجم وعاد عامر بن الطفيل من أرضهم بالاموال والغنائم وأحوج زيد الخيل ان يجمع هذه القبائل ويسير بها الى ديار بني عامر وكان قد أشرف على قلع آثارهم وخراب ديارهم ولولا وصول عنتر بن شداد في ابطال بني قراد ولما نظر القتال عمال والدم يبذل قال لمن معه البدار يابني عمي البدار فبادروا قبل ان تسبي الاحرار ويعتريكم

العار فانا اليوم أترك بنى عامر تسترضى عنى وتعمد جوارى وتتحدث عنى بكل خير فقال عامر بن الطفيل أنا لابد لى من خصمى زيد الخيل لعلى آخذ منه الثار وانى لم أجد لذلك سبيل والا أشغلته عنك الى ان تلقى الهيبة فى قلوب الاعداء وتبيدهم فى البيداء فقال له عنتر اذا كان ولابد من ذلك فخذ معك ابى شداد ومن معه من فرسان بنى قراد حتى أصدم أنا واخى شيبوب الرايات والاعلام وتقضى النهار بالصدام وضرب الحسام واذا كان فى غداة غد أتولى أنا برازهم واشفى قلبى وقلبك من زيد الخيل وافرق هذه الطوائف قبل قدوم الليل ثم ان عنترة صاح صيحة الغضب ودخل تحت غبار الغيهب وغاص فى قبائل العرب وفرق جموعها وحمى شيبوب جواده ينبال وقد أبصر من ذلك اليوم ما هاله هذا وعامر بن الطفيل قد حمل وكان فارس قومه كما ذكرنا وحامية عشيرته كما وصفنا ففعل ذلك اليوم فعل الرجال وكذلك شداد ومن معه من فرسان بنى قراد هذا وبنو عامر لما أبصرت فارسها ارتفع صياحها وعاش بعد الموت أرواحها بعد أن لم يبق من الابطال الا اشباحها واستوى عندها فسادها وصلاحها وهربت الابطال ورضيت باقتضاحها ورأت سلامتها أجل أرباحها ومازال عامر بن الطفيل حتى وصل الى زيد الخيل وتراعقا وتلاصقا واوسعا فى المجال حتى بعدت عنهم الرجال وأخذا فى الصدام والالتزام وتجريع الموت الزؤام الا ان زيد الخيل سطا على عامر سطوة الجبابرة وأيقن عامر بالممات وما أشغل زيد الخيل الا صيحة علت من تحت الاعلام فالتفت فرأى الاعلام مالت وعنتر فعل فيهم كما يفعل الذئب فى الغنم فخاف على أبيه المهلهل فعاد اليه وترك عامر بن الطفيل

(قال

(قال الراوى) وكان الذى ميل أعلام بنى نبهان وفرق جموع القبائل والفرسان عنتر بن شداد لما حمل هو وأخوه فى طلب الاعلام ووصل اليها بعد نصف النهار وقد ترك الارض مملوءة من القتلى مخضبة الوجوه بالدماء ولما وصل الى الاعلام جرح أخوه شيبوب ووقع على الارض مطروب فرجع اليه عنتر كالريح الهبوب وأجلسه وهجم على الفرسان يطعن فى غاية الامعان فوقع شيبوب ثانى مره وأطبقت عليه الفرسان فرجع اليها عنتر كالاسد الغضبان ففرق الخيل من بين يديه ومن حواليه ويزعق فيه فيقوم على قدميه ويرميهم بالنبال حتى وقع فى الموكب الكبير فلما علم عنتر ذلك صرخ فى صاحب العلم الكبير وطعنه فانصرع وتفرقت المواكب وأبصر المهلهل هذه الامور فجعل يقاتل عن نفسه وكان حوله ابطال المقامع وارتفع الصياح من سائر المواضع ومازال عنتر يدافع الابطال ويطعن فى صدور الرجال حتى التقى به زيد الخيل وتواصلت معه الكتائب والعشائر وبان الحق من الباطل وتناثرت الجماجم مثل الحصى والجنادل فوقعت الرجال من على ظهور الصواهل وكان زيد الخيل قد وقع بعنتر عند المساء وقاتله حتى انفصلت المقامع وافترقوا وفى قلب كل واحد منهم لهيب النار كيف ما بلغ من خصمه ما يختار على أن عنتر لولا انه تعبان من الضرب والطعان ما كان فارقه الا بالانفصال ولما رجع دارت به فرسان بنى عامر وقد زاد الحقد وعرفوا قدره وقد صدقت ابنى عبس نياتهم وعاد عنتر هو وعامر بن الطفيل الى ابياته واجتمع مع ابنة عمه مالك وسألها عن حالها فشكرت حبشه أم عامر على ما فعلت معها من الجميل فى غيبته وطيب عنتر قلب مسيكه وأعلمها ان مقرى

الوحش قد تركه عند بني عبس يحفظهم وبنات النساء يشكرون
عنترة وأما زيد الخيل فانه عاد الى بني نبهان وهو مثل الاسد الغضبان
وهو يقول لهم لولا هذا العبد ولد الزنى وهجومه عليكم اليوم كنت
قد فرغنا من هؤلاء القوم فقال المهلهل يا زيد الخيل لا تقول هذا
عبد ولا تحتقر واحد فوحق الواحد الاحد لم تدمثله النساء ولقد
رأيت منه عجائب عند هجومي عليه ما لا رأيت من السباع الضواري
الذي أصيدها طول عمري فقال زيد الخيل وحق من أتى بهذا الليل
لا نثرن عمره عند الصباح ولو ان يده تمسك الفلاح وتدرك النجاح
ولا فرجنك عليه ولا أتركه الا والطير والوحوش يأكلوا في لحمه
وهيفيه ثم انه أقام على مثل ذلك حتى ذهب الليل الحالك وطلع
الصباح الضاحك وركبت الفرسان واعتدلت الصفوف وكانت
بني عامر قد باتت طول الليل حول أبياتها وكان عنترة قد دخل على
أخيه شيبوب عند الصباح وقد سأله عن ما هو من ألم الجراح
فقال له والله يا أخي ما بت الا وأنا مسكين لان جراحي منطة وقد
توهم منها قلبي من أجل منام رأيته فزاد كربي منه فقال له عنتر
وما الذي رأيت يا شيبوب فربما يكون أضغاث أحلام لا في بت
مكروبا فقال يا ابن الام ما كنت عن نفسي مغلوبا وانما صبرت
على ألم الجراح الى وقت السحر وقد غلب على النوم فنمت من أجلها
وأنا كثير الهم والفكر فرأيت اني عند الكعبة الحرام وأشكو
الاصنام وأطلب منهم العافية من الآلام وكان الصنم المسمى بالهبل
يقول لي ابشر فان جراحك تبرى عن قريب ويكون لك ولاخيك
حديث عجيب وعند الصباح تنتصرون على بني نبهان وتقهرون
عليهم بالطعان وتفرق عنكم العربان ولكن قل لاخيك

يحسن الى زيد الخيل ولا بيه وان ضعفه لا يؤذيه لانهما يخلصا كما
من الغلبة اذا ظهر عندهم الرجل المكنى بالاسد الرهيص ويكون
على قتلكما حريص ويبدل حياتكما بالتغيص ويبطل عليه أحاك
بعض أعضاه وفى ساعة واحدة يموت هو واياه وهذا الامر بارادة
الله وقد اقترب الاجل وفى أثره تطلع الشمس ويظهر الرجل كريم
النسب ويدل الناس على الطريقة الواضحة وينال الطالب المطلوب
ونرمى هذه الاصنام من على البيت الحرام ويرتفع عند الناس قدر
شهر رجب ثم بكى شيبوب وانتحب وقال يا بن الام انى أخاف
ان أجل أحدنا قد اقترب وقد استقى هذا الصنم ان يخاطبنا بالصحيح
ليلوح لنا هذه التلويح وما كنا نريد الا الحياة والعمر الطويل الى ان
يظهر هذا الرجل الجليل ونتعلم منه طريق الهدى ونكون من جملة
أعوانه على العدا فقال عنتر أما هذا الرجل فقد تواترت الاخبار
بظهوره وأما العدو الذى لنا فقد اشكلت على أموره وقد اشتغل
قلبى بهذا المنام وقد أحرمنى ان أمد يدى بحسام لشيخ أو غلام
ومالى الا انى اعتمد على أخذ الاسارى واسلم أمرى الى صاحب
هذه القبة الخضراء فما كتم أنت يا شيبوب هذا المنام حتى انا نفرغ
من هذه النوبة ونقصه على بعض الحكماء ان وسمع تأويله ثم انه
الفقد جراحه وشدها بعماد على ظهر الجواد وأخذ أخاه جريرا وخرج
من المضارب فوجد الصفوف قد اصطفت فقفز من بين الصفوف
الامير عنتر وجال وصال وهو على ظهر الجواد الابجر وهو متفكر
فى المنام الذى رآه أخوه شيبوب وكان قد سار وهو كثير الفكر فسلم
نفسه للقضاء والقدر فخطر فى نفسه أبيات تناسب أحواله فجعل
ينشد ويقول

اذا كان أمر الله أمرا مقدرا * فكيف يفر المرء منه ويحذرا
ومن ذى الذى يرد الموت أو يدفع القضا * وحربته مسمومة لا تعتبرا
وقد هان عندى الدهر مما عرفته * على انى فى ذى الملمات أخبرا
فليس سباع البر مثل ضباعها * ولا كل من حاص الحماجة عنترا
سلوا من صفوف كانت ملمة * فرجتها والموت فيها مشهرا
بصارم حد لو ضربت بحده * ظلام الليل ولى وهو بالصبح يفترا
دعى أحد السيف فى طلب العلا * وأعملوا ولا أموت واقبرا
وكم من منام قد أتانى معذرا * وكان رسولا بالسرور ومبشرا
قفى وانظرى يا عبل فعلى وعابنى * طعانى اذا طار الغبار مكدرا
ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا * ويرجع عنه وهو أشمث أغبرا
ولا يلتقى حتى يخلى جماجما * تمر بها ريح الجنوب فتسمرا
وأجساد القوم يسكن الطير حولها
الى أن يرى وحش الفلاة فيفقرا
هذه فعالى يا ابنة العم دائما * وانى بمادون البرية أخبرا

(قال الراوى) ولما ان فرغ الامير عنتر من هذه الابيات حتى تبادرت اليه الفرسان من سائر الجهات ومدت نحوه أسنة المرهفات لان جملة القبائل باتت تشتغل بفعاله وتنظر الصباح حتى تخرج الى قتاله ولما ان أبصر هؤلاء الابطال نحوه تبادرت خاف من بنى عامر ان تحمل الى معونته وتبطل عليه مبارزته فأمر أحاه جريرا ان يرجع بنى عامر ويوصيهم بالامتهال عليه والتقى هو والشجعان لمبادرة اليه وطلبها مثل ما طلبته ثم انه كفها بحسن خبرته ومعرفته وعاد اليه جرير حتى طرح على الارض عشرة جرح جماعة فلما ألقى الهيبة فى قلوبهم وأبعدهم عنه وتسع عليه المجال

قصد الرجال الذين من بني نبهان واعتمد على أسرهم لاجل المنام الذى ذكره شيبوب وأخذ معهم فى الطراد الى ان عبر نصف النهار فأسر مائتين فارسا وكان زيد الخيل كلما هم أن يبرا اليه يمنعه أبوه المهاهل من شفقته عليه ومازال يمنعه الى ان بان من عنترما بان وأسر من أسر من الفرسان هذا وزيد الخيل قد زاده الغيظ وصار النهار فى عينه مثل الليل ومن شدة ما جرى عليه أطلق عنان جواده وخرج من غير امر أبيه وكان تحته جواد مسمى الورد فانطلق به مثل الرعد حتى صار مع أبطال قومه فاقسم عليهم وردهم الا انهم قد ملوا وقصروا ولما رجعوا أظهر حسامه وهزه بقوة اهتمامه وطلب عنتر وهو يقول هذه الابيات

اذا جرح كفى حسامى مهندا * تمخض موج البحر منه وأزبدا
واطرق وجه الارض جرملبيه * وفرق ما بين النفوس وأبعدا
ونحن طرقنا أرض عبس بخيل * عتاق لانخاف من الردا
وصلنا عليهم صولة بعزيمة * بقينا بها فى العز حصنا مشيدا
ولما رأونا قد تركنا ديارهم * لوحش الفلا فى عرصة الدار موردا
أتونا بنو عبس بعهد بعزهم * ويصلح والعهد مازال مفسدا
فلا بد لى ما أن أخلبه ثاويا * تقاب الطير منه عظاما مجردا
لقد علمت نبهان انى حميتها * وانى جمعت الشمل ان يتبددا
وكان جوادى كلما مال ميلة * أقوبه حتى يرى الموت أسودا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه ورآه قد أركز رمحه أيضا فاستقبله بفؤاد ملآن وأجابه على عروض شعره يقول هذه الابيات

خليلى طاب الموت والنقع أسودا * بطعن الردينى والحسام المهندا

لحا الله شخصا قد بيت وقلبه * من الموت وجل اذراع وامتدا
فخلى أوفى الرمح حقه اذا * ماطعنا بحمر المنية مزبدا
أنا الليل فى كونى وكونى ومزبدى * أنا الصبح فى رفدى اذا الصبح بددا
أنا البحر الا انى غير مطعم * أنا الليل الا انى سمح اليدا
أنا القطر الا انى غير جالس * أنا الجمل القاسى لقرن اذا بدا
أنا كاشف الغمات عند حلولها * أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
سلى المشرفى المهند عنى فى الورى * يخبرك انى الدهر أوحد
تعودت خوض النقع مذ كنت يافعا * وكل أمر جار على ما تعودا
قليل شرب الموت حقا على الفتى * ولو كان فى قصر عليه مشيدا
تعيرنى بالدل انى أسود * ولست جبانا أو قصير اليدا
فان عيبت جلدى بالسواد ما ترى
برق محدود السيف حين تجردا
وان كان يوم الحرب يوما ماضيا * فلا عيب فيه كلما مر عددا
كذلك لونى أسود وفعائلى * تزداد على نور الهلال اذا بدا

(قال الراوى) ثم ان عنترا استقبل زيد الخيل بقلب قد اعتدل انصاء الفرسان وانصب عليه أيضا زيد الخيل انصباب الغيث اذا هطل فطلبا بالسيوف الهامات والكل وتصاربا حتى حارت من فعالهما العقل وصار بينهما الغبار وتقسطل واشتد الموت واقترب الاجل وسكمت اصاحبها كل طائفة بالموت المعجل وارتفع الصياح حتى اسفر السهل والجبل وتقدم الابطال باعلامه ورايته من خوفه على ولده وكذلك فعل عامر بن الطفيل فلله در الامير عنتر فى ملاقاته لهذا البطل الجواد بعد ما أسر من أسر وقتل من قتل من الفرسان مازال مع خصمه يطاول ويضرب بالصارم البتار حتى تقارب آخر

النهار لانه كان يريد أسره لاجل المقام الذي رآه أخوه شيبوب والا ما كان واراه هذه الدار وكثير من يطلب أسر غريمه وغريمه يريد قتله الا عنترا لما سمع صهيل الرجال ورأى النهار قد تغير لونه واستطار خاف ان يعود بغير انفصال فصاح في زيد الخيل صيحة ذهل منها من عظمها حتى سمعها القاصي والداني وضربه ضربا بسيفه فطير الزاق الفوقاني فسمع للضربة جلبة عظيمة فأرهفت أعضاءه وقد ظن انها طيرت أعلاه وفي هذه الدهشة صدمه عنتر وفاجاه وقبض على رقابه وجذبه من على ظهر الجواد وسلمه الى أخيه جرير هذا والليل قد عبر ونشر أجنحة السواد ومنع الطالب من المراد ورجعت سائر الطوائف والمهاول أبو زيد الخيل يمضي كفيه لهفا من فزعه على ولده وكذلك قبائل العرب فزعانه على فارسها زيد الخيل ومن فيهم الا من ذم الليل كيف انه أقبل والنهار كيف ولى وارتحل وقد انكسرت أغراضها وانهدت منها أركانها وأبصروا من عنترها لهم وأما عنتر فانه قد عاد وقد لقاه عامر بن الطفيل وهناه بالسلامة وشكره على فعاله وكذلك فعل ملاعب الاسنة والاخرمين جعفر وسائر فرسان بني عامر وما فيهم الا من قال والله يا حامية عبس لقد كسرت اليوم نفوس الاعداء ولا نقول انهم يقيموا عندنا أكثر من غد وقد فرقناهم في سائر البيداء وجيناهم افقاء فقال عنتر والله يا وجوه العرب ما هم الا خلق كثير وفيهم كل بطل شهير وان لم أداوهم هكذا يوما بين أو ثلاثة ما ينكسرون ولا يذلون وهذا أمر يريد طوله نروح ونجاوا والله قلبي الى قومي وبني عمي مشتاق ويحترق غاية الاحتراق اني جئت وخلفتهم تحت الوعد والفزع من هذا الغدار وأخاف بعدي أن يكون وصل اليهم وفتك فيهم والزاك بعدي اذ ذهبا السلام

تشرفون على زيد الخيل وعلى سادات قومه الذين أسروا معه وتقولوا
لهم قد أقبلنا اليكم ناصحين وفي اصطناع المعروف لكم راغبين فاذا
قالوا لكم وكيف ذلك فقولوا لهم ان هذا العبد الاسود الذي أسركم
اليوم في الكفاح قد عزل أن يضرب رقابكم جميعا عند الصباح
ويقذف برؤسكم الى بني عمكم حتى ينكسروا وهذا نحن ما نشتهيه
لانكم في أرضنا ودماؤكم تبقى علينا ونطالب بها صباحا ومساء
وهذا الرجل ضيف ان أقام عندنا اليوم ما يقيم عندنا غدا ونريد
منكم أن تحلفوا لنا انكم ترحلوا عنا حتى انا نطلق سبيلكم بغير
علة في هذا الليل فان أبيتم فأنتم تعرفون ما تلقون عند الصباح
فوحق رافع السماء انه عزل انه لا يبقى منكم أحدا أبدا وهذا كلامه
الساعة سمعناه عند أكل الطعام وما قدرنا نرد عليه لانكم أنتم
أسراه فاحفظوا دماءكم والا هذا العبد يبتر أولادكم ويرمل
نساءكم وعلى كل حال هذا عبد زنيم لا حسب له ولا نسب واذا قتل
أمثالكم ما يكون مغبون في هذا السبب واجتهدوا في هذه الاقوال
حتى انكم تملؤن قلوبهم خوفا ورعبا لعلهم يرحلون عنكم ويتفرغ
قلبنا لغيرهم والادخالات المضرة علينا كثيرة بمقامهم عندنا قال فلما
ان سمعوا الحاضرون كلام عنتر تعجب كل من كان حضر من حسن
فطانته فأجابوه الى ذلك ونزلوا لاجل أكل الطعام وصبروا حتى
امتدت رواق الظلام فعندها قام عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة
والاخوص بن جعفر وجماعة من فرسان القبيلة وساروا الى المكان
الذي فيه الاسارى وكان في وسط الحلة والعبيد دائرة بهم وكان جرير
قد ساق زيد الخيل اليهم وتركه عندهم وفي جملتهم الا أنهم لما صاروا
عندهم أعادوا عليهم ملاعب الاسنة كلما سمعه من عنتر في حقهم

وأكد في الكلام وصعب النوبة عليهم حتى ارتعدت أبدانهم
فقال زيد الخيل والله يا وجوه العرب ان الثقل علينا أصعب الاشياء
وأنتم فرسان وتعرفون هذه الاشياء والامور وتعلمون ان أحدنا اذا
ركب جواده لا ينزل عنه حتى يقول انه يلعب برأسه جواده وهذا
الكلام أصعب الاشياء وهذه النوبة ما سببها الا فارسكم عامر بن
الطفيل لانه أتى الى ديارنا وسبى زوجتي هذا وألقى الفداء بيننا
ولم لحقته وأسرته وطالبته بالفداء والمال فتسبب له الخلاص من
حيث لا أعلم وما كفاه حتى انه ساق خيلنا وخيل أهل الحمة عن
آخرها بعد خلاص نفسه وأحوجنا أن نجمع هذه العساكر لاجل
خلاص أموالنا منكم وقد أتينا اليكم ولولا ما كان اتفق لنا هذه
الامور والآن قد ملكتم فاحكموا وأمروا بما شئتم حتى انا نفعله
وحلفوا على جميع العسكر حتى انه ارتحل به والاموال التي كانت
لنا فدية لنفوسنا وجزية لرؤسنا فلما فهم في الكلام الاوجز
أخو الامير عنتر داخل عليهم ومعه حبل طويل وهو يعيط وينفض
والدموع تجري من عينيه فقال له عامر بن الطفيل مالك يا جرير
وما حالك فقال له ان أخي شيبوب قد أشرف على الهلاك والعدم من
الجراح الذي فيه والساعة دخل عنده أخي عنتر ليفتقده فرآه هالك
لا محالة ولم يبق له عمر يوديه الى الصباح فبكى أخي عند رأسه ونام
وقال له يا ابن الام اطلب مني حاجة قبل رحيلك من الدنيا فقال له
ما أريد منك يا أخي الا عشرة فوارس من بني نبهان ويكونوا من أعز
الفرسان وتذبحهم بين يدي قبل ان تفارق روحي من جسدي
لاني قمت اعلامهم جرحت فلما سمع منه ذلك أخي عنتر قال له هذا
أهون الاشياء الي ثم انه نادى أعطاني هذا الحبل وقال لي اشدد

فى هذه الساعة وشد زيد الخيل وعشرة من الفرسان المشاهير من
ساداتهم وأتيني بهم مشدودين مذلولين حتى انى أنحرهم فقام أخى
شيبوب واذا بقى الى الصباح ضربت رقاب الباقين بين يديه وكانت
هذه الرسالة من صاحب الهمة شيبوب لان عنترا لما تفرج مما كان
فيه سار الى افتقاد أخيه شيبوب وكان مطروحا عند أمه زبيبة
فأعادعليه ما فعل ومن قتل ومن أسر وذلك الكلام بعد ان رآه
قد اصلحت أحواله وهو فاعد يحدث أمه بما جرى ففرح بسلامته
وأعلمه أيضا بما دبر حتى تنفك عن بنى عامر هذه الجيوش فقال
شيبوب هذا تدبير جيد وأنا آكد القصة بكذا وكذا حتى يذل
زيد الخيل و يفزع وان أمروه بشىء فلا يمنع لان نفسه عليه عظيمه
وانه لا يختار القتل على الهزيمة فلما سمع عنتر ذلك رآه صواب وأنفذ
جريرا بذلك الخطاب فأتى الى قومه وهم فى الحالة التى ذكرناها
فبلغهم الرسالة وأدى المقالة فما فيهم الا من ظن ان هذا الامر صحيح
الا عامر بن الطفيل فانه من كثرة مخالطته بعنتر علم ان هذا تأكيد
فى القصة فشد قلبه وقال له يا مولد العرب ان هذا الامر لم تطاوع
أحاك عليه ولم تفرط فيمن وقع فى أيدينا مادام فى خيلهم قوة وهذا
الامر الذى عزم عليه فيهم يكون فى أرضه و بلاده وهذا شىء
لم نمكنه منه مادام ان هذا صار فى بلادنا وأرضنا وهذه الكثرة
كانت عندنا وهم حوالينا على اننى أعلم انك ما ترجع الى أخيك
الا بمطلب والا اشتد على أمراء الغضب وما فى الامر الا انى أسير
أنا اليه واسأله فى ذلك ولا انسب لهؤلاء القوم فى اسباب المهالك
ثم انه قام الى جرير يسأله عن هذه القصة ان كان لها حقيقة أم لا
فقال له زيد الخيل وقد انقطع معه قال وقال يا عامر انى حلفت بالله

العظيم

العظيم رب زمزم والحطيم انى لاعدت أجرد فى وجهه سيفا
ولا أمد له قناما دمت فى دار الدنيا ان هو أطلقنى سالم وان رأيته لج
فى هذا الامر وطال انه لا يقبل منك سؤال فاشير عليه أن يحمل له
عشرة فرسان من الذين هم مأسورين معنا فى هذا المكان من
مجاهيل قومنا ودعه يذبحهم قدام أخيه ويتركنا ونحن نحمل اليه
دية رؤسنا ولو كانت وزنهم ذهبا ان هو أطلقنا من أسرنا والاعتقال
وكان فى الاسرى رجل مملوك وكان بعيدا عن الديار وقد اتى فى طلب
المكسب والمعاش وكان اسمه المدفوق ولقبه المذلول فقال يا زيد
الخيل الرجل لم يقبل فى هذه النوبة سؤال ولا يقتل عوض أخيه
الا رجلا منسوبا وقتل الذليل ما يشفى غليل فلا ترد عن نفسك
بسواك ولا تفر من الموت اذا أتاك قال فضحك عامر بن الطفيل
من هذا الخطاب وعلم ان الجميع قد فزعوا من ضرب الرقاب فقال لهم
عامر ابشروا بما تريدون فما يأتيكم الامر الا بما تشتهون ثم انه أخذ
جريرا وغاب قدر ساعة وعاد بعد ما علم بالمقصود والمراد وقال
للاخوص بن جعفر خذ القوم يا أمير وحالفهم وأطلقهم قبل الصباح
والا نهبت أجسادهم بشفار الصفاح لان هذا الرجل ما يفكر
فى عاقبه ولا يخاف من البائبة وان مات أخوه شيبوب قبل ذهاب
الظلام فما يصح من هؤلاء القوم لا شيخ ولا غلام فعندها قال
الاخوص لزيد أى شىء تقول يا وجه العرب تحلف ان تأمر قومك
وأباك بالرحيل حتى نطلق لك السبيل أو تلزم اللجاج وتقيم فى أمر
هذا الشيطان الرجيم فقال زيد الخيل أيها السيد ما بقى فينا من
يريد المقام ان تفضلت علينا بالاطلاق بل نحلف لك برافع السبع
الطباق انك ترتحل بقومنا من قبل ذهاب الظلام ومانع الصباح

يصبح وحولكم منادياً ولا من ينفخ النار ثم انه حلف له عن نفسه
وعن بني نبهان وكذلك حلفت باقي الاسرى من فرسان القبائل
فحملوهم بنو عامر من الوثاق وأفرغوا عليهم عددهم وحبوهم من
وفهم وقد انسلوا تحت ظلام الليل والدجاوهم لا يصدقون بالنجا
ولما وصلوا الى مكانهم كل طالب منهم قبيلته وعشيرته وأخذهم
وسار يطلب ديارهم والاطلال وأما زيد الخيل فما صدق أبوه ان يراه
سالما وقد أعلمه بقصته وقد ذكره المال والجمال وما طلع النهار الا
والدنيا نهبهم بلاقع وحملت بنو عامر بذلك فصابت قلوبهم وانجلت
كروبهم وخلى أيضا بال عنتر ثم انه ركب مهوة جواده الابجر وقال
لابيه يا أبت هذا باب عنا قد انسد وهذه النساء اللاتي قد أمنا عليهم
ولكن أنا فزعان من هذا الجار على قومنا ان يكون وصل
اليهم من بعدي وسطا عليهم بغدر وسيلته فان كان هذا الامر كما خطر
ببالي وقد جرى فأنا أعلم انه ياخذ دريد بن الصمة من الاسر وربما
انه أسر مقرى الوحش ان كان كما سمعت عنه انه من أهل الشجاعة
والبطش فقال له شداد والله يا ولدي ما حسبت الاحساب الرجال
وما في الامر الا العود فالزم والكشف عن أحوالهم ثم انه ركب هو
ومن معه من الابطال وكذلك فعل عامر بن الطفيل وقد استكثر
من الفرسان والشجعان وعلم الاخوص بن جعفر بذلك فركب
وسار في فرسان بني عامر فرده عنتر وقال له اذا كان ما قد امنا أمر
يوجب الى أنجادك والمسافة بيننا قريبة وأما ملاعب الاسنة فانه
حلف أن يكون بصحبته ولم قدر عنتر أن يمنعه من ذلك فشكى عنتر
وسار وطالبين ديار بني عبس ومازالوا سائرين حتى قاربوا الديار
واذا بالغبار قد ثار والقتال عمال وأهوال تدل على حرب شديد

مهول فقال عنتر يا للعرب ما هذه والله علامة خير ثم حرك الجواد وساق وتبعته الرجال والرفاق الى أن وصلوا تحت الغبار فأبصروا فرسان بني عبس وهم نافرون ومن خلفهم فارس طويل القامة هائل الصورة عريض الاكتاف وعليه حلة حمراء وفوقه ثوب من الزرد وهو راكب على جمرة حمراء وبيده قناة سمراء وهو يطعن في ظهور الرجال وكلما طعن فارسا أرماه ومعه فارس آخر كأنه النسر المعمر وهو يرد الابطال ويقصر الاعمار الطوال وهو ينادي يال حميرا نا المسمى بذو الخمار ومشبع الاطيار وخالد الآخر عن يمينه وكذلك دريد بن الصمة ينادي أنا دريد بن الصمة عالي العزيمة والهمة وعن شماله اللقيط بن زراره وقد اشتهر بالقوة والشطاره والابطال من حولهم متتابعه والرايات والاعلام من كل جانب خفاقه والسيوف تلمع من تحت الغبار والصيحات مرتفعه والجماجم مدحرجه فلما نظر عنتر ذلك ابيض سواده ورجف قلبه ونادى يا بني عمي أ تنتظرون الى تلك المصايب والله لقد حسبت ذلك الحساب واذا رجعنا الى الصفوف ما فيكم من يرد جواب بل احملوا وجددوا الطعن والضراب ثم اسرع مدعينه فرأى مواكب بني عبس والملك قيس في الانقلاب وقد مالت عليه كالعقاب فصرخ صرخة الغضب وكان جواده مع أخيه جرير بجنبه فقدموه وركبه وصار يطعن آخر الفارين وأوائل الطالبين وركبت فرسان بني عامر النجائب وانصارخت فرسان بني عبس من كل جانب وعرفت عنتر وسمعت صوته فردوا الاعنه وقوموا الاسنه وصاحوا من شدة الفرح وانقلب البر الصياح والتقى عنتر بذو الخمار واصطدما مثل موجات البحار وكذلك ملاعب الاسنه مع دريد بن الصمه

واللقيط ابن زراره مع عامر بن الطفيل (قال الراوى) لكن صدمة ذوالخمار مع عنتر كانت مصيبة عظيمه لانها ارتجفت منها الابدان وشيبت الولدان وحيرت الشجعان وطال بينهم الامر وصار كل واحد منهم يهمهم كأنهم الاسد الجيعان وزين لهم وجه الهلاك فيالها من ساعة ما أشدها ولها لان بنى عبس عند عودتها رأت ذوالخمار وولديه مشتغلين عنهم فطعنت المواكب التى خلفها وما كانت الاظاهرة على أعدائها وانما ذوالخمار كسرها وأنزل بها العذاب لانه صبحهم فى الليله التى صار عنتر فيها الى بنى عامر وقد ذكرنا انه خلا عندهم دريد أسير وكذلك اللقيط ابن زراره وانه أصعب الاعداء الذين كانوا مع خالد بن الصمه وترك مقرى الوحش وقواه بثلثمائة فارس ومافارقهم الا وهم على غاية الاستظهار ولما ان أتى ذوالخمار تلقى خالد بن الصمه وبكى فى وجهه وأعلمه ان أخاه أسير وأعلمه أنه لولا استظهاره كان قد هرب فى الليل فقال ذوالخمار وقد ألمه ذلك الكلام من أسر دريد وفعل معكم هذه الفعال فقال له يا ابن الم فعلها معنا عنتر بن شداد ثم انه حدثه كيف ان عنتر كان غضبان فى بنى عامر وكيف انهم كانوا أشرفوا على نهب أموال بنى عبس وهلاكهم وكيف أتى عنتر وأسر دريد بن الصمه فى المجال وفعل بهم تلك الفعال فلما سمع سبيع منه ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وقد غشى عليه وقال الى متى يا خالد أن تحدثنى بهذا الحديث فانه قرح القلب والاحشا وحق من حال بين الظلام والمسا لاخليت من بنى عبس من يمشى على عصى ثم انه غير جواده وغرق فى عدة جلاده وكانت بنى عبس قد ركبت وتعدلت وعلى أعدائها قد استظهرت ولولا وصول ذوالخمار ولا كانت حملت

وانما أشغلها وصوله اليهم لانها كانت سمعت بأخباره وعرف منهم مقرى الوحش ذلك فتقدم اليه لاجل أن يتلقاه ويكشف عنهم شره وينوب عن عنتر عند غيبته وكذلك فعل الكلام فارس بني كريم لانه قد ذكرنا قتاله وفعاله مع بني عبس وأخبرنا انه كان فارس جبار وكيف لحقوه بنو عبس وهو يقاتل عساكر دريد لما أخذوا غنائمه قبل هذا الكلام لانه كريم من نسل قوم كرام وكان معه ألف فارس همام وهم مقيمين معه فقتل منهم أوفى من مائة فارس والباقي معه يقاتلون بنيات صافيات وكان هذا أيضا مقامه وحفظه للعهود وقد وقع في حبال الهوى والقيود لانه نظر الى الجانه بنت قيس لما خرجت من جملة النساء وسارت الى بني عامر ترضى عنتر بن شداد وكان نظره لها سبب هلاكه في هذه البلاد فلاجل ذلك طاب قلبه على القتال وقد تصور في قلبه أنه اذا قاتل ونصح في القتال وانكشفت الشدة عن بني عبس يطلبها من ابيها ويتزوج بها ويقيم عندهم بالكلية وهذا من جملة الأطماع التي تضرب بها الرقاب ولقد أحسن مجنون ليلى لما ذكر في شعره هذا البيت

أأطمع من ليلى بوصل وانما ✻ تضرب أرقاب الرجال المطامع

قال وهكذا أصحاب هذا الرجل لانه تقدم في الاول ينتظر وصول سيبع أبي الخارث حتى يحمل عليه ويرد شره عن بني عبس ويتقرب بالخدمة الى الملك قيس فطعنه سيبع في صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره وأبصر مقرى الوحش هذه الطعنة فهاله ذلك وقال والله ما رأيت مثلها الا لعنتر وقد صدق الواصف فيه وما لحق مع هذا الرجل الا على خطر ثم انه فارقه وتلقاه وقد خاف من غيبته عنتر أن

تطول فطعنه بالرمح ساعة من النهار فرآه جبار لا يقع له على عيار
وأبصر سبيع أيضا مقدرى الوحش فرآه فارس عظيم وانه يجود
فى الطعان فخاف أن يقضى معه الآفات ولم يستدرك مافات فأظهر
التقصير والتكسل وبين الطعنة موضع ومقتل وأمهله حتى طمع فيه
وفاره وضربه ضربة جبار على عاتقه الايسر فقطع الزرد وحل
كتفه وزماه من على ظهر الجواد فلما نظر بنو عبس ذلك حملوا
عن آخرهم وسائر جموعهم وحملت معهم فرسان بنى كريم وقد
أصابهم على صاحبهم مصاب عظيم وكذلك جرى على قيس واخوته
وما فيهم الا من قال قتل الكليم وما جازيناه على جميله وحملت مع
سبيع اللعين الالف فارس التى وصلت معه من بنى جبير وحمل أيضا
خالد بن الهمة فى العسكر التى بقيت معه من بنى هوازن وجشم
وتغيرت الاحوال والشيم وذل الجبان الغشمشم وتساوى الذليل
والمحتشم وعاد الوجود عدم وأظلم النهار واعتم وولى الجبان وانهزم
وتساوت العبيد والخدم وما أمسا المساء الا وبنو عبس يقاتلون
حول البيوت والضارب وقد فنى منهم جمع كثير من الفرسان
والاقارب لان ذو الخمار نسفهم بسيفه نسفا وفرق صفوفهم
بالطعن صفا وسقاهم من الموت كأسا مصفا وما مضى النهار اقبل
الليل حتى عدم من بنى عبس القوى والحيل ودارت بهم الرجال
والخيل فقال ذو الخمار لاصحابه امسكوا عليهم الطرق والمذاهب
او أبصروا ما أفعل بهم اذا طلع الفجر ولاح لانى قتلت فرسانهم
الذين عليهم المعتمد وفى غداة غد ما يبقى منهم أحد وهكذا ان يحق
لهذا الفارس أن يقول مثل هذا المقال لان الحرب كانت تعده
فى الحرب بألف فارس واذا كان معه ألف فارس كان يلتقى بها

سبعة آلاف فارس ولولا فرسان بني عبس فرسان المنايا ما كانت
فامت بين يديه ساعة واحدة على أنهم ما باتوا الا وهم مشرفون
على الهلاك وأرادوا أن ينفذوا الى عنتر رسولا فما وجدوا لذلك
رسولا فباتوا يدبرون في أحوالهم ويوعدون رجالهم وعيالهم لانهم
قد أبصروا ما أهالهم وصار ينوز ياد يقولون هذا فارس عظيم
وهو أفرس من عنتر وأشد قتال وجلادا لان مقرى الوحش كان
يناظر عنتر في الشجاعة وما أقام مع هذا الشيطان الا ساعة وكانت
نحو جشم قد شالت مقرى الوحش من تحت أرجل الخيل وشدته
على الاكتاف وتركته عند عروة بن الورد لان الملك قيس لما رأى
ذلك الامر أرسل الى سبيع يطلب منه الصلح فقال له يا قيس هذا الامر
ما تراه ولو في المنام والا تسلم الى بني زياد الذين اشتركوا في قتل
عبد الله بن الصمة والا أتركهم كلهم مطروحين بين أطناب
الخيام فلما ان سمع قيس ذلك الكلام عظم الامر عليه وأيقن
بالاتراح وبات يفرق على عبيده وعبيد أهل الخلة العدد والسلاح
ويطلب منهم المعونة على الحرب والكفاح وما زال على ذلك الايضاح
الى ان أصبح الصباح وزحف ذو الجناح عند اقبال النهار وطلبتهم
الى المواكب من سائر الاقطار وارتفع الصياح من العبيد والاحرار
وعلت الصوارم على النار وأيقنت بنو عبس الهلاك وقالت قتال من
يقين بالهلاك وما فيهم مكالك وتقاربت يوما ما رأت أضيق منه وراحت
تتحيز للموقع وأتيت أصحابهم من أمم الجرائم والقتلى بين الاطناب
مثل البطائح ولما ان كان اليوم الثالث ترجل سبيع بن الحارث
وأخذ ترسه والحسام وهجم على بني عبس وهم في الخيام وأطلعهم
من المضارب قزة واقتدار وأنفذ جماعة الى زياد ومن معه فحاربهم

من الوثاق وأركبوهم على الخيول العتاق ولما ان وصلوا الى بين يديه هنأهم بالسلامة والاطلاق وركب هو والرجال الذين ترجلوا معه واتبعوا بني عبس الذين تفرقوا في أقطار الفلا وجرى من القصة ماجرى الى ان التقاهم عنتر بن شداد وعدنا الى سياقة الحديث والخبر واقتتلوا فقتال من أيقن بالرحيل الى دار الآخرة وقد ذكرنا أن ملاعب الاسنة مع خصمه دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل بن زرارة والامير عنتر مع خصمه ذو الخمار وهم في قتال ونزال ومصارعه ومطاعنه تتعوذ منها الجبابره والفراعنه ورجعت بنو عبس وقويت بالفرسان الذين وصلت مع عامر بن الطفيل فاوروها وهادت على الاعداء بقلوب حنقه ورجعت من أقطار البر بعد ما كانت متفرقه ونادى بعضها بعضا وقد استبشرت بوصول عنتر اليهم وقالوا يا بني الاعمام حامية قد كفانا شر ذو الخمار فخذوا أنتم من أعداكم بالثار واكشفوا عن أنفسكم العار (قال الراوي) وكان ذلك اليوم يوما أعجب منه في الايام ولا أشد حرا منه والسلام لان الفريقين كانت تقاتل وقلبها متعلق على الفرسان الذين عليهم المعتمد وكان أكثر الاعتماد على ذو الخمار وعنتر بن شداد (قال الراوي) يا كرام وقد تطاعنا الاثنان حتى طارت الرماح قطع وما بقي منها شيء ينفع وأراد كل واحد منهم أن يجرد حسامه فما مكنه خصمه من ذلك بل انهما زعقا وافترقا واصطدما والتزما واعتركا على ظهور الخيل حتى قل منهما الجلد والخيل وأبصر عنتر تقصير هجره سبيع وقد تعبت من شدة انهاضها ربما تزعجت من شدة جريانها فزعق الامير عنتر فيه فقبل ورفص الهجره في جنبها فوقعت ووقع سبيع من فوقها كأنه سفية الجبل ووقع عنتر فوقه كالصقر الجلد فرض عظامه رض وهو

فوق الحصى والحلمد وماوعى على نفسه وفاق حتى شد وابنه الوثاق
فابصر القيط هذه العجائب والاهوال فلوى عنان جواده وغاب
المنازل والاطلال فرأى عامر بن الطفيل خصمه وقد هرب فرجع
وضرب جواد دريد فانقلب وعاونه ابن خالته عليه حتى ملكه
وكتفه فنظرت باقى المواكب الى ماحل بصاحبها فوات على
اعقابها وقد تقطعت أسبابها وعملت رماح بنى عبس فى ظهورها
ومازلوا بين هارب وطالب حتى وصلوا الى خيامهم والمضارب وكان
الليل قد نشر رداءه وكل واحد منهم قد طلب النجاء ولم يسأل القريب
عن القرائب ولا الصاحب على الصاحب وملكت بنو عبس
خيامهم وأثقالهم ومابقى من أموالهم ورحلهم وخلصوا مقرى
الوحش وعروة بن الورد وكان عنتر قد تخلف بعدهم ساعة زمانية
وعادت روحه اليه حتى أبصر مابين يديه لانه أبصر من ذوالحمار
ماأهاله ولما أخذ لنفسه الراحه هناه ملاعب الاسنه وقال له ياأبا
الفوارس لو بلى بهذا الفارس جن الارض السفلى لعجز واعنه وعن
قتاله فقال له عنتر صدقت ياعشم وانما أنا ماومات اليه الا لاجل
القضاء والقدر والافما هو من يغلب فى الحرب ولا يقهر ثم شدوه
هو ودريد بن الصمه وأركبوهم وساروا بهم الى بنى عبس فرأوهم
وهم فرحى بالغنائم والنصر والقهر لاعدائهم فهنا بعضهم البعض
بكشف الغمه وزوال الظلمه وقد عنتر الاسارى والتفت الى
مقرى الوحش وسأله عن حاله فقال والله ياأبا الفوارس ماجرا حى
الا بالغة وما أقول انى أسلم منها وما بقى يدى تنفعنى فقال عنتر
ياأخى لاتضيق صدرك فما جرى دون ولا كنت فى قتاله مغبون
ثم انه حدثه بما جرى له مع ذوالحمار حتى أسره وفرح بذلك مقرى

الوحش وأصبحت القبيلة تحت أذيال المسره تهنى بعضها بعض بكشف المسره هذا وملاعب الاسنه قد دخل على الملك قيس وكان معه جماعة من قومه فهنوه بالسلامة وقالوا له يا ملك ان أعداك صاروا أعدانا ودماك قد امتزج بدمانا ونخاف تتعب قلوبنا اذا كنا متفرقين والصواب انكم ترحلوا معنا وتنزلوا فى جوارنا حتى تهنينا قبائل العرب ويقل عنا وعنكم الطلب ويصير بيننا مصاهرة ونسب ومازال على مثل ذلك حتى أجاب الملك قيس وراء صواب وقد أمر بالرحيل الفرسان حتى يكونوا بجوار بنى عامر واختلطت العشائر بالعشائر وعملوا لبعضهم بعض الدعوات ولولائم وتساووا فى الاموال والذخائر وتم الامر على ذلك عشرة أيام وتساووا فى الاموال والانعام وسبهوا فى وسط الحى يتشاورون فى أمر دريد ابن الصمه وذو الخمار وما يصنعون فى حقهم وكان بنو عبس قد عزموا على قتل الاثنين لاجل ما فى قلوبهم منهم فقال الاخوص بن جعفر وسادات بنى عامر الصواب أن تمهلوا عليهم فى هذا الامر وتنظروا فى عواقبه واعلموا ان دريد على كل حال شيخ القبائل وله فضل على كل حال على المحافل والرأى انا نأخذ عليه الميثاق والعهود ونمن عليه بالاطلاق وعلى ذو الخمار ونكفى شر بنى حمير وبنى جشم وبنى هوازن ومن لهم من الحلفاء والفرسان قال فبينما هم فى الكلام واذا قد طلع عليهم غبار وعتام من ناحية أرض العراق فحققوه بنى عامر وبنى عبس فرأوا على صهوات الخيل العتاق وقد قربوا من ذلك الغبار وحققوه واذا به سائر على مهل فحدقوا اليه بالابصار حتى بان للنظار واذا تحته أعلام مذهبات ورايات مكتوبات وجنود وازهارات وهوادج مرتفعات وفيها حور الحاشيات وروميات

وعربيات

وعربيات ومن بين أيديهم المنمومات وهم مثل البدور وصبيان أحسن من اللؤلؤ المنثور وحولهم فرسان مثل الصقور وهم على خيول تسابق الطيور فلما رأوا ابنو عبس هذه الامور فأيقنوا بالافراح والسرور فقال الملك قيس والله هذه الاعلام كسروية والرايات عراقيه نعمانيه وان صدقني حذري فهذه أختي المجرده قد أتت زائره الينا فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد صدقت وهذا الذي تحت الاعلام عمرو بن هند أخو الملك النعمان ثم ترجلوا من على الخيول وحققوا تلك الاخبار فظهروا لهم وتبينوهم فعرفوهم وسعوا لهم على الاقدام وعقدوا الموائد الكبيرة وتقدم عمرو ابن هند وهم ان يترجل فاقسم عليه الملك قيس أنه لا يفعل ثم انه سأله عن الاحوال وعن أخيه الملك النعمان فقال كما تعهدونه وهو عند الملك كسرى في أعلا المراتب وهو حاكم على أعلا سادات العرب وأما أنا فقد أتيت في خدمته وخدمتك لان أختك شكت اليه شوقها اليكم مرارا عديدة وسألته في زيارتكم فأذن لها بذلك وسيرني بها كما ترى وقد أتيت معها الاجل تقضي حاجتها وتنيل شوقها اليكم فلما سمع الملك قيس ذلك شكره وتقدم الى أخته وسلم عليها وأخذ بزمام ناقتها وسار بها الى باب أبياته وسائر الفرسان يمشون حوله في ركابه وركاب عمرو بن هند وقد رفعوا أصواتهم بالافراح قال ولما وصلوا الى الخيام دخل الملك قيس بأخته الى المضارب وأدخلها في خيمته واجتمع اليها أخواتها يسألونها عن حالها وهي تبكي وتنوح وتقول لهم ما أنا لا روح الملك النعمان وكن أشغل لي فقضي بما أريد وما أنا لا عادة رؤيتكم فقال الملك قيس وكذلك نحن ايتما نزلنا تكون سيوفنا في أعلا مكان ولكن والله

شنقنا الى الاوطان لانا من حين قتلنا أولاد بدر ما برحنا الا
مهجرين فى البر ولولا سؤالك الى الملك النعمان ما كنا خرجنا من
بلاد اليمن ولا شفنا هذه الاطلال والدمن فقالت المتجرده يا قيس
ان أرضكم قطعها الملك لبنى فزاره حتى ترجعوا أنتم من بلاد اليمن
وأنا فى هذه النوبه ان رجعت اليه ان شاء الله تعالى أخليه يصلح
بينكم وبين حصن بن حذيفة ويرد كم الى دياركم فقال قيس هذا
الذى أريد حتى لا تكون قد خرجنا من تحت طاعته والا فمن
نقدر نقطع بنى فزاره الى الاثر ولا نخلى منهم فى الدنيا بشر ولولا هيبته
ما تركنا لهم ذكر ثم أخذ أخته وخرج الى أخ الملك النعمان
وترك المتجرده عند النسوان (قال الراوى) وكان أخو النعمان
قد نزل على العيون والمناهل ومدت له الخيام والسرادقات وكان
الكل من الديباج الرومى فدخلوا عليه هم والسادات من بنى عامر
من بعد ما أمروا عبيدهم يذبحون الذوق والاغنام ويروقوا لهم المدام
وفى دون ساعة خمت الاغانى بالاصوات ودارت الافراح وكان
الملك قيس واخوته عن اليمين وبنى عامر عن الشمال وأراد الامير عنتر
أن يجلس فى ذيل المجلس فقام الملك عمرو اليه وأخذه فى يده
وأجلسه عنده فى الجمله ولما دارت أقداح المدام ودار بينهم الكلام
قال عمرو بن هند للملك قيس عجب يا قيس انى قد أتيت اليكم
فى هذه المره وأنتم فى راحة من الحرب فقال قيس يا ملك ومتى خف
عنا كرب الحرب وبقى لنا عشرة أيام مقيمين فى الخيام ثم انه حدثه
بما جرى لهم مع دريد بن الصمه وذو الخمار وما قاسوا فى الحرب الليل
والنهار فتعجب من ذلك وقد سمع الحديث على صحته فقال له
والساعة دريد وصهره عندكم فى الاسر والاعتقال فقال له قيس

نعم واليوم كنا معوانين على قتل الاشبين وأنت سعادتك لما أشرفت علينا أشغلتنا عن ذلك فقال عمرو والله ياقيس ما كنتم معوانين الا على بئس الفعال لانكم لو قتلتم دريدا وذا الحمار ما كان يبقى منكم ديار ولا تافخ نار ولا يبقى لكم فى الابر قرار ياقيس أما علمتم أن أمر دريد فى العرب مطاع مثل أخى النعمان لاجل ماقد ربى من الشجعان وتفضل على الفرسان وحق خالق الشمس والقمر ان بقى عندكم شهرا آخر لايقدم عليكم الا كل من ركب قتب وضرب فى الارض طنب والصواب أنكم تحضروه حتى انتقم عليه فعاله وتصلح بينكم وبينه وتمن عليه بالاطلاق فعند ها أمر قيس باحضار دريد فمضى شبيوب خلفهم وأحضرهم فقام عمرو بن هند فلما نظروا الى أخى الملك النعمان خدما ووقفا ثم قال عمرو يادريد ما هذه الفعال التى ما تصلح الا للجهال وأنت قد بلغت من الكبر الى هذا الحد ما آن لك أن ترجع عن جهل الصبا وترق فقال دريد وما الذى فعلت ياملك هو أنا خرجت عن سنة العرب وأنت تعلم ان بنى عبس لما كانوا خارجين معك من بلاد اليمن قتلوا أخى عبد الله عندما خرج الماء وتركونى أنا طريح بين القتلى ولما تسببت لى أسباب السلامه خفت من معيرة العرب فى أقطار الفلا فصرت أحك شف عارى وأطاب ثارى فكسيت عليه عار وأسرت أنا وذو الحمار بعد ماقتلت رجالنا ونهبت أموالنا وتخرق حاها غاية الاخراق وبقينا معيرة فى سائر الآفاق فقال عمرو والآن مضى ما مضى وأنت تعلم ياسيد هوازن ان الملك العادل كسرى ما ترك أخى مقدم على قبائل العرب الا حتى يصلح فسادها ولكن أشتهى منكم أن لا تخالفوا خاطره ولا تتعبوا أسراءه بل تحلفون بعضكم بعض وتطلبون طريق

السلامه وتقبلون سؤالى وأنا أكتم عنكم ما جرى ولا أخبر أحدا
بذلك ولا أترك عليكم عتب ولا لوم لانك تعلم يا وريد ان بنى عبس
اليوم أعز الناس عليه فيجب عليك أن تحترمه وتحفظ جاهه وتعاونه
فى اصلاح القبائل ولا تتبع رأيك الجاهل فقال يا مولاى لو أمرتنى
أرعى جمال بنى عبس رعيتها اكراما لك ولاجلك الملك النعمان
ثم انه تقدم الى الملك قيس وعانقه وأخذ يده على الصلح وعاد الى عنتر
ليفعل معه كذلك فقام الامير عنتر اليه وقبل صدره ويديه وشكره
وأثنى عليه وأما ذو الخمار فانه قال لا أصالح عنتر حتى انه يبارزنى
بين يديك ويصول معى ساعة من النهار ولا يفارقنى حتى يقر أحدنا
لصاحبه بالغلبه وتشهدون أنتم لاغالب بعلو المنزله ولا أمضى الى
أهلى وفى قلبى حسره لانه لو علم بما كان فى تقصير هجرتى وضعفها
ما كان بلغ بنى ما حب وما اختار وهذا أمر قد خطر ببالى وأشتهى
أن أحققه عند الانصاف حتى لا يبقى لى عند العرب خلاف فلما
سمع عمرو من ذوا الخمار ذلك الكلام علم أنه جبار لا يصطلى له بنار
وخاف أن تزيد الاحقاد بينه وبين عنتر بن شداد فقال يا سيد نحن
قصدنا اصلاح الحال وما قصدنا عودة الشر والخصام فقال ذو
الخمار والله يا مولاى ان هذا القول ما قلته على سبيل البغى ولكن أنا
أبين لك قصدى بهذا الكلام وهو انى فى هذا العام كنت معزل
على الحج الى بيت الله الحرام وأعلق لى قصيدة من شعرى حتى
تسعد لها مام ملوك لانظار ويعاوبها قدرى عند سادات العرب
والآن فقد أصبحت مأسورا وما بقيت أعتمد على أمر من الامور الا أن
قهرت هذا الجبار وتشهد لى العرب بعار المرتبة والاقتدار فعندها
قام عنتر على قدميه وا غضب قد غلب عليه وقال والله يا سيد

ما نت الا فارس ملبي الاوصاف ولولا انك أرحد الزمان ما كنت
تعد في الحرب بسبعة آلاف من الفرسان ولكن يا وجه العرب
ان السعادات لها أوقات وان اشتهيت أن تبارزني على سبيل
الاختبار أنا أبلغك ما تحب وما تختار وابكر في غداة غد
يكون من اقبال النهار حتى لا يتنغص على هؤلاء السادات وما أبرز
لك وحياة رأس هذا الملك لا ورمحي خالي من السنان وما أبرز اليك
الا وأنا عريان من الزرد وتشهد علينا الفرسان وان دمي لك حلال
ودمك علي حرام قال فلما سمع الحاضرون كلام عنتر تعجبوا
منه وقالوا ان هذا والله أمر عظيم وما يكم به أحد من فرسان العرب
على نفسه لان قليل من يطلب قتل خصمه والآخر يطلب فداه هذا
وذو الخمار قد انتهبت أحشاه بنار لانه من حين ركب جواد ما أسمر
ولا جرى عليه مثل هذه النوبة ولا قهر ولما رأى الجماعة تعجبوا من
قول عنتر قال يا سادات العرب أما هذا الشرط الذي شرطه على
نفسه ما أقبله ولا أدخل تحته ولا أريده ولم يخرج لي الا وهو كامل
لعدته ويكون في رؤوس الرماح خرقة مغموسة بالزعفران و
من وجد في صاحبه مقتل طعنه فيه وعلم عليه واذا افترقنا تقدم
لغرسان وتعد الطعان وتبصر مواضعها في الاعضا وتحكم للمغلوب
والغالب على قدر الطعن الصائب وان حكم على نفسه وطلب
الانصاف فليس زعلي جواد خلاف جواده الابجر ويركب على
الخيول المجهزة بمثل ما أركب حتى لا يبقى عليه صحة ولا كلام
لانكم تعلمون ان الخيل اذا أتقت فرسانها وعرفت مواقع طعناتها
هابتها في ميدانها وأطاعتها على الانقلاب والالتفات وساعدتها
وقت المقابضة والقناة فلما أن سمع الحاضرون كلام سيبع عرفوا

معناه فأجابه عنتر الى ما قال وانفصلوا على مثل ذلك الكلام فقال أخوا النعمان نحن غدا نجعل شرابنا على الغدير العظيم وتكون فرجتنا على برازهذين الفارسين ولا نعود الى المضارب حتى نشهد على المغلوب ونطلع على الغالب ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من انتهاب اللذات وشرب الاقداح الدائرات ودريد يحدثهم بحديث الملوك اقدما وينشدهم اشعار الفصحا والحكما حتى دارت في رؤوسهم نشأت المدام وكان أول من انصرف ذو الخمار وقد سكر من الغيظ أكثر مما سكر من العقار لاجل عزة نفسه وفخرته فمضى الى المضارب التي كانت خليت لدريد بن الصمه وقال لهم ما يحتاجون اليه ودخل عليهم الظلام وفرق الكاس شمل الناس وما فيهم من انصرف الا وهو يحدث على قدر سكره بما يريد يجري عند الصباح بين عنتر وسبيع بن الحارث وكان عنتر قد مضى مع أبيه وعامر بن الطفيل وهو لا يصدق أن يرى وجه عبلة ويحظى منها بالوصال والذي جرى من أمر البراز والقتال لم يخطر له على بال (قال الراوي) وكان عند الصباح جلس الملك عمرو بن هند وسادات العرب والمقدمين للسلام وذكروا ما جرى بينهم في السكر من الكلام قال واذا بعنتر قد أقبل وهو على جرى صفري صلبة العصب والعظام وبيده رمح بلاستان وعلى جسده ثوب خام قصير الاكمام وهو مكشوف الرأس حافي الاقدام فلما وصل الى الباب ترجل وسلم جدته الى أخيه ودخل وسلم على الملك والموت يلوح من بين عينيه ولما أن سلم وقف مع جملة القيام وسأل عن خصمه ذو الخمار فقالوا له يا أبا الفوارس ايش هذا الاحتقار أما تخاف من ذو الخمار فقال لا والله يا بني الكرام ولا خطر كلامه لي على بال ولا بد

ما أخليه فضيحة بين الرجال قال فبينما هم فى الكلام واذا بدريد ابن الصمة داخل عليهم فسلم وخدم فقام له كل من كان حضر فأجلسه أخوا النعمان الى جانبه فلما استقر به الجلوس سألوه عن ذو الخمار وعن مبيته وسكره فقال ياسادات العرب ان أحوال الزمان عجيبه ومايحق لاحد أن يتكلم فى أصحاب السعاده ولا يطلب مالا يقدر عليه الا أصحاب المشيئة والارادة بل نخضع للصورة المسعودة ولو انها من الحجر منحوته ويبصران قضى عليه القضا والقدر وأنا من اليوم أريد أن أجعل عنترعضوا وسندا وأتخذ بنى عبس ذخرا ومعتمدا فقال له عمرو كيف ذلك ياأبا النظر وما الذى قد لاح لك من البرهان فقال ياموالاى ان ذو الخمار قد أصبح فى حالة العدم وهو يتغمص فى جود أم ملدم وقد خلته مدثر مزمل لا يعقل على من غاب ولا من حضر وأما قوله عن أم ملدم فهى الحمى الصلبه وأما قوله مداع مزمل لقوله صلى الله عليه وسلم عن المجاهدين زملوهم فى ثيابهم يعنى لفوهم فيها وأدفنوهم والحق سبحانه وتعالى خاطبه بالمزمل فلما سمع الحاضرون ذلك تعجبوا من هذه الامر فقال عمرو ابن هند ياقوم ماهذا من سعادته وحده بل لنا كلنا فى ذلك الحظ الاوفر لاننا قد استجرنا من اللجاج وحفظ هذين السبعين الصاربين لانهم ما كانوا لم يفصلوا بخير وسلام ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من شرب الراح واغتنام اللذات الى أن انقضى من النهار ساعات وبعد ذلك أحضر أخوا النعمان الخلع التى كانت وصلت معه من عند أخيه الملك النعمان فخلع على الملوك والامراء والفرسان وما فيهم الا من راح وهو يسحب أزيال الحرير والديباج ويميل سكرا وابتهاج وكان عنتر قد أتى وعليه ثوب خام فعاد وعليه

خلعة من ملابس الملك النعمان كلها مكتوبة بالذهب الوهاج وعلى رأسه عمامة كبيرة خضرا كأنها من رياض الجنة وكذلك كانت خلعة دريد بن الصمة لان عمرو طلب بذلك جبرا لبه وبعد ذلك بقيت الدعوات والولائم فى خيام الملوك وتساوى فيها الغنى والفقير تمام عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب دريد الرواح والانصراف ثم قال لعمرو بن هند يا ولاى قد ثقل ذو الحمار فى مرضه والصواب أحمله الى قومه وأتصدى انا لك للتخفيف عن قلوبكم على ان لى فى ذلك الفائدة العظمى الكبرى لان خبرى ان غاب عن قومى جمع أخى خالد القبائل وأزعج العرب وطلب خلاصى وما بقى فى لامر غير المسير فلما سمع عمرو كلامه استصوب فعاله وسائر من حضر فعند ذلك رد عليه الملك قيس ما كان نهب من الخيام والمال والخيل والرجال رسيره وهو شاكر وخدمة عمرو بن هند أخو الملك النعمان تمام العشرين يوم تمام وبعد ذلك قال عمرو اعلم يا ملك ان أخى النعمان ما أمرنا أن نقيم أكثر من عشرة أيام فنحن قد أقمنا عندكم عشرين يوم ولا بقى لنا مقام ولابد من المسير فى هذه الايام فودع أخاك وأرحنا بما تريد وسيرها حتى أعود بها على بعلها الا لك تعلم انه ما يقدر يصبر عنها فقال قيس سمعا وطاعه ثم انه أخذ فى تجهيزها وكانت هى قد أخذت من الزيارة وطرها وأغنت فسوان الحى من الخلع والهدايا وجددن باترالف انه هود فلما أخبرها أخوها قيس بما سمع من عمرو قالت والله يا أخى صدق وما بقيت أقدر على هذا المقام عندكم ثم انه جهزها فى ثلاثة أيام وخرجت الى الخيام الذى قاعد فيها عمرو بن هند وسارت فى اليوم الرابع وقد سار معها كل من كان فى الاحياء ولم يبق فى الخيام غير النسوان ذلك اليوم الثانى وفى اليوم الثالث ردهم

الملك عمرو بن هند وسلف عليهم ووقعهم وعادوا الى الابيات
وتجلت لهم الاوقات ووقعت هيبتهم فى قلوب السادات وكان مقرى
الوحش قد برى من جراحه ومرضه وفرح به عنتر الفرح الشديد
وصار يقضى معه الاوقات فى الخلوات وشرب المدام الى ان عادوا
فى الصحبة كما كانوا ثم ان عنتر صار يواظب الشرب على المروج
والغدران مدة من الزمان وكان يخرج ومعه عامر بن الطفيل وجماعة
من الفرسان فجرى بينهم حديث ذو الحمار وما قاسوا منه فقال عنتر
يا بنى عمى ما هو الا فارس همام لا يوجد مثله فى الانام وما سار الا
وقد ترك فى قلبى نارو كلام فقالوا له يا أبا الفوارس وما هذه النار
والكلام أبديه لنا ولا تخفيه فقال لهم ان ذو الحمار لما كان بحضرة
أبى الملك النعمان والملك قيس والفرسان فقال لهم ان قبل أسرى له
فى ذلك المقام كان أراد أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويترك
سادات العرب يسجدوا لها فزعا من رمحه والحسام وها انا أقدم منه
عليها ولا بدلى ما أبذل روحى فيها وأترك لبنى عبس شرفا يبقى من
بعدى فقال مقرى الوحش والله يا ابن العم ما أنت الا قد وعدت على
تعيننا الى مطالع الشمس وتحرم أحدا يقول أنا من بنى عبس وتجلب
لنا فرسان العرب من بعد منها ومن اقترب ومن سائر البرارى
والقيعان وتترك المنادى ينادى فى ديارنا بالقلعان والله يا فارس
الزمان ان هذا الامر ما يقدر عليه الملك النعمان ولا كسرى
أنوشروان صاحب التاج والايوان ولو استعان بترك عبدة الصلبان
فقال له عنتر قصدك تكسر أغراضى فوحق من ركب الارواح
فى الابدان وجعل الارض ميدان وسمى نفسه بالرحيم الرحمن
لابد أن أبلغ هذه المنزله ان ساعدنى الملك الديان وخالق الانس

والجبان وارتقبت ونفذت فى سهام الحمام فلا عتب على الايام لانى
ما أظن أحدا قبلى قد خلد من الانام ولا ترك الموت شيخ ولا غلام
قال فلما سمع عامر بن الطفيل هذا الكلام ظن أنه سكران ولم يعبب
على انسان فعمره قرى الوحش وقال بالله عليكم يا وجوه العرب
دعونا الساعة من هذا الكلام وديروا علينا أقداح المدام لان
هذا حديث ما يجلب لنا منه مسره وما هو الا هم وضره ولا يمكننا
أن نعزم على هذا السبب حتى نشاور عليه ملوك العرب وان لا كانت
آثارنا قد قلع عن آخرهم وتزعق فى ديارنا الغربان ثم انهم أخذوا
فى شرب المدام وتحدثوا فى عنتر بهذا الكلام قال وكان عروة بن
الورد قد قدم من وليمة الربيع بن زياد وراعم مجتمعين كما ذكرنا على
المدام وجرى بينهم ذلك الكلام كما وصفنا فقال له عنتر يا أخى
أوحشتنا فى هذه الايام فأين كانت غيبتك يا ابن الكرام فقال
عروة يا أبا الفوارس كنت فى دعوة الربيع بن زياد ويا ليتنى
ما كنت حضرة دعوته فقال له ولم ذلك فقال له أنت تعلم أنه كثير
اللجاج من دون الانام وقد جرى بينى وبينه مخاصمة وهى من أجلك
فقال له عنتر ولم ذلك فقال له وقع بيننا كلام فى الشعر والنظام
فقلت له يا ربيع ما يوجد اليوم فى بنى عبس وعدنان أفصح من عنتر
لسان ولا أقوى منه جنان ولا أبطش بنان فعند ذلك قال الربيع
يا ابن الورد أنا عملت قصيدة زهرية لا يقدر ولد شداد ولا غيره من
فصحاء الزمان يقول منها بيتا أو بيتين وها أنا أنشدك اياها فاسمعها
منى وانشدها واظهرها عنى ولا تخفيها عنا فانه أنشدنى يقول

قدم الربيع بزهرة المتسلسل ✻ والغيث بين مروجه متهدول
وعلى الرياض من الزمرد خلعة ✻ أطرافها رقمت بأنواع الحلى

من أبيض فى أصفر ومعصفر * متعقـــــر فى أزرق متجلجل
والطير يشجع فى الاراك مغردا * والغصن يرقص حين غنا البلبل
وتصفق الاوراق فى أدواجها * يثمارها والشرفيها يعجـــل
فانهض الى الراح القديم مبادرا * ودع العزول مع العزول يعزل
فالعمر أيسر مايكون ويقتضى * وبيع أعضاك البـــلا بالمفصل
أما الجبان يموت بين غوانى * وكواعب يندبنـــه فى المنزل
وأما الشجاع يموت فوق ضـــوامر
تحت السيوف مع ازدحام القسطـل
فانهب زمانك اذيكون مواليا * مابـــين ندمان وبدر مكمل
وأنا الربيع أخو عمارة فى الوغا * ابن الاكارم والاناس الفضل
(قال الراوى) ولما فرغ عروة بن الورد من انشاد زهرية الربيع ابن زياد قال عنتر هذه القصيدة التى لايقدر أحد يعمل منها بيتا أو بيتين ولا ينظر شكلها ولكن اسمع منى على البادية ماسمع به الخاطر وماتبديه السرائر وماكنت به الضمائر فى وقتنا هذا الحاضر قصيدة منلها أصحاب القصائد المعلقة على البيت الحرام ولاينال أحد غيرى هذه الطبقة من سائر الانام ثم ان عنتر ترنم وجعل ينشد ويقول
قم واسقنى وانهب رحيق السلسل * واشرب ولاتغفل بقول العزل
لاغروان راض الربيع رياضها * قد رافقيانها حليت بأنواع الحل
والروض بين تألف وتهتف * وتعطف وتصرف وتعامل
مخضر فى أصفر ومعصفر * ومعنبر ومكوفر ومصندل
ومفضة ومذهب ومكتب * ومقـــمع ومرصع ومحلل
والجود بين مغلس ومعبس * وتنزل وتبرق وتسلسل

والطير بين مغرد ومزمزم * وتزنم وترنم وتجـــاول
والزهر بين مفتح ومطرح * ومفـــلج ومملوج لم يكمل
مابين منشور كثوب معلم * لكنه بيد امرء لم يعمل
والورد بين مبهج ومفرج * ومفتوح ومرهج ومكـــاول
يزهوا بأحمر كالعقيق وأصفر * كالزعفران وأبيض كالسنجل
غصن النبات بديعة ألوانه * أحكمته ألوان سحاب المهطل
وبنفسج يحكي اذا عاينته * آثارة ـــرص في ذراع ممثل
والنرجس يحكي العيون اذا رأت * أجفانها لكنها لم تكحل
وكأن مبيض الافاح ثغور من * يزهوا على حسنه المتذلل
وكأنما الشيح الزكي نسيمه * يحيي النفوس اذا جرى في شمل
وكأنما شجر النخيل عرائسا * يجلون في حال الشعور السبل
وكأنما الناريخ في أغصانه * حضر المطير في حريق يشعل
وكأنما جرى المياه اذا بدت * من جدول وتحدرت في جدول
حيات فرت خفن من مستطلب
يسعين سعي الخائف المستعجـــل
والروض بين أوانس وعرائس * ومنافس بمذهب ومثقل
بادر الى خلس الزمان لانها * فرص وان الدهر ليس بمقبل
والزم لهـــذا واحسر دونه * واقبل اليه اقبال دهر مقبل
هذا هو العيش الذي ما مثله * في دهرنا ولا زمان الاول
وأنا ابن شداد وان عنتر * فوق الثريا قد علوت بمنزل
ولقد وقعت على دواوين المتقدمين والمتأخرين وجميع النظام ما سمعت ولا رأيت أعظم ولا أحسن من هذا الكلام ولما سمعت الحضار هذه الزهرية من عنتر بن شداد قاموا لهم الامن تحيرمن

فصاحته

فصاحته ثم انهم اثنوا عليه بكل لسان وقابلت الحضار طربا واهتزت عجبا وقال عامر بن الطفيل لعنترة لا ردا الله فاك ولا كان من يشناك فما أفصح لسانك وأقوى جنانك وحق ذمة العرب لقد شوقتني الى الشعر والنظام وقد اشهيت ان اعارض الربيع في الكلام فأنشد يقول

راق الربيع لنا بأحسن منظر
والنرجس الغض الرطيب كناظري
والغيم باك والزهور تبسمت * والوقت صاف لم يكن متعكر
وكذا بكاء الصب فيها قد حكت * تخرج لنا زهر الرياض العبقري
فانظر اليه مجيب ومكتئب * ومعشب ومذهب ومجوهري
من أزرق وشقيق ذو رونق * وشقائق وحدائق ومعطري
مع أصفر او احمر متعصفر * في أصفر ومدور ومنثري
وكذاك العصفور فوق غصونها * تبدي فصاحة راهب في منبر
وكذا المزار مرقيا ومسبحا * ومقدسا ومهللا ومكبري
والغصن ساجد والازهار راكع * صنعة القادر ومقدري
والروض جامع الازهار ببسطه * وقناديل الاترج فيه تنور
والكاس دائر والحبيب منادمي * والدهر طوعي والزمان مسخري
فاذا شربنا الخمر في كاساتها * يبدو لصاحب درجوهري
بكرا تهوسا عتقت في دنها * عذري عوان لم يليها مكبري
فكانها شمس وبدر كاسها * قد خالط الجوزا يريد المشتري
ها حضرة الانس التي تسمو بها * فاشرب واهل وزيل تكدري
بيع القفا واشتري النقد الذي * لا خير في مال يكون مكدري
واجل لنا بنت القسوس ورقها * في الروض بين منظم ومنثر

فالكاس قد راق اشتياقا لاجتلاها * وبقى عليلا مثل عود أصفر
والشمع يحكى عاشقا لم قلبه * نار الهوى خليت ولا تتفرج
هذا هو العيش الذى ما مثله * والزهر راق لم يكون معكر
فاشرب بكاسات السرور مبادرا * فالدهر لا يبقى وجل مغير
(قال الراوى) فلما ان فرغ عامر بن الطفيل من شعره تمايلت الفرسان طربا واهتزت عجبا وقال له عروة بن الورد والله يا أخى لقد شوقتنى أن أعارض الربيع فى أقواله وأتبع منك مقالك لانى أنا من بعض رجالك وقد اردت أن أقول شيأ خطر ببالى ثم أنشد وجعل يقول

راق الربيع وأشرقت أنواره * والعيقرى تفتحت أزهاره
والغيث هامل ثم هامى أدمع * والارض انبهجت بطيب مزاره
وأبدت لنا من سوسن وشقائق * وقرنفل ونضيج وبهاره
وكذلك الاقحوان لم يعطره * والورد مايس والنسيم دثاره
والنرجس الديلان يحكى عاشقا * مضعف حزين قد علاه صفاره
قد نظم النسرين معه نوفر * وكذلك النشور أبد بشاره
والدوح بين معبق ومفبق * ومطوق متسقسر وزاره
وكأنما السرو الطوال اذا زهت * وتمايلت فى سندس وفخاره
يثنين هيفا للتود اذ بدت * ميا مسة ميالة بشعاره
وكذلك الاترنج فوق غصونه * يحكى مشاعل ركب فى أنواره
وكذلك الغدران فى جريانها * أحناش كل طالب أوكاره
فانهض الى هذا الرياض غمرة * سحر وبرد عن فؤادك ناره
وانهب زمانك لا تقول الى غدا * واسمع أديبا قد نظم أشعاره
فالدهر لا يبقى بحال واحد * يصفى ويحدث بعد ذى مرارة

(قال

(قال الراوى) فلما ان فرغ عروة بن الورد من شعره ونظمه فقال مقرى الوحش وانا الآخر أعارض الربيع بن زياد وأما أبو الفوارس عنترة فان ما فى عصره من يلفظ بلفظة من كلامه ولا يضاهيه فى شعره ولا فى نظامه فعندها قال عنتر يا فارس الميدان ما أراك الا عبد لك ولهؤلاء الشجعان وانى اريد أن اسمع منك ما قد خطر ببالك حتى انى أتبعه فقال له فقال مقرى الوحش أما ما قلت الا أن أعارض الربيع بن زياد لانه لى ولك من جملة الاعداء والحساد فقال الامير عنترة ما عندك فانا الا من بعض غلمانك وجندك فشكره مقرى الوحش واثنى عليه وبعد ذلك جعل مقرى الوحش ينشد وجعل يقول

الغيم يبكى فى السماء ويهتدى * بمدامع تنهل من قطر الندى
والزهر باسم فى الرياض كأنه * بسط يحاكى لونهن زبرجدى
صنعة اله العرش جل جلاله * رب لطيف واحد متفردى
وكذا تكون الشمس عند طلوعها * يبقى ضياها أحمر متوقدى
ومفضض ومذهب ومدثر * ومجوهر ومعبقر ومورد
والآس بين شقائق وحدائق * والغصن بين موشح ومقلد
والطير بين مسبح ومقدس * وتهلل وتكبر وتمجدى
والماء بين ترقرق وتدفق * وتهرج وتسلسل وتجيدى
والدوح يرقص والنسيم مشيب * والنهر صفق فى الجروف تقرى
والورد يحكى فى الغصون محاجر * نارا على ماء الحيا لم تخمدى
والياسمين مفتق ومفلق * يحكى به عقول الحسدى
وكذلك الدهر صبح باسما * فى ثغره سير ابر تحسبه الندى
والافحوان بقومه وبسيفه * يلمع ولم قطع بحد مهند

والنوفر صبح غارقا فى نهره * واصفر خوفا كاد ان لا يهتدى
وانشق ظهر بنفسج عطراله * حتى الشقيق شق الثياب تعمد
والنرجس العطشان اصبح عائلا * يشبه حزين مفارق لا يهتدى
والآس وسوسان حين تراهم * ما بينهم شيء يعاب من الردى
فى جامع الازهار شبه قنادل * تشعل لنا نار اللهيب توقد
واما الهزار مسبح وموذن * من فرق رأس الدوح بالصوت الندى
والطير يخطب والغصون منابر * وسائر الانام منهم سجد
من بعد هذا قد رأيت عجائبا * الصبح يطرد للظلام الاسود
وذلك صنع الله جل جلاله * قد أتقن الاشياء لم تهتدى
خلق الخلائق ثم قدر رزقهم * رب تعالى واحد متمجد
أجرى الامور بحكمه فى خلقه * من ذا يعارض حكمه أو يعتدى
خلق العباد مخالفا ألوانهم * بيض وحمر منهم وأثم اسود
فجميعهم غنى حاله متيسر * يصبح ويمسى فى نعائم سرمد
وان أراد لفقره لا مسعد * يغنيه منه سوى الاله الواحد
يشقى ويسعد من يريد بفضله * يعطى ويمنع واحد لا يجحد
قسم المعايش بينهم من عدله * وكذا خزائن رزقه لا تنفد
يقبض ويبسط ثم يرفع واطيا * يدنى ويجعل من يشا متباعد
فانظر لحكم الله فى أحكامه * جل الاله الواحد المتفرد
لا رب غيره نعبده سبحانه * تبا لعبد جاحد أو ملحد
لا خالقا للناس غير الهنا * فتبارك الله العظيم الواحد
وأنا بقرى الوحش اسمى فى الورى * لكن بعثرسرت انى مهتدى
(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره ونظامه قال له عنتر لا رد الله فاك ولا كان من يشتاك يا فارس النياق وطير الاحداق

ولكن أنا قد خطر ببالى انني أقول فى حضرتكم هذه الساعة شيء من الابيات التى قد خطرت بقلبي حتى تسمعها هؤلاء السادات فقال مقدوى الوحش يا ابا الفوارس ومازين المجالس هات ماعندك من الشعر والنظام فعند ذلك أنشد عنتر يقول

أترى ظلام جفاكم يتشعشع * وضياء فجر رضاكم يتقنع
فلقد اضا الهجر منكم مهجتى * فمتى أرى التواصل فر يطلع
ومتى أرى شمس الوصال منيرة * فى برج سعدى والكواكب قلع
ومتى أرى ذاك الجمال مشاهدا * لا راخيا سترا ولا متبرقع
واكرر النظرات فى روض البها * وأنا بأول نظرة لا أقنع
وأقول للعذال موتوا حسرة * هذا الحبيب وها انا المتمتع
خجلت الحساد رؤية عبلة * فى عقلة الزقباء وطلى المرتع
والروض بين مبيض ومخضر * وممر ومصفر بتشعشع
والشيح والمنسور ثم بنفسج * ثم الخزام تمد هن الرعزع
والسوسان بين مفضض ومذهب * ومصبغ ومجوهر ومخدع
والنط — ير بين مترجم ومرنم * وموضح ومجن ومشجع
والدر والقمرى فى أغصانها * ولهن فى تلحينهن تخضع
وكذلك الكبروان يشجو سوطه * ويهز فرق دماغه ويشيع
يسمع لها سحرا سماعا معربا * هذا يترجم ثم ذاك يجمجع
والعيش فيها والحبيب منادمى * والكاس مترع والمنا يتردع
والوقت صافى والمدام يديره * بكر اعر وسا يحتليها الاروع
ماحازها كأس ولا علق بها * فى يد عصار ولا يتصنع
بل عمرها من منذ الست بربكم * وأتاها الخطبى أتشفع
ياصاحبى ان ترد أن تحظى بها * فتذلل طوعا للحبيب وتخضع

مامنهما أمرى وقوة صفوتى * لاشلت كنت بعبلة متولع
وبعثت نومى واشتريت شهوتى * ياخيبة الشارى وفرح البائع
(قال الراوى) فلما ان فرغ عنترمن هذه الابيات حتى تمايلت
السادات وزادت الناس خمرا على خمورهم وتحيروا من هذه المقالات
والصفات وهذه الفصاحة والبلاغة وتعجبوا من حيرتهم فى امورهم
ثم قال مقرى الوحش زادك الله فصاحة وشجاعة وبراعة يا أبا
الفوارس وقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ويارئيس المجالس ما بقى
أحد يقدر يسبقك الى هذه الفصاحة والمعانى فعندها قال عنتر
يا أبا الابيض فمن يكون هذا المقال مقاله وهذا القتال قتاله مايصلح
أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويفتخر بها على الخاص والعام
عندها قال عروة لابد ان كان لك فى الغيب آمال لابد أن تلحق
أصحاب المنازل العوال والفصحاء من العرب والاقيال قال
بينما هم فى الكلام والشرب واللهو والطرب اذ قد أقبل عليهم
رجل من صدر البر وهو طالب الخيام وعلى كتفه حقيبة من
الطيب وهو يهمز من تحتها كهمزات الغزال فقال مقرى
الوحش وقد طلب بذلك أن يشغل الوقت بشىء مما هم فيه فقال
ياشيبوب أئتنا بهذا الحمار حتى نقضى معه باقى النهار ونسأله
عن مالاقى من العجائب والغرائب عند دورانه فى الاقطار فقال
عنتر والله يا ابن العم لقد أصبت ونلت الآمال فيما ذكرت بيننا من
المقال فعقلاء العرب تستعمل المقال عقب الفعال أئتنا به ياشيبوب
قال فانطلق شيبوب مثل شعلة النار وقد أتى ومعه الحمار فلما نظر
الرجل الى ارتفاع القباب وكاسات المدام تدور ويقن بالخير وأرما
ا فيه فمن على أكتافه وخدم وسلم وقال جعل الله أيامكم كلها

أعياد ومواسم وحمام السحاب تمطر عليكم سرورا فما لانكم
في أوقات الحفل والاغتنام فاذا رآها العاقل سعى اليها وتقدم
فابقاكم الله بالفرح والارواح وانزل على دياركم الافلاح والنجاح
وعلى ديار أعداكم الاتراح ثم انه أشار ينشد ويقول

ولا زال النعيم لكم قديما * يخبركم بكاسات الحبور
فهذا يابني السادات وقت * يسلي صاحب النعيم الكثير
فهموا واقطعوا عيشا هنيا * ولذوا واسمعوا قول المشير
لقد ذل الزمان لكم قديما * بخيل تشقها ذات الشهور
فان أعطيتم الايام مالا * فلا تشمو بها غير السرور
فكل فتى يرضى غنيا * يعيش بماله عيش الفقير
وعند الموت يلقى شر بؤس * ويسكن وسط نار السعير
فان أعطى وصدق واتقى الله * فيا بشراه في يوم النشور
والله يخلف وزرطه ره * ويرقى في الجنان أعلى القصور

(قال الراوي) فلما فرغ الحدار من شعرهم وهذه الابيات تعجب الحاضرون من كلامه وحسن نظامه فقال له عنتر ان هذه مقالة بالغة تحث العاقل على نهب عمره قبل فناه وتهون عليه بذل جميع ما اقتناه وحواه في دنياه ثم انه أمر الحدار بالجلوس فجلس وأتى له بما أكل وشرب ودارت عليه أقداح المدام وبعد ذلك أقبل عليه الامير عنتر وقال له من أين طريقك هذا رافتى فقال له الحدار من مكة يا مولاى فقال له عنتر هناك مقامك فقال لا والله يا مولاى ولا أقمت هناك الا خمسة أيام بقدر ما اشتريت الحصان وخرجت أدور حلل العرب كما ترى فقال له عنتر وما الذى رأيت في أسفارك من العجائب فقال والله يا مولاى قد رأيت في الكعبة كلما جرى للايام

ورأيت كل عجيبة مع الاصنام التى على البيت الحرام فقالوا اجتماعه وقد صفوا الى كلامه بالله عليك ياوجه العرب حدثنا بما هذا السبب وأبشر بنيل الارب وبلوغ الطلب بلا تعب ولا نصب فعندها قال الحدار اعلموا ياسادات العرب أنى فى هذه الخمسة أيام التى أقمت فيهم فى البيت الحرام عبرت ذات يوم الى الكعبة وأردت بذلك الفرجه فرأيت مصايد لوك العرب التى هى على البيت الحرام وعبد المطلب جالس على العرنوس الذى يعظ الناس عليه وقد جمع أهل الحرم اليه ومعهم من الفرسان خلق كثير لا يقع عليهم حصار وهو يعظهم ويخوفهم من شدة هذه الاعوام ويقول يامعشر العربان أصدقوا فى الكلام واحفظوا الذمام وأطعموا الطعام وأحسنوا الى الارامل والايتام فى هذه العام يظهر الرجل الذى يرمى الاصنام ويعظم قدر البيت الحرام ويجلى عن أبصاركم الظلام وينزل عليه من السماء كلام تعجز عنه الافهام ويتشق له البدر التمام بأمر صاحب الاحكام ويبين لكم الحلال من الحرام ويوضح لكم الحق من الباطل بالمعجزات والدلائل فاجتنبوا الكذب والنميمة وراقبوا صاحب القدرة العظيمة لعل هذا الرجل يراكم وأنتم على الطريقة المستقيمة فيسكن هذه الديار ويتخذكم له أنصارا ويذل بكم أهل الامصار وتتقلبون الى مقلب القلوب والابصار (قال الراوى) ومازال الحدار يحدث عنتر وأصحابه بهذا الكلام حتى اشتغل القوم عن شرب المدام وما فيهم الا من قال هذا الحديث قد سمعته مرارا عديدة وتواترت به الاخبار وكنا نشتهى على الله أن يمد لنا بالاعمار حتى يبعث هذا الرجل ونراه وننصره على من عاداه فقال الحدار ياسادات العرب وما هذا الامر

الاقد اقترب وفي أثره تطلع شمس وأنا أحدثكم بالعجب من هذا الحديث وأغرب لاني قد سمعت هذا الكلام من عبد المطلب وقد اشتغل خاطري وبت وهو في ضمائري فرأيت في المنام وهو كأنني واقف قدام الهبل وهو الصنم الاكبر الذي على الركن اليماني وكأني سألته عن هذا الرجل الروحاني وقلت له يا مولاي متى يكون ظهوره وفي أي مكان ينتظم سروره فقال لي اذا أينعت نخلات بثرب ووقع الجوع والغلاء في بلاد المغرب وانشق ايوان كسرى وخرب ووقعت الوقعة العظمى وعلق قصيدته فارس بني عبس الادهم وأجل سفك الدماء في الحرم وذلك له رقاب الفرسان من العرب والعجم وأتته الهدايا من ملوك اليمن وانتصرت أهل صنعاء وعدن وكثرت في الارض الوقائع والفتن وهنالك تطلع شمس النبوة من هذه الشعاب وتلمع أعلام الحقيقة على رؤس التلال والهضاب ويبان الخطأ من الصواب ويصير للحقيقة أنصار وأصحاب وتمنى المشايخ أن يعودوا شبابا حتى يكثروا من العبادة لرب الارباب ويسألوه الرحمة يوم العرض والحساب ثم قال الحدار وبعد ذلك انتبهت من منامي مرعوب والى الآن من أجله مكروب واريد أن أعرف اين نزل بنو عبس من حين خرجوا من بلاد اليمن لاجل أن أقصد فارسهم الذي يسمى بعنتر وأحدثه بما سمعت في حقه من هذا الامر المعتبر الذي يصير لديه الشرف العظيم ويفتخر بذكره بين زمزم والحطيم قال ولما فرغ الحدار من كلامه غشي على عنتر وكل من حضر وقالوا ان هذه القصة ينبغي أن تنشر وتسطر على أوراق الشعر لانها عبرة لمن اعتبر وقوى عنتر على تعليق القصيدة وفرح بذلك المقام واستبشر وقال للحدار ما اسمك يا وجه العرب فقال اسمي جابر

يا مولاى فقال له عنتر أبشر يا جابر بغناك وبلوغ منالك لان وجهك وجه مبارك وما أنا الا فى انتظارك لاتسافى مثل هذا كنا تصدث قبل وصولك الينا وماساقك الله الا لبلوغ مأمولك واذا هو بفارس عبس الادهم والليث الغضنفر ولاسد الضيغم قال له لابد فى هذا العام أن أسير الى البيت الحرام وأعلق عليه بعض قصائدى التى ذكرها الهبل الاعلى وأخبرها وأترك العرب تصلى لها فى كل عام (قال الراوى) فلما سمع الحدار مقال عنتر قام وخدم وقال يالها من طريق ما أجودها ومن ساعة ما أسعدها والله يامولاى لقد حسبت هذا الحساب وقلت ان اتفق لنا هذا الاتفاق بان هو الصواب وأريد من اليوم أن تجعلنى لك غلام وتتخذنى لك من بعض الخدام الى أن ينقضى ما فى هذا العام ونحج الى بيت الله الحرام وأسير وأبصر صحة هذا المنام فاذا انتصرت على من تشاء وبلغت آمالك أنعم على بشى ء أرجع به الى الاولاد والاحباب فقال عنتر وحق ذمة العرب لاجعلنك من اليوم فى منزلة أخى شيبوب المهذب وكذا أنت المحكم فيه الى أن تبلغ المقصود والمطلوب وترى ما أفعل فى حقك لتزول عنك الكروب لانى أعلم أن رب السما قد ساقك لاجل سعادتك وعلو قدرك ورفعتك ثم عادوا الى ما كانوا عليه من اللهو والطرب وقد اركب عنتر للحدار جنيبا من جنائبه وعند الصباح عادوا الى الاحياء ثم انه خلع على الحدار خلعا سنيه وأمر شيبوبا أن يكرمه ويخدمه للغاية ويزيد فى اكرامه ويقضى أشغاله بالكليه وشاع الخبر فى بنى عبس وكثر الكلام فى العرب فكان المحبون لعنتر يقولون لابد لنا والله من مساعدته على ما يريد أن يفعله واما المبغضون فيه يقولون والله ما هذا العبد الا قد تحير وقد دنا أجله وأما

بنى زياد فقد زادهم الحسد وذابت أجسادهم من الكمد فقال عمارة نخاف أن يفيض شؤمه ويسوق كل من فى الدنيا الينا ونحترق بناره ونقطع آثارنا وآثاره فقال الربيع نحن اذا رأيناه قد جد فى هذا وطلب المسير الى البيت الحرام رحلنا نحن الى بنى فزاره وتركناه هو ومن معه يفعلون ما يشتهون ثم انه دخل على الملك قيس وشاوره فى ذلك وخوفه من عواقب الامور التى تأتى منه فقال الملك قيس يا ربيع لا كلام حتى ينقضى باقى هذا العام ونبصر ما تحدثه الايام ونتدبر على قدر ما نراه من الاحكام لان عنترة شديد فى الامور الملماقص عليه الحدار ذلك المنام وكيف أخليه يهلك هذه العشيرة لاجل أضغاث أحلام وعلى أنه لا بد له منه كان عليه أن يشاورنى فى أمره ويطلب منى المعونه فكنت أخليه يفعل ذلك ولا أبطل عزمه عما هو طالب وأخوفه من شر المواقب ثم انه طيب قلب الربيع ولم يرده خائب ومضى على ذلك أو فى من عشرة أيام وعنترة يزيد للحدار فى الاكرام الى ان كان فى ليلة من بعض الليالى وقد عاد عنترة من دعوة عامر بن الطفيل فافتقد الجواد الابجر فلم يجده ولم يرى له خبر وطلب الحدار فلم يجده وما وجد له أثر فظن ان عنترة قد تفصلت وان روحه من جسده قد طلعت وعلم ان الحدار كان سلال محتال وان المنام الذى رآه كذب ومحال فقال عنترة واحر قلباه من شماتة الاعداء والحساد ومن فرح بنى زياد والله لقد دبر هذا الملعون وما قصر وما قصد الا جوادى الابجر وأنا أقسم بمن أظهر النبات والشجر وفرق بين أصناف الثمر وأنبع الماء من الحجر لا بد لى ما أبدد شملهم فى البر الاقفر ولو أنهم بعدد الرمل والمدر ولو كانوا أمة ربيعة ومضر وقد طار النعاس من رأسه فقال لشيبوب ويلك وعى

راع هذا الملعون فقال يا ابن الام من أول الليل كنت أنا وإياه في المنزل وأتيت الى خدمتك وتركته على الطريقة التي هو عليها وهذا آخر العهد منه فقال عنتر يا شيبوب كيف الامل وكيف الاجتماع على من يكل حبيبه قد اشتمل (قال الراوي) وكان السبب في مجيء هذا السلال الى بني عبس أن اللقيط بن زراره لما أبصر عنترة قد أسر ذو الخمار ودريد بن الصمه وقت كان عنتر عائدا من دعوة عامر ابن الطفيل كما ذكرنا وهرب في البر الواسع الافقر فلا زال اللقيط سائرا ذلك النهار وطول الليل هو ومن انهزم معه من الخيل حتى قاربوا أرض بني دارم وهم يتذكرون حديث عنتر وشجاعته وما أعطاه الله من السعادة والاقبال فقال رجل منهم والله لا أفلح رجل يعادي عنتر ولا بني عبس ما دام فيهم هذا الرجال آفة الزمان من يلعب به مع الابطال ولقد خلقه الله آفة لا يقدر عليه أحد في عصر ولا في زمن ولولاه ما خرج أحد من بلاد اليمن ولا كنت أبصرت منهم من يشرب اللبن لاني أنا كنت دخلت الى تلك الديار ورأيت بعيني ما حل منه بذي الخمار وشاهدت وقعة عقبة الفروق وأرض الاصابع ورأيت منه ما لا أقدر أصفه بلساني ولا يحيط به جناني ولما عاد عنهم وهو بين الابطال تذكر ما جرى له من أصحابه وأهله فصار يردد القصائد التي له ومن جملة ما قال

رعى الله ربعا بالحماطل باليا * وأصبح منا موحش الدار خاليا
وكان لنا دون الفروق موافقا * محينا بها ذكر السنين الخواليا
حلفت لقومي والقنا يقرع القنا * يمينا بمن أرسى الجبال الرواسيا
بأني أردت الخيل وهي حوائك * وفرسانها ما بين شاك وباكيا
وبادرت كبش القوم حتى تركته * في البر من خوف المنية واليا

وما بلغ الاعادى منا مرادهم ✻ ولا نحن فلنا واشمأتة عاديا
(قال الراوى) وكان فى أرض المصانع قد جرى لهم مع بنى تميم أمور وحروب لان عنترا أباد شجعانهم وجندل اقرانهم وسار من أرض المصانع يريد أمياه عراعر وجبال بنى كلاب ابن وبره وهو ينشد ويقول

اذا كشف الزمان لك القناعا ✻ ومد اليك معرق الدهر باعا

(قال الراوى) وأنشد الشيخ الشعر الذى قاله عنتر ووقعاته وليس فى الاعادة افادة فلما سمع اللقيط بن زراره زاد غضبا وقلقا وامتلأ قلبه حنقا وقال والله يا ابن العم ما هو الا رجل مسعود ومن تمام سعادته له أخ يقال له شيبوب وجواده الابجر لانى يا ابن العم رأيته عند القتال ان أشار عليه بالوقوف وقف وان طلب منه الانعطاف انعطف وان قام فى ركابه ليضرب خصمه شمال يده معه وأعطى جانبه وان أراد أن يطعن عدوه يأتيه عن شماله حتى تقع الطعنة ممكنة من قباله وان تقابض هو وقرينه ترسخ قوائمه فى الارض كالاوتاد وان رأى الاسنة قد دارت به انسرق من بين العساكر ومضى فلا يلحقه أحد من العباد وأما أخوه شيبوب فهو خلفه يرمى بالنبال ويعمل ما لا تعمله صناديد الرجال وحق ذمة العرب قد ثبت عندى لو لم يكن على حصانه الابجر ما قدر على ذى الحمار الاسود الابتر لان ذو الحمار كانت حجرته من تحتها تحته وقعت وأما حصان عنتر فانه كان كثير الجلد ولو أن أحدا يسرقه لى كنت أعطيه من الجمال والنوق والعبيد ما كان يشتهى ويريد ومن المال شيئا ما عليه من مزيد واذا حصل لى هذا الحصان كنت أريكم ما أفعل عليه بالفرسان كى اترك لى ذكرا يذكرنى أبدا فى كل مكان (قال الراوى) فلما سمع الحدار الذى أتى الى عنتر وكان اسمه المختاس

ابن ناهب الطميمي وهو من قوم يقال لهم بنو طميم فقال يا لقيط
أنا آتيك به وأذبح لك شيبوبا وان أردت نفس عنتر أو أن آتي لك
برأس عنتر لفعلت وان فعلت ذلك ما الذي يكون لي عندك
من البر اطيل فقال له اللقيط وحق ذمة العرب يكون لك عندي
كلما تريد ولو طلبت ملكي وملك اخوتي سلمناه اليك فقال له
المختلس ما أريد منك الا أن تروجني ابنتك وتحكمني في أموالك
ونعمتك فقال له اللقيط لك على ذلك وكلما تريد أسلمه اليك وهؤلاء
بنو عمي يشهدون علي وعليك (قال الراوي) ثم ان اللقيط مد يده
للسلال الذي هو المختلس وعاهده على ما طلب وشهدت عليهم
فرسان العرب وما فيهم الا من فرح لهلاك شيبوب وعنتر وما زال
اللقيط يحث السلال حتى سار وجد في المسير والرمال حتى وصل
الى الديار وقرب الى منازله فدخل المختلس الى بني طميم وجدد بأهله
عهدا وأقام عندهم يومين وفي الليلة الثالثة لبس فروة خلقة وعليها
سعاف فقطع الاركان وتعمم بعمامة خضراء قد عبر عليها
الزمان (قال الراوي) وضيق لثامه وترك باقي اطرافها على أكتافه
وأخذ في حقيبته شيئا من الطيب وخرج من الخيام في غسق الظلام
وتوطن في البر والآكام وكان رجلا هماما وكان من شجاعته يقدم
على الامور العظام وكان يلتقي الاهوال الجسيمة وكانت خلقته
شنيعة كأنها خلقة اجان وكان أعجوبة تلك الزمان وكان داهية من
دون الانام وكان الذي حمله على هذا الخطر الخطير محبته في ابنة
اللقيط لانه لما سمع بصفاتها وعلم انه ما هو من رجالها لان اللقيط
كان من الشجعان الكبار والمختلس رجل سلال جبل غدار فقال
في نفسه ارم نفسك في بحر الهلاك عسى أن يكون لك من الهوى

فكلك فما دامت المقادير بما جرى بينه وبين اللقيط فسار بخاطر بروحه ويرميها في كل أمر خطير حتى وصل الى الارض التي فيها بنو عبس المشاهير واتفق له ما اتفق على جانب الغدير وقد دخلت على عنتر حياته وما فعل من خباثته من أمر المنام وزخاريف ذلك الكلام وأقام عندهم تلك الايام وهو مع شيبوب يخدم الجواد الابجر ولم ير أحد يخفره من دون كل أحد أكثر المخالطة معه وصار اذا مضى شيبوب الى خدمة أخيه عنتر لم يتبعه بل يقول له يا مولاي لا عمل لي الا طاقة لي به لانك تشرب مع الملوك ذوي الاعتبار وأنا رجل فقير حقير ما أقدر اجالس الا من يكون مثلي ولا يكون بيننا تكليف ولا اعذار وكان ذلك القول منه خبث وخداع وكتم أمر وصار يسيس مع شيبوب الابجر ويعاونه عليه حتى انه ألفه وصار لا ينكره حتى انه كان يقول لشيبوب نم أنت يا مولاي وأنا أنوب عنك في هذه الليلة خدمة فرس مولاي عنتر وما زال كذلك حتى انتهى الامر وعول في تلك الليلة أن يذبح شيبوب ويطير من عندهم مثل الهبوب ولم يقتنع بالابجر وانما الهيبة التي وقعت له من عنتر وأسباب أخر وأتت المقادير بخلاف ما أضمر وأبطأ عنتر في دعوة عامر بن الطفيل ومضى شيبوب الى أخيه الامير عنتر وكان ذلك سبب السلامة نفسه من الذبح قال الراوي فلما خلا الحدار بنفسه ونظر أصحاب الخيام وقد استولى عليهم المنام قال الحدار هذا وقت بلوغ المرام فأخذ الابجر والصاقه به في الظلام وطلب الكثير برث الملام ثم انه لبس الجبة التي كان يلبسها شيبوب لما أنه يسيس الابجر وترك القلنسوة على أسه وشد وسطه بحزامه وتقدم الى الفرس وهو في زي شيبوب وحمله من شكاله وقاده الى أذيال الخيام وأطراف البيوت وسار به

الى ساحة الفضا وقفز ونط عليه مثل القضا ولما عاد شيبوب من
عند أخيه عنتر وتفقد الحدار فما رأى له خبر وتقدم الى محل الجواد
فلم يرله أثر فصرخ صرخة عظيمة وعاد الى أخيه عنتر وأعلمه بما جرى
فطار من رأسه الخمر وصارت عيناه مثل الجمر وما نام تلك الليلة ولا
التفت الى عبلة لانه كان يحب جواده أكثر من حب عبلة وقد
ذكروا أن عبلة كانت عنده أعز من روحه التي بين جنبيه وانما
كان يعلم ان سعادته بالابجر وبه كان يبلغ المراد وقوة الجلاد وقد
ذكرنا انه كان يسقيها اللبن بعد بيض الفضة فعتبت عليه في بعض
الايام وقالت له يا ابن الامم من حيث انتشيت وأنت تدعي حبي
وتخاف بحياتي وتقول ما عندي في الدنيا أعز من عبلة وأراك تختار
فرسك علي وتسقيه اللبن قبلي فما هذا السبب في هذا المعنى ثم انها
بكت وانتحبت فنالم قلبه من بكاها فأنشد يقول

لا تحسدي مهري اذا أكرمته * ففيه اذا هان العزيز مكرم
واذا غضبت فلي اليك وسيلة * اما بعسقد أو شبوب مسلم
ابن النعامة ما اليه وسيلة * الا بطيئة مشروب ومطعم
وأنا وأنت به ولولا ظهره * أمسيت دياراً بيك قدر الدرهم
ان كان حبك في الفؤاد محكما * ففي أعضائي يجري كما يجري دمي
فاروي ظماه اذا عطش فاله * بخيلك من هول الغبار المظلم
اني أخاف أن تقول مذمة * هذا غبار الخيل أين الادهم
ذري الجوع والعطش الذي * يرثانه ضعفا عند التزاحم
والخيل كالسيل وهذا نارها * الابجر المسمى بالخيل الادهم

(قال الراوي) وقد جرت عادات العرب بمثل ذلك لانها كانت
تنتخب الخيل الجياد وتدخرها لايام الطراد وتفضلها على الحريم

والاولاد

والاولاد وحكى عن بعض الفرسان أنه خطب بنت عمه وانه بذل لأبيها مالا جزيلا فقال له عمه يا بن الاخ أموالك بارك الله لك فيها وأنا ما أريد مهرا بنتي الا فرسك الذي أنت راكب عليها قال فسكت الغلام وبقي حائرا ما يدري ما يفعل ولما طال به التحير فارت اليه بنت عمه وقالت له ويلك يا بن العم ما هذا التوقف في الكلام أنا ما أساوي عندك مهرا ولتبعله لي مهرا فلما ان سمع الغلام كلام بنت عمه أشار اليها بقول

وقعقعة اللجام برأس مهري * أحب الي مما تعربيني
فما هان الجواد علي حتى * أجوديه وربي في يميني
أخاف اذا وقعت أنا بضيق * وجد السير ان لا تحمليني
فمهري في المعامع هو نجاتي * اذا كان الاعادي طالبيني
فان كنت مهري في يوم حرب * فهو يصيني من الهول المبيني
فمهري لي ولك يحمي حمانا * بجولانه من الاعداء يصيني
وان فارقت مهري يوم حرب * تدسني الخيل وانت تنظريني
ولا لمك أيدي تمنع عني * منع جوادي حياة عيني
اذا جار الاعادي وأكمنوا لي * بهذا المهر أخرج من كميني
فمهري اذا ركبته انتصر به * وأنت اذا ركبتك توقعيني

(قال الراوي) لهذه الاخبار ثم ان شيبوب بعد هذا التعلل والافتكار وثب على قدميه وقد غير زيه وسار وقد تبطن في تلك البراري والقفار بعد ما قال لاخيه يا بن الام انني سائر لبذل المجهود ولا تنتظرني في هذه الكرة فاني لا أرجع الا بالمقصود ثم انه بعد ذلك الكلام سار تحت ظلام الليل المعتكر وقد أطلق ساقيه للريح وطاب البر الفسيح (قال الراوي) هذا ما كان من أمر شيبوب

وسفره وأما ما كان من الامير عنتر وخبره فانه بعد سفر شيبوب أقام في الديار وقد صار يقاسي الهموم بالافتكار وكان أشد الاشياء عليه شماتة بني زياد ومن مثلهم من الاعداء والحساد الا أن عنتر بعد ذلك أقام مدة من الزمان وهو قلق القلب على أخيه شيبوب وكاد قلبه من أجله أن يذوب فصار عنتر كل يوم يركب مع ندمائه وأصحابه ورفقائه ويبعد هو واياهم في البر الفسيح ويتعاهد الطرقات التي يأتي منها أخوه شيبوب وكل حين يسمع من أطراف السفار أخبارا مختلفة ما فيها لمن سأل استبشار الى ان كان يوم من بعض الايام وقد أبعدوا عن المضارب والخيام كما جرت بهم العادة في ذلك البر والآكام هنالك تذكر في أحواله وشأنه وما جرى له وكيف قهره من لا يعد من أشكاله فأنشد وجعل يقول هذه الابيات

سقى الغيث وادي الجذع من أرض نعمان
حتى امتلا القاع من وادي الـــــان
وهل عاد وادي البان بعد الرى مفتكرا * لمن كان ظمآنا غير ريان
وهل دافع ان روت الصعب أرضه * وانى من أمياله غير ريان
وفي القلب مني لوعة وصبابة * لو أمج الشوق بل زفرات نيران
على من له قلب لا يضيق من الضنا * على كثرة أخطار وفرقة أوطان
منازل كان الدهر فيها أنيسنا * وعاد وحيشا من خطوب وهجران
ديار تخلت عن أنيس حاضرا * وكان لها ود وعز بجيران
اذا غنت فيها الحمائم هيجت * غرامي وأذكت نار شوقي وأحزاني
فيا ليت شعري اذ بكت هل ترنمت
وغنت على فنن الغصون بألحـــان
وهل عندها ما بي فناحت صبابة * على وابكاها غرامي وأشجاري

وشتان بيني في الغرام وبينها * وان كان للذات في القرب سيان
ولو انها مثلي لكانت جفونها * تفيض بدمع وأكف الودق هتان
وما لبست في الجيد طوقا لزينة * ولا خضبت كفا بحناثها القان
وما وجدت من يبكي أسفا مثوجعا
كوجد الذي يبكي لصد وهجران
الى الله أشكو ما ألاقي من الاسا
لفرقة اخواني وآخران أزمان
ألوم على صبري في زماني تألما * وما عذرني الاتقاني واخوان
تعصب الناس على ظلمي بأجمعهم * وأظلم مالاقيت أهلي وجيران
وكان زماني اقبالي ونصيحة * وصبح خوانا لعهدي كاخوان
لكل امرء شيطان يكايده * وان لي بين الورى ألف شيطان
فنهم بني زياد أمل بليتي * لان ما فيهم مودة الانسان
ولما أتى الحدار زاد في بلا * لاجل منام كان زوار ابهتان
فلما أخذ ذاك الهيم لا يجري * أورثني هما وغما وأحزان
وزاد سرور الربيع وبهجة * وأيضا عمارة صار في الحي فرحان
وشيبوب أبطى في البلاد ولم يعد * يفرج لما بي من هموم وأحزان

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام وهو يتطلع ان تلك البراري والقفار الا وقد أقبل من كبد البر راجل وهو يهتف على الارض مثل السيل أو كأنه ذكر النعام اذا جفل فلما نظر اليه عنتر وقد سمع عنده النظر والخبر وهو يظن أنه أخوه شيبوب لما رآه في البر يغدو وهو مثل الريح الهبوب فعند ذلك عدل بفرسه عليه وقد طار قلبه من بين جنبيه وقد تجاوبت الفرسان كلهم من حوليه فلما أن قاربته الابطال سلموا عليه وترحبوا به وقربوه فلما أن قرب

منهم بدأهم بالسلام فردوا عليه السلام فقال لهم يا وجوه العرب هذه ديار بني عامر فقالوا نعم يا وجه العرب فقال لهم وبنو عبس فيها نزول فقال له عنتر وما حاجتك يا زين القادمين فقال له حاجتي عند أبو الفوارس عنتر بن شداد فلما سمع عنتر بذكره فرح واستبشر وفي الحال دنا منه وصار يسأله عما كان عليه قادم ويفهم ما عنده من الغموض الكلام وصار يرجو منه بلوغ المرام فنظر الى رجل طويل الساقين مخلوع الركبتين أسود الوجه أزرق العينين فعندها تعجب عنتر من خلقته رأيضا أصحابه من رؤيته وبعد ذلك قال له عنتر يا فتى ها أنا عنتر بن شداد بشراك بما يسرك ويدفع عنك ما يضرك قل الآن ما بدا لك نجح الله أعمالك فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا وفينا عنك دينك وخلصناك من مصيبتك وان كنت ضالا عن الطريق أرشدناك وان أردت الاقامة عندنا جعلناك من جملة فرساننا فلما سمع الاعرابي ذلك الكلام قال يا مولاي اعلم اني رجل سلال ومن حيث نشيت ما أكلت لقمة حلال ولا بت ليلة بلا سرقة مال أو حصان أو شيء من الرجال وهذا الكلام ما أقوله لك الا وقد سمع عندي انه فخر عند الرجال والشجعان فالشخص ان لم يكن مقدما على الاهوال لم تعده الرجال من جملة الفرسان واني يا أبا الفوارس سمعت في هذه الايام ان في ديار بني دارم حجرة يقال لها سكاب وقيل لي عنها انها في جريها تسير سير السحاب وتفوق القطر عند الانسكاب وتساوي أقليما عامرا ما هو خراب فقلت في نفسي من أخذ هذه الحجرة نال الغنى وبلوغ المنى فجهزت روحي وسرت الى ديار بني دارم ودخلت فيها فما وجدت الى سرقتها من سبيل وقد وجدت عندهم رجال أكارم فوقفت هناك

مقدار عشرة أيام فما وجدت لى قدرة ولا اقدام بل وجدت صاحبها
عندها ينام ومن محبته لها دائما يتلذذ بروائح أنفاسها وعبيده
فى ظلام الليل وضياء النهار لم تبرح من عندها وهم لها حراس فأيست
من الوصول الى سرقتها وهممت أن أعود الى أهلى ولكن لم أزل
مشغول القلب والبال من أجلها فسمعت بخبر جوادك الابجر انه
وقد صل الى الفقيط ابن زراره وقيل انه أعطاه الذى سرقه مالا كثيرا
وانك أنت مقصر عليه وعلى من يأتيك بأخباره فقلت فى نفسى
لابد لى أن أطول روحى لعلى أصل الى هذا الجواد وأسلمه وأرده الى
صاحبه عنتر بن شداد وآخذ منه ما يعينى على معاش العيال ثم انى
وصلت الى المكان الذى قد تركوا فيه الجواد فما بصرته فرأيته سهلا
على الطالب ولكن ما قدرت على سهله وقلت ان تعديت عليه قتلنى
وان احتلت عليه وركبته رمانى أو كسر لى أو ربما شرد بى فى القفار
وخلانى وأكون أنا قد ضيعت زمانى وخاطرت بروحى وجسمانى
والصواب انى أعود الى صاحبه وآتى به الى هاهنا بركبه وربما يكون
معه العبد الذى كان يسيسه ويألفه حتى أدخل أنا وإياه عليه واذا
لحقتنا الخيل بما نمنع عنا الفرسان وقد بلغنا الآمال ولم تصور
فى قلبى هذا الرأى سرت اليك يا أبا الفوارس كما ترى وها أنا قد
أخبرتك بما تم لى وجرى فدبر الآن أمرك واشرح صدرك (قال
الراوى) فلما سمع عنتر هذا الخبر فرح واستبشر وبان السرور على
وجهه وظهر وفى الحال قال لاسلال ابشر يا وجه العرب يبلوغ
الآمال والمطالب وأنا ما أردك خائبا ثم ان عنترا فهم كلامه التفت
الى أبيه شداد وقال والله لقد ضاع تعب أخى شيبوب فلو كان هنا
حاضرا ما رجعت الى الديار بل كنت أسيرت من هاهنا الى ديار بنى دارم

وأجارى القيط ان زاره على ما هو عازم والرأى أنى أنظره اليوم وغدا وان ما أتى أخذت منى أخى جريرا وسرنا فقال السلال يا وجه العرب وان كان قد عدم سايسه فسر أنت معى واستعجل العجل فأنا أخرجه الى أذيال الخيام ولو أنه أسد من أسود الاكام فقال عنتر يا أخا العرب سايس الجواد ما عدم وانما سار فى كشف أخباره وان هو ابطأ علينا وما واحدا فعندنا من يخلفه وهو أخوه ابن أمه وأبيه ثم ان عنتر بعد كلامه معهم أن يأخذ السلال ويعود به الى الخيام واذا بالفرسان قد نظروا الى البر الاقفر واذا قد أقبل عليهم من البر غلام أغبر وهو يكدح على الاقدام كأنه ذكر النعام ويصيح صيحات منكرات ويقول يا أيا الفوارس اقفوا على هذا الشيطان السلال المحتال وهو الذى قد ثنى اليك فى زى حذار وسرق الابجر وطار وقد ساقته المقادير بسعادتك بهذا الزى والاخبار لانه كان مراده يقلع منك الاثار فلما سمع عنتر هذه الاخبار حار وأخذه الانبهار الا أن القوم لما رأوا ذلك الغلام فتبينوه واذا به شيبوب ففرحوا به فرحا شديدا وقد بقوا حائرين من هذا الامر الذى أخبرهم به شيبوب فعندها التفت عنتر الى أخيه شيبوب وقال له ومتى رأيت هذا الرجل المسكين حتى انك تتهمه بهذه التهمة وذلك الشيطان كان أبيض أشقر وهذا السواد هم فقال شيبوب كل هذا حيلة ومكر وخداع وان كنت يا ابن الام تشك فى مقالى فقلعه ثيابه وانظر الى أحواله فتبان لك الحقيقة وتظهر لك الطريقة فعند ذلك نزل شداد من على ظهر الجواد وكشف ثياب السلال واذا بجسده أبيض فلما نظر عنتر الى ذلك تعجب وفى الحال سل عنتر سيفه من غمده وأراد أن يدنو منه ليضرب رقبته فعندها صرخ السلال بعلو صاحه وقال

لا تفعل يا أبا الفوارس فأنا الذي أخذت حصانك وأنا أرده عليك وأتوب على يديك فقال عنتر وقد أهمل أمره والى أين ذهبت الجواد يا نسل الاوغاد فقال يا مولاي هو عند اللقيط ابن زراره لانه قد لعب بعقلي وأوعدني أن يزوجني ابنته وكان وعده كاذب وقد رددني اليك على الاعقاب فأتيت اليك ووقعت بين يديك وكان لهذا الحديث سبب وأي سبب واعجب من كل عجب لان هذا الرجل الذي هو المختلس بن ناهب السلال لما تم حاله على عنتر وأخذ فرسه وقصد به أرض بني دارم ودخل به على اللقيط ابن زراره فلما ان نظره اللقيط ومعه الجواد فرح فرحا شديدا وفي الحال خلع على السلال وضرب له أبيات بجانب أبياته وقد نقل اليه كلما يحتاجه وحكمه في نعمته وأمواله وقد كان اللقيط هو أول من يحمل الابجر مركبه فما قدر على ذلك ولا جسر أن يقربه لا من الاحرار ولا من العبيد لانه أنكر المكان الذي كان فيه واستوحش الموضع فصار الابجر كلما دنا اليه أحد يقتله حتى قتل تسعة من العبيد الا تاليد فعندها توقفت منه العبيد والفرسان وصاروا ينظرون اليه كما ينظرون للاسد الكاسر العنيد وقد حار اللقيط في أمره وتاه رشده بين عقله وفكره فقال في نفسه والله لقد ضاع تعبنا في هذا الجواد وما بلغنا منه المراد فقال له أخوه حاجب يا لقيط هذا أمر ما يجري على الاذلال الروح والصواب أن تخلي هذا الفرس حتى أنه ينسى راكبه وتشيله على بعض الحجورة وبعد ذلك تكثر من الدخول والخروج عليه فان أطاعك للركوب كان والا فاتركه برسم المباح واركب من مهاراته المنسولة لانه يأتي بأحسن منه فلما سمع اللقيط مقاله أخوه رآه في غاية الصواب وكان في ديار بني دارم حجرة يقال لها سكاب وكانت هذه الحجرة لرجل

يقال له مفرج بن وثاب وكان خبرها وصل الى الملك النعمان فلما سمع بها أنفذ الى صاحبها مفرج بان يشتريها منه فأبى صاحبها ولم يسمح بها لاحد وقد كتب الى النعمان كتابا يقول فيه هذه الابيات

أيا ملكا زهاه فخرا ومجدا * ومن للجود قد زاد ارتفاعا
أتطلب تشترى مني سكابا * سكاب لا تعار ولا تباعا
فهذه مكرمة علينا * نجيع لها العيال ولا تجاعا
فلا تطمع بها ملك البوادي * فبيع سكاب مالا يستطاعا

(قال الراوى) الا ان اللقيط من شدة فرحه بالابجر اشترى هذه الفرس من صاحبها وقد تقوى على مفرج بن وثاب واخذ منه الحجرة سكاب وقد شدها قريبا من الابجر وأراد بذلك أن يشيله عليها حتى انه ينسى أرضه وراكبه وصار اللقيط في أكثر الاوقات يقعد عند الجواد الابجر ويؤانسه ويطعمه من يده هو والسلال الذي أتى به وكان اللقيط قد قال للسلال يا أخي أنا قد أعطيتك يدي على زواج ابنتي اذا أنت أتيتني برأس عنتر بن شداد وأخيه شيبوب وأنا وحق الرب القديم على كلامي مقيم فان قمت بما أعطيتك فامضي الى حال سبيلك وان أردت أن تكون مهري تقم لي بما ضمنت من الصيام فعندها قال المختلس للقيط السمع والطاعة أنا ابلغك كلما تريد فاكتم هذا الامر عن الاحرار والعبيد وأنا آتيك برأس شيبوب وعنتر الصنديد فقال اللقيط كيف تقدر أن تعود الى القوم وقد عرفوك قبل هذا اليوم وأكلوا معك الزاد والفوك فقال المختلس يا مولاي هذا أمر ما أفكر فيه لاني أقدر في هذه الساعة أتشكل باشكال عديدة وأدخل عليك وافعل ما أريد من دون أن تعرفني ان كنت من الاحرار أو من العبيد (قال الراوى) وكان

سلالا لون العرب فى ذلك الزمان يعرفون حشائش وعقاقير شتى كثيرا وكانوا يغيرون ألوان الخيل ويبيعونها على أصحابها ولا يعرفونها قال فنهض المختلس من حضرة القيط واختلاسه تلك الليلة وصبغ روحه بعقاقير يعرفها فصار أسود ما فى ولبس على جسده ما يوافق لونه وفى الحال دخل على القيط فى الصباح وقد أوراه ما فعل من الامور القباح فعند ذلك أيقن القيط ببلوغ الآمال من شيبوب وأخيه الفارس الريسال فما كان من جواب القيط الا أنه أوعده بكل ما يريد فعند ذلك ودعه السلال وصار بعدما أوصاه برعاية الابجر وقال له يا مولاى ان العبد الذى يسيس الجواد قل له أن يلبس الجبة الصوف التى أتت معى وانه للفسوة ويتقرب اليه ويطعمه ويسقيه ثم ان السلال بعد كلامه خرج من الحله قبل أن يصبح الصباح وسار وقد جد فى المسير يقطع الروابى والبطاح وقد مون عليه العشق تلك الامور القباح (قال الراوى) وقد ذكرنا فى أول حديثنا أن عنتر أمر أخاه شيبوبا أن يقصد أحياء العرب فسار شيبوب كما ذكرنا من عند أخيه عنتر وجد فى البر الاقفر وقد ذهب الى ديار بنى فزاره والى بنى دارم التى فيها القيط بن زراره وقد قال فى نفسه ان لم اجد الابجر فى هذين الجهتين قصدت البيت الحرام ولا أعود من تلك الديار الا بحقيقة الاخبار (قال الراوى) ومازال شيبوب يتذكر فى هذا المقال حتى وصل الى ديار بنى فزاره وأقام شيبوب فى أرضهم ليلة واحدة لان شيبوبا دخل الى الاحياء فى أول الليل وخرج وقت السحر وقد أيس من خبر الجواد الابجر من ديار بنى فزاره ولم يجد له أثرا فعند ذلك هم شيبوب على وجهه فى القفار وقد طلب فى طريقه أرض بنى دار وهو مثل المجنون وكان

أكثر سيره في ظلام الليل ومازال كذلك حتى وصل الى ديار بني دارم وبقي بينه وبينها مقدار يوم وليلة فمن هناك خاف شيبوب على نفسه فغير زيه وسار فيهما وسائر في الطريق اذ سمع حس انسان فدارى نفسه منه حتى ينتظر ما يكون من الامر المكتوب واذا هو برجل مجد في المسير فتبعه شيبوب وكان هذا الرجل هو السلال ابن ماهب وقد سار من عند القيط ذلك اليوم وتلك الليلة لا أن شيبوبا لما ان نظره أخفى نفسه حتى عبر عليه فعند ذلك اقتفى شيبوب أثره وقال في نفسه هذا الرجل قريب العهد من هذه الديار التي أنا طالبها وأريد أن أتبعه مقدار ساعة من الزمان لعلي أسمع منه ولو كلمة واحدة في هذه القفار أستدل بها على الاخبار ثم ان شيبوبا بعد هذه الافكار سار خلفه في القفار وهو منه في أفكار ولا له به اظهار فبينما السلال سائر وشيبوب خلفه ولم يعلم به فتنفس السلال من فؤاد عليل وكأن قد هجر عليه الليل الطويل وقد بكى بكاء كثيرا من كثرة شوقه الغزير لانه تذكر محبوبته لما زاد عليه الغرام والآلام من أجل بنت القيط وكان اسمها بانة العلم وكان هذا السلال قد نظرها في هذه النوبة لما انه جاور أباها في الخيام فنظر اليها وهي واقفة تزاد به العشق والغرام فأنشد وقال

هاأنت عالة يابانة العلم * مما أقاسيه من ضر ومن سقم
لولاهواك لما أمسيت منفردا * أكابد الجن في داج من الظلم
ولا قدمت على عبس وفارسها * بحكم الضرب فوق البيض والقمم
ليث اذا رأى الابطال عابسة * من شدة الطعن أبدى وجه مبتسم
سرقت أبجر ما صنعت له * من المحال مناما كان في الحرم
وسالت راجع أسقيه من حيلي * ومن خدعي كؤس البؤس والنقم

واترك

واترك الذئب يسعى حول جثته * خوفا عليه من العقبان والرخم
واشفى النفس من شيبوب صاحبه * حتى أنال المنى من بائة العلم
فبلغى يارياح الصبح مالكتى * عنى سلامى وحيها الذى سلم
واخبريها بانى فى محبتها * قد بعت أهلى وما أحويه من نعم
وقد تيممت لقيطا فى مقاتله * وما فات نظره منك الا بسفك دمى
(قال لراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام قال بلغت والله المرام ولاشك أن هذا هو اخذار الذى كان ينادمنى بالليل والنهار ولاسيما وقد ذكرنى فى شعره أنه راجع ليقتلنى ويقتل أخى ولكن وقع فى الشرك لاحالة وفى هذه النوبة أضرب رقبته وأكفى أخى مؤنته والصواب أننى أسير خلفه ولا أعلمه بحالى لانى اذا قاتلته أكون معه على خطر عظيم من سوقى له فى جنح الليل البهيم والآن فها هو سائر من غير تعب ولا شقاء وأنا وراءه فى اللقاء أجد فى السير الاقمر الى أن يحضر عند أخى عنتر وانظر ما يفعل من الحيل وأنا اقتفى منه الاثر فالسعيد من قضيت حاجته وسلمت مهجته ثم انه تبع آثاره حتى طلع الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك توارى منه شيبوب لانه بجميع الطرقات دروب وصار فى عرض البر والبطاح ينظر اليه بعيونه الصحاح وهو بعيد عنه وقد انبسطت الشمس على الاقطار فنظر اليه فى ضوء النهار واذا هو أسود ووجهه أسود فتعجب شيبوب من هذا العمل الانكد وما زال السلال سائرا حتى قارب ديار بنى عامر التى فيها بنو عبس نزول وأما السلال فانه نزل على بعض الغدران يشرب فطلع شيبوب على رابية عالية ونام على وجهه ونظر اليه فرأى وجهه أسود مثل الغراب الابقع فعرفه شيبوب وقال فى نفسه ما هذا الا شيطان فى صورة انسان فلو وصل الينا قبل

ما أعرف حاله كان قد بلغ آماله ثم انه تبعه حتى وصل السلال الى اخيه وجرى ماجرى وقلعوه ثيابه وبان أمره وحاله وحدثهم شيبوب بما سمع من قماله ومقاله فقال عامر بن الطفيل ما فى حياة هذا الفرنان فائده ثم انه سل حسامه وضربه على الهامه حذف رأسه قدامه وبعد ذلك تحدثوا فى خلاص الجواد الابجر فقال عنتر الصواب انكم هذا الامر من بين العباد ونسيره من هاهنا على سبيل الانفراد حتى لا تعلم بنا خوزيا ولا غيرهم من الاعداء والحساد لانهم ربما أنفذوا الى الثقيط وحذروه وبالخبر أعلموه فقال شيبوب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فسيروا أنتم معى فى ثلاثين فارسا ولا تعرفون خلاص الابجر الا منى فعندها أنفذ أخاه جريرا وأمره أن يأتيه بعددهم وزردهم وقت المساء ففعل ذلك وما أتى الظلام الا وقد حصل عندهم ما يحتاجون اليه ثم انهم لبسوا العدد والزرد وساروا تحت الظلام الاسود وكانت جملة الخيل عشر فوارس فنهم أربعة يلقون قبيلة من قبائل العرب مثل عنتر فارس الطليل وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد وباقى الفرسان الستة من رجال عروة بن الورد الذين يعرفون بالثبات يوم العرض وقد جربهم فى انما ثبات فصار وتبطن بهم فى القفار تحت ظلام الاعتكار وكان فى قلب عنتر شعل النار من فعل الثقيط ابن زراره فعول فى هذه النوبة على هتك أحراره وهلاك عساكره وأنصاره وكان عنتر راكبا على جرة صقرا مثل الذهب المصفى فأنشد يقول

اذا ما عسعست البرغاث كواكبه * وقر الدجا منى وشابت ذوائبه
لان ظلام الليل يعرف هيئتى * ومن جرب الاشيا كفته تجاربه

أراد القيط أن مهرى يضيعه * ليركبه هيهات خابت مطالبه
جوادى غيور لو علا فوق ظهره * جبان ذليل ما استقرت منا كبه
تعوّدمنى كلما خاض قسطلا * من الحرب فاشتدت عليه مذاهبه
أخلصه منه بطعن اذا رأى * مواقعه صرف القضا لان جانبه
ومن ركب الخيل الطياد ويبتغى * بها هربا فالذل لاشك راكبه
وعما قليل يشهد السيف بيننا * وتنظر منى بالقيط مضاربه
ويبقى كلانا تحت ظن عجاجه * تصيح عليه بالعويل نوادبه
خزى الله من لا يترك الدار بلقعا * ولو أن جن الارض فيها تحاربه
رمحى رسولى كلما مال بادرت * طيور المنايا الذى هو طالبه

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت من فصاحته جميع الابطال وتواعلى حالهم يقطعون الروابى والتلال وشيبوب يهيم بهم فى البرية يمينا وشمالا حتى بدت لهم ديار بنى دارم وتلك الاطلال والمعالم فعندها انزلهم شيبوب فى واد كان هناك منقطع عن الطريق ليكمنوا فيه حتى يدخل على القيط بحيلة ويخلص الابجر من يده فبينما هو كذلك واذا بعبد قد اعترضهم فى الطريق وهو سائر لا يلتفت الى رفيق فقال عنتر ويلك يا شيبوب لقد راعنى أمر هذا العبد المريب وان صدقنى حذرى فانه عن هذه الارض غريب لانه لا ضرر الينا ولا عز علينا والصواب انك تأتينا به حتى نسأله عن حاله ونسمع ما يقول من مقاله فانه لا يخلو عن فائدة اما لنا واما علينا فقال شيبوب السمع والطاعه ثم انه انطلق خلف ذلك العبد وعاد وهو معه والاثنان يتصادقان ويلعبان فأنكر عنتر تلك العباره وتبينه واذا هو عبد من عبيد بنى فزاره وهو عبد سنان بن أبى حارثة فعياه عنتر وقال له ويلك يا ابن الحلاله أريد أن تصدقنى فى الكلام

وما الذى لقاك فى هذه الارض والاكام فقال العبد والله يا مولاى لم اكتم عنك شيأ مما أتانى فيه لانى ان كتمت عنك شيأ وقعت فى يدك مرة أخرى قطعت أوصالى وهوانى يا مولاى أتيت رسولا من عند مولاى سنان بن أبى حارثة الى عند الملك فقال أقول أجمع من قدرت عليه من الفرسان والابطال وابذل للعرب الاموال والنوق والجمال وبشرهم بهلاك بنى عبس فى الحال لان الحارث الوهاب سيد بنى غسان قد سار من دمشق فى جيوش وعسكر لا يعرف لها أول من آخر طالب بنى عبس كى يفنى ابنائهم ويأخذ أموالهم لاجل انه يأخذ بثار ولده بدر والذى قتله انت يا مولاى فى أرض تيماء لما ضيت مع بقرى الوحش وخلصت مسيكة لانه يا مولاى أرسل جواسيس تكشف له أخبار بنى عبس فغابت وعادت اليه وقالوا له اعلم ان الذين قتلوا ولدك كانوا من بنى عبس ولكنهم رحلوا الى بلاد اليمن وهاتيك الاطلال والدمن خوفا من الملك النعمان لانهم قتلوا أولاد بدر الشجعان والصواب أن تصبر حتى يرجعوا وينصلح حالهم مع الملك النعمان ويقرون فى المنازل والاوطان فنرسل لهم جيوشا يقودونهم بين يديك وتصلب سادتهم على أبواب دمشق فاعتمد الحارث على هذا الحديث وكتب كتابا وأرسله الى سنان بن أبى حارثة وهو يقول له فيه ان عادت بنو عبس الى أرضهم من بلاد اليمن أرسل أعلمنى بذلك حتى أركب وأقلع آثارهم وأخرب ديارهم ففرح سنان بذلك وقال لحصن أبشر يا سعادة ونيل الارادة بأيسر الاسباب لان هذه الاشياء ما كانت لنا فى حساب وأنا أعلم ان ملك الشام ينتقم منهم غاية الانتقام ثم انهم أقاموا على ذلك الحال الى ان رضى عنهم الملك النعمان وردهم الى المنازل والاوطان فسارت

الرسل تختلف بينهم حتى سرق اللقيط جواد عنترة وسار طلبا
خلاصه والتقى بالعبد فقال له يا مولاى ان الجيش خرج من الشام
وأرسلوا الينا رسولا يقول خذوا أهبتكم للقتال فأنتم لكم المال
والنوال ونحن لنا الرجال والعيال فلما ان سمع عنترة هذا المقال من
عبد سنان بن الاندال غضب غضبا شديدا مما عليه من مزيد وقال له
كذب فى مقاله ولا أرشد فى آماله والله لا تركت له طريدا من
الجيش لا كثير ولا قليل الا من كان عمره طويل ثم انه قال للعبد
وأنت كم لك من يوم عند اللقيط فقال العبد يا مولاى سبعة أيام
ومن يوم وصلت اليه أنفذ اخوته الى سائر القبائل من العرب بالمال
والذهب وما سرت من عنده حتى رأيت أول العرب قد أقبلت
وبوادر الخيل قد وصلت واعلم ان الذى فى قلبه منكم أقل مما فى قلبه
من بنى عامر لانه يريد أن يطالبهم بثار اخوته ومن قتل له من جماعته
فقال عنترة هذا الحديث قد عرفناه فما عندك خبر من جوادى
الابجر فقال نعم وهو عند اللقيط مخدوم مكرم لكن ما يقدر أن يدنو
منه أحد ومن شدة ما فى قلبه منه علاه على حجرة يقال لها سكاب
وهى قوية الاعصاب ويقول انه يركب من مهارته وقد ذكر لى أيضا
انه أرسل اليك من يقتلك وقال لى بشر مولاك بذلك وكان قد عزل أن
يمسكنى عنده حتى أحضر وليمة مالك بن حاجب أخو اللقيط لانه
تزوج بجارية من العنبريين يقال لها مهرية واليوم أو غدا يكون
عبور العروس عليكم وأنا أعلم أنها لم تنفذ من أيديكم وهذا الامر
أظهرته لكم فدبروا أموركم كيف أردتم ثم ان العبد ودعهم وسار
يقطع البرارى والقفار قال ولما ان بعد العبد عنهم فقال عنترة الرأى
انكم فى هذا المكان واذا عبرت علينا هذه العروس التى

ذكرها العبد يسير نحو شيبوب على آثارهم ويدخل على بني دارم وهم مشغلون بوصول العروس فيشرع بتدبيره على خلاص الابجر ويعود اليهما سريعا لاجل أن نروح الى أهلنا قبل أن تدهمهم عساكر الشأم فقال شيبوب أما دخولي الى بني دارم فلا تحمل همه وأما العروس اذا وصلت الى هاهنا فخذوها هي ومن معها حتى لا يكون سعيكم في طريقكم خائبا وأنا أعود اليكم بالابجر ولو أنه في يد كسرى أو قيصر فقال عنتر يا ابن الام ان فعلت ذلك فلم أجد لذلك مكافأة بدا ولكن العبد أعلمنا أنه علاه على بحرة يقال لها سكاب من أجود خيول الاعراب وأنا أعرف انها تلد له حصانا مثاله نظير والابجر قد كبر وقل جلده وهمته فقال شيبوب وكاني أترك البحرة والجواد لاوحق من خلق العباد بل أجيب لك الاثنين وأجعله عليهما مقروح الفؤاد ثم انهم مضوا الى الوادي وأخفاهم فيه وأكمنهم في كهوفه ونواحيه حتى أمسى عليهم المساء فقال عنتر ياشيبوب سر اليهم في جنح الظلام حتى تختفي بين المضارب والخيام فقال شيبوب لاخيه عنتر والله يا أخي لم أدخل الحلة وهذه الديار الا نهارا جهارا لان الامر الذي أنا عازم عليه لم يحتاج الى استتار ثم انه أقام عندهم الى الصباح وقصد عرض البر والبطاح فلاقى العروس المقدم ذكرها قد أقبلت ومعها جماعة من الفرسان الصناديد وجماعة من الاحرار والعبيد وحول هودجها اربعة هوادج مزينة بالعقود والجواهر والثياب الفاخرة وهم سائرون في أفراح وجلبة وصياح فلما ان رآهم شيبوب لا غير عاد راجعا الى أخيه عنتر وأعلمه بالحال والخبر ثم انه قال للجماعة تفرقوا أنتم من كل جانب ومكان ولا تتركوا اينما ثقفتم منهم انسان حتى يخفى حالنا وتقضى جميع

اشغالنا

أشغالنا فقال عنتر ما يقدر أن يغلبك منهم ورمحي في يدي محكما ولو أن لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء فوحق من رفع السماء وجعل البيت الحرام أمنا وحما لاهتكن حاجبة هذا الهودج وأسن هذه السنة القبيحة ولابد لبني دارم من فضيحة ويركبهم العار والذل والشنار ويعلم لقيط ان مثلي ما يضيع له ثار (قال الراوي) ثم انهم تفرقوا ثلاث فرق كل فرقة ثلاث فوارس في جانب وطلب عنتر وشيبوب ظهور القوم حتى لا يهرب منهم هارب وفي دون ساعة أخذوا عليهم الطرقات والمذاهب وصاحوا عليهم صياح الاسود اذا خرجت من الدحال وضيقوا عليهم المجال ونهبوهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال وكان مع العروس خمسون فارسا وجماعة من العبيد فقدموهم على الصعيد وما انبسطت الشمس وطلع النهار حتى ما بقي منهم ديار ولا نافخ نار وقد انقضت جميع الاشغال وساقت رجال عروة الاموال وعادوا يطلبون عنتر الاسد الرئبال هذا وشيبوب قال لهم ها قد انقضت أشغالكم فعودوا الى المكان الذي كنتم فيه ولا تغفلوا عن أنفسكم ولا ترقدون لاني في الليل أكون عندكم بالابجر والجرة واقدها ان الامر وتيسر ثم انه ودعهم وسار طالبا الى ديار بني دارم وهو كأنه الاسد الهاشم وكان مسيره من أول الليل فأشرف عليهم وقت الزوال فرآهم قد زينوا المضارب والخيام وهم في انتظار العروس وهم في جمع كثير فقال شيبوب هذا وقت انتهاب الفرصة لان القوم كثر عليهم الطارق وزاد عليهم الجمع والمدد وما بقي أحد منهم يسأل عن أحد ولا الوالد يسأل عن الولد فعندها قصد شيبوب أبيات القيط وأكمن بالبعد عنها وقعد هناك وهو ينظر الى الجواد الابجر والجرة سكاب والعبد الذي يسايسه

وأى طريق يسلك به اذا خلصه ومازال كذلك الى ان أمسى المساء وقد أقبل اللقيط وهو سكران وحوله جماعة من العبيد والغلمان لانه كان فى وليمة أخيه وهم منتظرون العروس فلما أتت وأقبل الليل فما أحد اجاب لهم خبرا فأيس منها هو واخوته وتفرقوا فرقا وظنوا انها افعاة لامر من الامور الا أن شيبوبا لما رأى اللقيط وقد أقبل على ذلك الحال يتمايل فعند ذلك أقبل عليه وتقدم وقبل الارض بين يديه وخدم واثنى عليه فلما نظره اللقيط وقف له وقد استغربه لما ان وقعت عينه عليه وقد أنكره وبهت فيه ثم قال له ويلك من أى العرب أنت يا مولد العرب فقال له شيبوب وقد قوى قلبه وجنانه وانطلق عند ذلك لسانه وقد عرف من هو قدامه فى عاجل الحال باس الارض وقال له يا أمير أنا من عند سنان بن أبى حارسة وقد أرسانى اليك من أجل أمر قد وجب وأريد أن أقصه عليك فقال له اللقيط حيا الله ذلك الامير والسيد الخطير وبالامس مضى من عندى عبده لامع فقال له شيبوب صدقت يا مولاى وقد لقيته فى الطريق وأخبرنى أنه قد أقام عندك سبعة أيام وقد ردبته وهو شاكر منك بالاحسان والانعام لانه أخى أيها الامير وقد أخبرنى انه أمرك بجمع العربان من كل جانب ومكان وما أنا فقد أتيتك محذرا من أعدائك وأخبرك بأمور سوف تبلغ بها منالك لان مولاى سنان من حين خرج لبنى عبس من بلاد اليمن قد ترك عليهم العيون والارصاد وأقام سيدى سنان ينتظر لهم الغارات لعله يا مولاى ان يأخذ منهم بثار بنى بدر لما قتلهم بنى عبس على جفر الهباق الا أن سيدى سنان بعد ارساله أخى لامع اليك أتاه بعض عبيده وأخبره أن السلال الذى أتاك بالابجر وعاد من عندك ليأتيك برأس عنتر

قد عرفوه وأول من عرفه أخوه شيبوب وقد قبض عليه وضربه وقوى الضرب عليه حتى ان السلال أقر بكل ما فعل وقد أخبره بعد ذلك أن فرسه الابجر قد أتى به اليك فلما سمع عنتر أمر بضرب السلال وأن يصلبه على قلل الجبال ومن يومه أخذ جماعة من قومه وسار الى ديارك يطلب خلاص الابجر من يدك ولما سمع مولاى سنان بهذه الاخبار خاف عليك من دواهيه ومن خدائع أخيه شيبوب ذلك الكلب المكلوب الذى فتنت بفعاله القلوب وترك كل أحد من فعاله مكروب وانه لما علم بذلك أرسلنى اليك لاحذرك من ذلك وأقول لك تطرح لاخيه شيبوب الرجال والعبيد والغلمان على سائر الطرقات فلعل أجله أن يكون قد اقترب وقد سار برجليه الى المهالك والعطب وشيبوب أنا أعرفه أنه لم يقدر أحد أن يخلص منه اذا هو طلب ولا يهرب منه لانه شيطان فى صورة انسان يغلب ولا يغلب ولا يوجد مثله فى قبائل العرب ورأسك يا مولاى ما بقى يسلم من هذه الايام ويشرب كأس الحمام هو وسائر بنى عبس الكرام لاسيما اذا سمعت أنت اليوم فى هذه الجموع واختلطت بعساكر الملك الوهاب فقال الاقيط بعد ما نار السكر من رأسه والله يا مولد العرب لقد قطعت ظهرى فى هذه الساعه وحيرتنى فى أمرى وأشغلت سرى بهذا الخبر وقلبى خاف على هذا الجواد الابجر لان عندى من قبائل العرب خلق كثيرة وما يمكن ان احترز من أحد ولو أتى عنتر فى ألف فارس واختلط فى هذه الجموع ما بان من كثرة الفرسان وكان يفعل ما يريد ويدبر ما يختار وما بقى فى الامر ما وجه العرب الا انى أجعل على هذا الجواد الابجر جماعة من العبيد والغلمان وآمرهم أن يحرسوه ويحفظوه من شر هذا الشيطان وأنت يا وجيه العرب تكون

معنا الا نى قد بان لى رأى وأريد أن أقول لك عليه فقال شيبوب وما هذا الرأى ياسيدى وأنت صاحب العساكر والجنود والكتائب والمواكب فقل لى على هذا الرأى حتى انى أجيبك عليه ان كان رأيا جيدا فقال فعند ذلك قال اللقيط اعلم ياوجه العرب انه قد خطر بقلبى رأى بأن أرسل صحبتك عشرون عبدا وعشرة فوارس من قومى حتى تحفظوا هذه الحرة وهذا الجواد الى أن ننقطع خبر بنى عبس من هذه البلاد ونجتمع بعد ذلك فى قتل عنتر بن شداد وقد بلغنا كل المراد ما تقول ياولد العرب فى هذا الايراد فقال شيبوب يامولاى ان قولك كله صواب واعلم ان حفظ هذا الجواد الابجر من غاية الصواب مادامت أرضكم بهذا الحال لان كل يوم يطرقها قوم بعد قوم خصوصا ومن هذا الشيطان شيبوب فأنا أعرفه حق المعرفة دون غيره فخاف منه عليه ولان القوم الذى يقال لهم بنو عبس كانوا الناجيران كما تعرفوا ان وصل هذا الشيطان مع أخيه عنتر الى هذه الديار اعلم يامولاى انه كان يفعل فيها من العبر والدواهى مايختار ولو أن حول الجواد مائة عبد ذبحهم ذلك المحتال ابن الاوغاد ولو كانوا من الفراعنة الشداد وأنا وحق الكعبة الغرا وأبى قيس وحراخائف منه أن يكون هذا سبق أخاه الى هذا المكان أو يكون تركه خلفه مكمنا هو وعسكره وفى هذه الليلة يدورحول معاربنا والخيام والصواب انكم تحترزون على أنفسكم فى هذه الليلة الى أن يطلع الصباح واذا طلع النهار أنا أتخفى وأدور على هذا الشيطان شيبوب بين القبائل وأقبض عليه وأمسكه من رقبته وأسلمه اليك تفعل به ما تريد وان كنت تريد أن تتم أفراحكم فاصلبه بين الخيام أو علقه من كعبيه حتى يتفرج عليه النساء والرجال

والغلمان

والغلمان وبعد ذلك يرمى بالنبال والسهام واكون قد كفيتكم شره ومكره فترتاحون منه ومن شؤم طلعته على الدوام (قال الراوى) فلما سمع اللقيط من شيبوب ذلك المقال قال له وقد صفى الى كلامه ومقاله فقال يا ولد العرب دبر أنت أمرنا فى هذه الليلة بما يكون فيه الصلاح وما تنظر عينك من الصواب فافعله واحتفظ على أبياتنا ما دام ان فرساننا سكارى من الشراب وخذ معك من أردت من هذه العبيد الانجاب وكونوا قريبا بين الخيام والاطناب واجعلوا بالكم من المكان الذى فيه الابجر والحجرة سكاب الى أن يقبل النهار وتدبر على قدر ما ترى من الاخبار ثم ان اللقيط بعد كلامه أمر عبيده وعلمانه بطاعة شيبوب ثم انه دخل الى أبياته وهو من حديث شيبوب سكران ومكروب من المشروب ومن الذى قد ساقه اليه من المحال شيبوب حتى انه غاب عن الوجود وبقى مولها مكمود ولما ان سار اللقيط الى أبياته تفكر فى أمره وفى المحال عبر فى فراشه ونام قال وأما شيبوب فانه لما انصرف اللقيط من عنده وثب على قدميه وقد صفق بيديه وأخذ من العبيد ثلاثة وقال للبقية انصرفوا أنتم يا أولاد الحالة الى أماكنكم لانكم تعانى مما قاسيتم من الخدمة فى هذا النهار وهذا الامر الذى ذكرته لسيدكم الا ليكون على يقظة من أمره وأما من هذه الساعة الى خمسة أيام لم يقدر عنتر وأصحابه على المجىء الى هاهنا (قال الراوى) وكانت هذه العبيد الثلاثة الذى اختارهم شيبوب طافحين من السكر وكثرة شرب العقار لا يعرف أحدهم الليل من النهار فجلس بهم شيبوب بعد أن صرف العبيد الذين تقدم ذكرهم على باب الخيمة التى فيها الحجرة سكاب والجواد الابجر وما استقر بهم المقام حتى أتاهم من عند

الاقيط الطعام والمدام فاكل شيء وب من ذلك الطعام الى ان اكتفى وبعد ذلك وضع بطة المدام بجانبه وملأ وشرب الى ان طلعت الخمرة فى رأسه فافتكر اصدقاءه واحبابه فبكى وأن واشتكى وأنشد يقول هذه الابيات

فراق أحبتى قد زاد نحبى * وأسقم مهجتى وأضنى فؤادى
أنوح أسا اذا ما جن ليلى * وتسهر مقلتى والليل هادى
وان فراقكم قد زاد نارى * وبعدكم قد ألزمنى وسادى
هجرتم فى بلا ذنب وجرم * وأشمتم بنا سائر الاعادى
تذكرون زمانا كنت فيه * مع الاحباب كانت لى أيادى
فمن بعدكم قد صرت مضنى * كئيب النفس متعب فى البلاد

(قال الراوى) وقد صار شيبوب يبكى ويتحب وتلك العبيد الى جانبه وهم يهدونه من بكائه ويسكنونه حتى هدأ من بكائه فقال العبيد طيب قلبك فان سيدنا يبلغك مناك وهو يوصلك الى هواك فقال لهم شيبوب والله يا أولاد الحلال ما لى اليهما من وصول لان سيدى رجل جبار يقال له ذو الخمار وأخاف انى ان سرت اليه ووقع بى هذا الجبار قطعنى وأعدمنى الحياة والاصطياد وأريد اذا وصلت الى سيدى سنان وقضيت على يدى هذه الاشغال أسير الى البيت الحرام واهجر المنازل والاوطان واجعل مقامى فى مكة الى آخر الزمان هذا وهو يحدثهم ويشاغلهم بمثل هذا الهذيان الى ان رقدت العبيد وانطفت النيران ونام كل من الحى من الرجال والنسوان وقد افترش العبيد مثل القتلى وارتفع غطيطهم وعلا قال فلما نظر شيبوب الى ذلك الاقوام قد رقدت والنيران قد خمدت ونهض قائما على قدميه مثل الغمر الحردان وقطع المضارب والاطناب وفى أسرع

وقت

وقت دخل على الابجر والحرة سكاب فنظر شيبوب الى العبد وهو راقد بين المدودين وهو الذى كان يخدم الفرسين فدنا منه شيبوب فرآى حبته وقلنوسته عند رأس العبد فأخذهم ولبسهم وقعد الى جانبه وسل خنجره وحطه على وريده واتكى عليه فزاح رأسه من بين كتفيه وبعد ذلك تقدم الى الابجر قليلا قليلا وصفر له الصفرة المعروفة التى كانت بينه اذا قدم عليه فلما سمع الابجر ذلك الصفره بهت فيه ساعة زمانية فعرفه فحمحم عليه وتذكر ما كان منه اليه فصار يلعب بيديه ورجليه فتقدم اليه وحل شكاله وفعل بالحرة مثل فعاله وفى عاجل الحال قاد الاثنين وخرج بهم الى خارج البيوت وقد صار على الطريق التى اختبرها بالنهار وعلم انها خالية من الاقطار والوراد وسليمة من الاخطار فلما سار شيبوب فى البر الاغفر ركب الابجر وقد جنب الحرة سكاب وسارت تحت أجنحة الظلام والاعتار وهو طالب الوادى الذى فيه أخوه عنتر وعامر بن الطفيل ورفقته هذا ما كان من أمر شيبوب وحسارته وأما ما كان من عنتر ومن معه من فرسان بنى قراد وعامر بن الطفيل وشداد فانهم لما أخذوا العروس ودخلوا بها الى الوادى وأنزلوها من هودجها فتأملوها فرأوها صبيحة الوجه أحسن من الشمس والقمر وأضوء من الفجر اذا انفجر وكأنها من الحور العين وقد خرجت من الجنان أو من بنات الملوك أصحاب الغيطان وعليها قلائد وعقود من الزمرد الاخضر والياقوت الاحمر وهى فتنة لمن لها ينظر والبنات التى معها يقاربنها فى ملاحتها ويشاركنها فى حسنها وبهجتها فعند ذلك ظلوا يحرسون أنفسهم ويتحدثون فى أمر شيبوب طول ذلك النهار الى ان أقبل الليل بالاعتكار فأكلوا وشربوا وواقعوا البنات واستعملوا

المحرمات لانهم جاهلية قاطبهم على بنى مشاجع بمثله (قال الراوى)
واما الامير عنترة فانه كان من حيث سرق جواده الابجر مادنا من
عبله ولا ضاجعها وقد أبصر فى ذلك اليوم الى مهريه وهى بذلك
الحسن والجمال والقد والاعتدال فعند ذلك سلبت عقله وتركها
فى تلك الليلة ضجيعة ولم يزل معها الى ان وصل شيبوب بالحجرة والجواد
فرآه الدبادبة والحراس فأتوا واعلموا الامير عنتر بقدوم شيبوب
ومعه الحجرة والجواد ففرح بذلك وسر منه الفؤاد فوثب اليه وتلقاه
وسأله عن حاله فأخبره شيبوب بما جرى له عند الملقيط بن زرارة
وكيف تحايل عليه بالكلام المحال وكيف انه وكله بالحجرة والجواد
وكيف انه ذبح العبيد بعد ما اسكرهم بالكلام البهتان ثم قال لهم
يا وجوه العرب المقصود انكم تلجون فى هدو الليل قبل طلوع النهار
حتى لا تلحقكم سوابق الخيل ويحل بنا وبكم عظائم الويل لان
الارض من بنى مشاجع امتلأت بالفارس والراجل من كثرة
العشائر والقبائل ونحن قليلون على أهلنا ولا ندرى ما تم عليهم من
عساكر الشام ومن بنى قرادة الى الشام قال فلما سمع عنتر هذا الكلام
رآه عين الصواب وقال لابيه يا أبتاه ان شيبوبا قال الصواب ولولا هذا
السبب ما برحنا من هذه الارض حتى أكافىء الملقيط على فعاله وما
قد صنع ولو ان عنده كما الفلا أو من مشا على الارض وعلا ولكن
لا بد له ان يسير الينا هو ورجاله ونرى منا ما يقصر عنه هو وأبطاله
قال فنهض عند ذلك شيبوب وقد شد لاخيه عنتر على ظهر جواده
الابجر وفى عاجل الحال ركب عنتر على ظهره وركب جميع رفقته
وقد أركبوا النساء والبنات وكل من كان معهم من الاماء على الخيول
الحاليات وبعد ذلك ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وهم يقطعون

الفلوات فى تلك الدياجى المظلمات وما طلع عليهم النهار الا وقد بعدوا عن الديار فهذا ما كان من أمر هؤلاء من العباره وأما ما كان من أمر الفقيط بن زراره لما انه عمى من سكره عند السحر وقد خطر كلام شيبوب فى قلبه فافتكر وارتجف قلبه على الجواد الابجر من أمر أبى الفوارس عنتر وما صدق ان يرى الفجر قد ظهر حتى انه وثب من منامه مثل الفهد اذا اندعر وقد خرج من خيامه وأتى الى المضرب الذى قد أمر شيبوب بحفظه فنظر الى العبيد حوله فرآهم نياما فصرخ عليهم فانتبهوا من خمرهم وهم فى خبال قال فلما انتبهوا سألهم عن العبد الفزارى وقال لهم ما كان منه فقالوا له والله يا مولاى ما ندرى اين قصد لانه لما أخذنا معه وأتى بنا الى هاهنا قال لنا أنتم على كل حال تعابا وسكارى فناموا الى أن تخلصوا من غلبة المدام فأنهضكم للحرس وأنام أنا بعدكم فقبلنا يا مولاى منه ما قال لنا وننا وما استيقظنا من غلبة المدام الا فى هذه الساعة كما ترى فقال لهم الفقيط لما سمع منهم ذلك وقد حس قلبه بالبلايا ويلكم ما أخوفنى أن يكون هذا العبد ما هو من بنى فزاره ولا هو من عبيد سنان بن أبى حارسة ولا أتى الينا هذا العبد الا عيارا محتالا وقد قال ما قال من شقشقة اللسان والكلام ولكن ما قال لكم على اسمه ولا عن لقبه ولا شيئا يعرف به بين العبيد فقالوا له بلى والله يا مولاى انه قد أخبرنا ان اسمه جامع واذا مزح معه سيده يقول له يا مخادع فقال لهم الفقيط هذا والله هو الصحيح ولأن الرجل عرفكم بحاله وما أخفى عنكم شيئا من أحواله لانه قد أتى الينا مخادعا ولكن أنتم ما عرفتم مقاله ولا وعيتم كلامه قال ثم ان الفقيط بعد كلامه للعبيد قام من عندهم ودخل الى المضرب الذى فيه الجواد الابجر والأجرة

سكاب فما رأى لهم خبرا ولا أثرا ثم انه نظر الى العبد الذى كان يخدمهم فرآه مذبوحا وهو جسد بلا روح فعندها قال يا جامع لا جمع الله شملك على من تحب يا ابن الملعونة ثم انه نظر الى ما حمل به من تلك الاشياء فأكل كفيه أسفا عليه وعلى الجواد والخجرة سكاب وقد أحس بأن روحه وقلبه قد انفطر وقد علم ان العبد الذى فعل معه تلك الفعال هو شيبوب أخو عنتر فتلهب وتحسر وفى عاجل الحال جمع اخرته اليه وهم ثمانية عشر وقد اخبرهم بما جرى عليه فتوجعوا لما قد جرى له وأخذهم القلق عليه فعندها قال لهم اعلموا يا اخوتى ان هذا الشيطان قد تجارأ علينا مرارا عديدة ونحن ما نحترز من محاله ولا من شقشقة لسانه على أن هذا الشيطان ما يأتينا الا بالحديث والخبر الذى يكون فيه وما ندرى من يعلمه بأحوالنا كأنه هذا الولد الزنا يعلم بما فى قلوبنا بمكره وخديعته فقال له حاجب يا لقيط هون عليك هذا الامر فان الابجر ينفعك ولا ينقاد لما تريد من أمرك وان تولعك به خطا ومع هذا يا أمير فنحن كلنا سائرون الى ديار بنى عبس ومجتهدون فى قلع آثارهم وخراب ديارهم ونهب أموالهم وعيالهم فان تم لنا هذا كان عنتر والجواد الابجر وكلما تريد بحكمك وان هم رزقوا النصر علينا وعلى غيرنا من عساكر الملك الحارث الوهاب فهذا أمر ما لاحد فيه حيلة ولا أسباب قال الراوى فبينما هم يتحدثون فى أمر شيبوب وما فعل وكيف تحايل عليه وكيف سرق الجواد والخجرة واذا بثلاث رجال قد أقبلوا من البر عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له أيها الملك اعلم ان العروس التى زوجتموها للامير مالك قد سبيت والمال الذى معها قد نهب والعبيد والغلمان والنساء والبنات الابكار ملكوا والفرسان الذى معهم قتلوا (قال

الراوى

الراوى) فلما سمع اللقيط هذا الخبر وان العروس قد سبيت هى ومن معها من النسوان زاد باللقيط ومن معه الهم والاحزان ورموا بنوائب الزمان وقد أشتعلت قلوبهم بالنيران وجراء على اللقيط هو واخوته مالا يجرى على قلب انسان فقال اللقيط لاخوته ولاهل مملكته احفظوا أنتم يا وجوه العرب الخلل والمضارب والعيال والسوق والجمال فربما يصير علينا هذا الشان مرة ثانية ويجعلنا فضيحة عند سائر العربان (قال الراوى) فلما تكلم اللقيط بن زرارة بهذا المقال ما بقى أحد من بنى مشاجع الا وقد احتفظ على ماله وعياله ونوقه وجماله وزاد بالقوم الفزع وقد احترزوا على أنفسهم جميع أهل الحى باقامة البصاصين على الطرقات والحدود وبعد ذلك سار اللقيط واخوته وفرسانه الى وادى الاخدود ونزل فى ذلك المكان أياما وليالى بما معه من جنود وصار يجمع العساكر من العربان وعلم أن الامر قد تم عليه من شيبوب وأخيه عنتر وعلم انه ان تبعه كان معه على خطر فعند ذلك أنفذ اللقيط أخاه صاحبا الى الملك الجون سيد بنى كندة بالخبر وأيضا الى ملك بنى تميم وأعلمه بقصته وما جرى عليه فى نوبته وسأله هو ومن بصحبته من الفرسان فى نجدته قال وأقام بعد ذلك اللقيط فى وادى الاخدود هو واخوته وصار يتهدد ويتقهر ويمزق نفسه ويكابد حرقته ويتكمد بغصته ويفرق على قبائل العربان ماله ونعمته وما قد جمعه فى طول عمره ومدته من النوق والجمال والخيل والانعام (قال الراوى) فهذا ما كان من اللقيط واخوته وأما ما كان من عنتر بن شداد ورفقته فانهم جدوا فى المسير ليلا ونهارا فى الغدو والابكار مقدار خمسة أيام ثم بعد ذلك ترفق على نفسه فى السير لاجل النساء المسبيات اللاتى معه فصار

عنتر يكرمهم بالطعام ويترفق بهم فى اللغو والكلام وأما العروس مهريه فانها صارت تبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ولا تسكت لها دمعه ولا تنشف لها دمعه ولم تلتذ بطعام ولا غمضت عيناها للمنام فقال لها عنتر فى بعض الايام يامهريه بكاكى هذا على مالك ابن حاجب الذى كنت سائرة اليه وتزفى عليه فقالت له لا وحق عينيك يامولاى ماهو عليه وما تزوجت به باختيارى وما كان ذلك الا غصبا عنى وانما بكائى على ابن عمى لانى قد ربيت معه من الصغر وقد ألفته وألفنى من زمن الصبا الى الكبر فزوجنى به والدى وقد مضى يأتى بالمهر المعتبر من بعض أحياء العرب فابطأ وقد أيسنا منه ولم نعلم ما قد جرى عليه من الخير أو الضرر وقد اتفق أن حاجبا زارنا فى أيام عيدنا الكبير فرآنى وسط البنات وأنا أدور حول الصنم فهو بنى فعاد الى أهله وأعمامه وسدأبى بالخيرات والنعم بعد ان شكى اليهم حاله وسألهم أن يزوجوه بى فأجابه اخوته الى ذلك فأنفذوا الى والدى وخطبونى منه وأنفذوا له شيئا من المال والذوق والجمال ففرح أبى بنعمتهم وزوجنى به غصبا وساقنى اليه كما ترى وقد جرى على منكم ما جرى والى الآن ياسيدى وأنا متحسرة على ابن عمى ومتذكرة أيام الصبا فلما ان تكلمت مهريه بهذا الكلام قال لها عنتر يامهريه هذا أمر هين وأنا أقضى حاجتك وأبلغك أمنيتك وانى متى وقعت به أو سمعت خبره أنفذت خلفه زوجتك به وألم شملك عليه (قال الراوى) وكان الامير عنتر أوعد عروة بن الورد بهذه الصبية وقد عول ان يوهبها له من خوفه من بنت عمه عبلة الهيه الان عنترا وأصحابه ومن معه واجارية مهريه ماتوا كلامهم حتى لاح لهم من صدر البريه خيل وجمال ونوق وأموال وهى تتسابق الى

الغدران فعند ذلك قال عنترة هذا ركب سائر وأقول لابد معه خبر من بني عبس وعدنان وبني عامر فحرك جوادك يا أبا الابيض واسألهم عن تلك الديار وما قد جرى لهم من بعدنا ان كان معهم خبر عن الاهل والعيال لان قلبي خائف عليهم من هذه العساكر الجراره ومن سنان بن أبي حارسة ومن اللقيط ابن زراره فعند ها أطلق عروة الجواد وقوم السنان وحرك العنان وتبعه خمس فوارس كأنهم العقبان وما زالوا يركضون بخيولهم حتى قاربوا الجمال والنياق وحققوها بأعينهم والاحداق فاذا هم بخمسة من العبيد وفارس واحد كأنه البرج المشيد وهو غائص في الحديد والزرد النضيد وتحته جواد شديد هذا ولما نظره عروة أراد أن يبدأه بالسلام واذا بالفارس قد قفز اليه مثل ثنية الجبل أو الغمام اذا هطل وطلبه كما يطلب الجارح الحمام فعند ذلك قال له عروة يا وجه العرب من أين طريقك والى أين غادي في هذا البر الاقفر والمهمه الاغبر فقال البدوي بعد ما صرخ في وجهه صرخة تهد الجبال ويلك يا جاهل ما هذا مقام السؤال فانزل عن جوادك وسلم ما معك من السلب والاموال والا وحق ذمة العرب ومن عن خلقه قد احتجب هتكت بسنان هذا الرمح منكم ودائع الصدور وتركتكم رزقا للوحوش والطيور ثم ان الفارس بعد كلامه طلب بسنانه صدور الفرسان الذين مع عروة وهو مثل المجنون العاشق الولهان الذي قد أبعد عنه أحبابه وهجره خلانه وأصحابه (قال الراوي) وفي دون ساعة جرح الفارس من أصحاب عروة ثلاثة رجال وطمع في جانبهم واستطال فلما أبصر عروة ما حل بأصحابه وجهل هذا الفارس وقتاله خاف منه على نفسه ورجاله فعند ها حمل عليه حملة الحنق وصاح فيه

وزعق وصدمه صدمة الاسد وفى عاجل الحال تضاربا بالرماح حتى تقصفت وبعد ذلك عادوا الى الصفاح وما زالا كذلك حتى أيسا الاثنان من الارواح هذا وقد أختلف بينهما ضربتان قاتلتان وامله تان كانت منهما مضارب السنان وقد وقع سيف كل واحد منهما على مبضة صاحبه فانقطع وما بقى فى أيديهما الا القابض التى لا تنفع (قال الراوى) وبعد ذلك القتال والضراب والنزال تقابضا على ظهور الجوادين وقد طال الامر بين الاثنين حتى كادت أنفسهما تتقرع غصص البين وما زالا يتصاربان ويتجاذبان ويتواثبان حتى ان عروة خاف عليه أصحابه منه فداروا بالبدوى من كل جانب ومكان وطعنوا فرسه بالاسنة والقواضب فوقع من فوقها وسقط على أم رأسه فانقلب فأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وفى الحال عادوا به وبالعبيد الذين معه والنوق والجمال وقدموه بين أيدى الامير عنتر بن شداد وعامر بن الطفيل وأخبروهما بفعاله وجهله وما قد جراهما معه وطلبت الرجال قتله فقال عنتر اقتلوه وعلى الارض جندلوه وبعده جدوا بنا فى المسير لان لنا شغلا أهم من هذا كثير فقال فيما هم فى ذلك الكلام واذا هم بهرير قد أقلقت روحها الى الارض وارتمت عليه وقد بكت وعانقته فى صدره وقبلته بين عينيه والتفتت الى الامير عنتر وقالت له يا حامية عبس ان أردت قتل هذا الغلام فاضربنى قبله بالحسام واقتلنى لان هذا الفتى هو ابن عمى ولحمى ودمى وهو الذى كنت أشكو اليك أمره من قبل وما أجد من المحبة والوداد من أجله وقد سمعت عنك يا أبا الفوارس انك قاضى حاجات العشاق فى هذا الزمان الكثيرة ما قاسيت من أجل ستى علية من المذلة والهوان وسرت من أجلها فى بلاد العراق واصفهان حتى

جمع الله شملك بها وأنا يا أبا الفوارس قد ربيت مع هذا الغلام من عهد الصبا فبحرمة ما بينك وبين سيدتي عبلة من المحبة والوداد والغرام لا تفجعني في ابن عمي هذا الغلام فلما تكلمت مهرية بهذا الكلام قال لها عنتر والله يا مهرية لقد أقسمت علي بقسم عظيم وما هو هين ولاجل قسمك آمنتك على ابن عمك وأطلقه لاجلك وأطلقك أنت معه ولا نؤاخذه بما فعل بأبطالنا لاجلك فعند ذلك فرحت مهرية بكلامه فما كان عندها غير انها دعت له فعند ذلك حن قلبه عليها وعلى ابن عمها وقد تعجب عنتر من هذا الاتفاق وكذلك جميع من حضر معه من الرفاق فعند ذلك التفت اليها الامير عنتر وقال لها يا مهرية أتحبيه فقالت له وكيف لا يا سيد عبس وعدنان وفزارة وذبيان وهو الذي قد شكوت اليك محبته ووعدتني بجمع شملي بشمله وقد قرب الاجتماع به على يديك وكان (قال الراوي) فعند ذلك تعجب عنتر من هذا الاتفاق الغريب السديد وأمر عروة بن الورد ان يطلق الغلام والعبيد ويرد عليه فرسه وسلاحه ونوقه وجماله التي كانت معه وما يريد فعل عروة ما أمره به عنتر وحله من اعتقاله فعند ذلك وثب الغلام على قدميه ولبث ثيابه وتقلد بسيفه وتمكن بدرقته واعتقل بسنانه ورمحه وتقدم الى ابنة عمه فوثبت اليه وهي مزينة بالالماس والعقود والجوهر ووقعت على صدره وقالت وآ ابن عماه وآ مهجة قلباه فسأل عنتر ابن عمها عن طول غيبته فقال والله يا مولاي من حين خرجت من عند قومي ومضيت بروحي في المعامع والحروب والاخطار وقد درت سائر الاقطار حتى سهل الله لي هذه النوق والجمال ومع هذا لم تف ببعض ما طلب عمي من المهر والصداق الحال وما فعلت هذه الفعال مع أصحابك الا لاجل تحصيل ما بقي على

من المال فقال له عنترها قد خلصت من حمل المال والسوق والجمال والاماء والعبيد وقد أتاك الامر كما تريد وقد حظيت بابنة عمك وهانت الامور عليك ولولا أنا ما كنت رأيتها لك ضيعة لان أباها قد غدر بك وزوجها الملك بن حاجب قال ثم ان عنترة حدثه بقصتها وما جرى لهم من قضيتها وقال له عنترة يا وجه العرب خذ بنت عمك وتزوج بها ولا ترجع بها الى أهلها فتؤخذ منك غصبا واعلم أننا قوم كثرت أعداؤنا ولولا ذلك لكنا أخذناك معنا الى ديارنا وأوطاننا وعنترة ما قال له ذلك الا فزعا من عبلة وخوفه أن تسمع من بعض النسوان ما جرى له مع مهريه طول الطريق فتعمل على أذيتها وأيضا تكدر عيش عنترة معها فلاجل ذلك وهبها لابن عمها وجاد عليه بها وكان سيف الغلام ورمحه قد تكسرا كما ذكرنا فأعطاه عنترة رمحا طويلا وسيفا صقيلا فكان عنتر يستعمله وقت الضيق ويستعين به على قطع الطريق وكان اسم ذلك السيف المضنى قال فعند ذلك فرح ابن عم مهريه بذلك وقد شكره وأثنى عليه بعد أن عرفه أنه من عامية بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فما كان عنده شيء يكافئه به غير جوهرة اللسان التي يفتخر بها بين السادات والعربان وهو المدح والثناء على الاصحاب والخلان فعند ذلك شمر عن يمينه وأشار يمدح عنترا بهذه الابيات

لك الله ما أعلى محلك وأرفعا ❁ وأجرى الى كسب الثناء وأسرعا
وأعداك عدوا في الانام كقطرة ❁ اذا جاء سيل للبرية أروعا
وأسرع كفا والملوك بخيلة ❁ وأشجع ان داع الى نصرة دعا
جمعت على الناس السماح ولم يكن ❁ لولاك أنت لم يستجمعا
كما طبت خيرا في الانام ومخبرا ❁ كذلك جودك في البرية مشبعا

فيا فارسا فاق البرية كلها * علاء وجدا كان طفلا ومرضعا
بلغت من العلياء ما أعجز الورى * ولم يبق فى فخر لفخرك مطمعا

(قال الراوى) فلما فرغ الغلام من مدحه لعنتر شكره وأثنى عليه وفى عاجل الحال وهبه شيئا من المال وكذلك عروة بن الورد وهبه على قدر ما يليق وكذلك عامر بن الطفيل ومقرى الوحش نزل من على فرسه وسلمها اليه وما أحد من الفرسان الا وأنعم عليه ولم يبق غير شيبوب فانه لما نظر الفرسان تكرموا على هذا الغلام فقال يا وجوه العرب ما أنا فارس حتى انى أتكرم وأسعف هذا الرجل وأنا لا تعرفنى العربان الا لصاحبا لا من مكان الى مكان وان كان هذا الرجل يريد أن يتعلم شيئا من المكر والشيطنة والحيل فأنا أملأ له فردا. لان بلاد وان وأعلمه كيف يسرق الخيل من كل مكان ويبيعها الى أصحابها بعد بالادهان ويأخذ المرأة من حضن زوجها وهو نائم أو يقظان فهذه تجارة لم تفرغ على مدى الازمان قال فلما سمعوا من شيبوب ذلك الكلام تضاحكوا عليه وعلموا أنه يخرج من بدء أكثر مما قال فعند ذلك أخذ الغلام ابنة عمه مهرية وودع القوم وسار الى حال سبيله وكذلك عنتر ورفقته قد سار وا وجدوا فى المسير وهم طالبين أرض بنى عامر هذا وعنترة تقدم الى أمام القوم وتذكر ما جرى عليه من هذا الهجرى فأنشد يقول

ألا انى قد طفت كل المعالى * ودرت على عربانها والاعاجى
ولاقيت شجعانا وكل غضنفر * وفاقت هامات لهم بصوارمى
واجبت قومى عند مشتجر القنا * وصلت على أعدائهم فى التلاحى
فلا تجهلوا فضلى وعظم شجاعتى * فانى جسور فى اللقا ولقاحى

الاخ ـــبر واهدى اذا الحرب شمرت
وصلت على الهامات بيض الصوارمى
الاخ ـــبر واهنى لقيطا انني * سأرغمه عند اشتباك اللهادمى
وخ ـــبره عني أنني سأذيقه * كؤس المنايا من سموم الارقمى
وأقهره رغما من بعد سبي حريمه * وأشهرهم بين لورى للعوالمى
ليعلم أني الفارس البطل الذى * ذكرى علا بالفخر ما الدهر قائمى
تنبه يا مغرور ان كنت نائما * بانى غداة الحرب ليث الشاشمى
أما سمعت أذناك يوما بوقعتى * وقد فر منى الرجال الضراغمى
بانى أقطع فى الهياج رؤسها * وحكمت سيفى فى الكلا والجماجمى
ومن عرب العرباء فخرى ونسبتى * وذكرى فيما بينهم ويك قائمى
ســـتعلم يا هذا وتظهر ما خفى * بانك فى الهيجا قتيل بصارمى
أنا عنـــترة العبسى ألقى حماتها * غداة أوريك كيف التصارمى
ولا أرجع عن حرب قومك دائما * ولانى أنا قـــرم شجاع ملازمى
وانى قد لاقيت ألف مـــدرع * ملوك حماة لا يخافوا التهاجمى
قطعت نواصيهم وفرقت جمعهم * وشتت عربانا لهـــم والاكارمى
أنا عنترة لا تنكرون فعائلى * اذا ما بدا لى الموت كنت مهاجمى
فـــلا بد لى مما الخليك ثاويا * وأترك كل ما قاعفير اونادمى
وتنظر أنصار الكم قد تهاربت * فزعا لما قـــد نالها فى اللهادمى
أسرت دريدا ثم فرقت جمعه * فماذا لقيط بعده فى تهاجمى
أقول لصعبى ان ذكرت عبيلة * وزاد اشتياقى نحوها وتقادمى
وقد فاح من نحو الديار لبيعة * أضاءت لنا الاكوان والليل معتمى
وأجلى الدياجى منه نورا كأنه * سنا الشمس بل أبهى سناء واعظمى
خليلى هذا النور منه لنا بدا * فذا القمـــر أم نار تشب وتضرمى

فقالوا

فقالوا رعاك الله ذا النور ضاويا * ديار أبيها طعن الحبيب مخيبي
فقلت أميلا عن مغانى ركابنا * فهذا الذى كنا بدور ونحتمى
والآل والاصحاب جمع والهم * متاح طير على الغصون وترجمى
(قال الراوى) فلما سمع عند ذلك طربت جميع الفرسان وقالوا
لا رد الله فاك ولا كان من يشنأك يا أبا الفرسان ولم يزالوا سائرين
ليلا ونهارا غدوا وابتكارا حتى وصلوا الى المنازل والديار قال وكان
وصولهم أول النهار فوقعت لهم البشائر فى الاهل والعشائر الا
انهم ما وصلوا الى المضارب والخيام حتى أقبلت اليهم رسل الملك
وقد أمروهم بالحضور فأجابهم بالسمع والطاعة وقد امتثلوا الامر
فى تلك الساعة وفى الحال خلعوا عنهم الزرد والحديد وآلة السفر
ولبسوا ثياب الحضر ثم انهم عادوا ووصلوا الى الخيام فحضر
فرسان القبيلة كلهم مجتمعين وفى أصل امورهم يتشاورون واما
أقبلوا وتم لهم الحضور قياما على الاقدام وهنوهم بالسلامة وعظم
الشان وسألوهم عن سفرتهم وما جرى لهم فى غيبتهم فحدثهم عنتر
بما جرى له مع اللقيط بن زرارة قال فلما سمعوا منه ذلك الكلام
تعجبوا من تصاريف الايام فقالت أبطال بنى عبس يا أبا الفوارس
لما لا أعلمتنا بهذه الاخبار لما سرت كنا نتبعك ونقلع من
بنى مشاجع الاثر ولا نفعل لهم ذكرا بذكر ما طلعت الشمس وغاب
القمر فقال عنتر يا موالى ما أردت أن أتعب خواطركم فيما لا يسوى
ولا أكلفكم أكثر مما كلفتكم فى قبائل الاعداء وبسعادتكم قدتم
أمرى وانقضى وأنتم يا وجوه العرب ما الذى تجدونه عندكم من
الاخبار وكيف مقامكم فى هذه الديار فقالت الرجال والله يا أبا
الفوارس ما كان مقامنا الا أطيب مقام الا انه كان فى الامس آخر

النهار وقد كنا مجتمعين فبينما نحن هكذا اذ أقبل علينا رجل من بنى فزارة فنظرنا اليه وهو مضيق اللثام تام الطول وانه لوام وهو راكب على ناقة عالية السنام ولما قرب الينا لا تكلم ولا سلم ألا انه نزل من على ناقته ورمى فى وسطنا ثوب خام وهو مشدود الاكمام ومربوط ربطتين وجعله صرتين ورماه بين أيدينا وعاد وركب ناقته وسار وقد غاص فى البرارى والقفار ونحن ننظر اليه وباهتين فيه ولما غاب عنا تقدمنا الى ذلك الثوب وفتحناه فوجدنا فى الصرة الاولى رملا أصفر وفى الصرة الثانية شوكا مثل رؤس الابر وأيضا فى الثوب عشرة أحجار صغار فلما نظرنا الى الثلاثة اشارات قد انزعجنا وتحيرنا من هذه الصفة وضاقت علينا المسالك ولا فينا من عرف هذا الحال ولا حللنا هذا الاشكال وقد قلنا فى أنفسنا والله ما أتى هذا الرجل الا ليحذرنا من قوم يصيبنا منهم ضرر وما فى الامر الا اننا نركب الخيل ونلحقه ونمسكه وانه يحدثنا بالذى فعله معنا يا كرام وأما هو منا الى هذا الامر التفت الينا الملك قيس وقال يا بنى عمى الرجل ما أخرج علينا الا عهود والوائق أنه لا يكلمنا بشفة ولا بلسان ولو انكم تشيلوه بعوامل الرماح ما أظهر لنا سره ولا باح وأما هذان الصرتان أنا احدثكم عن معناهما وأما الرمل فانه يقول لكم قد أتتكم عساكر بعدده وأما هذه الصرة الشوك فانه يخبركم ان هذه العساكر الواردة اليكم فانها فى شوكة قوية وكون ان الرمل أصفر فانه يخبركم أن العساكر من بنى الاصفر وأما هذه العشرة أحجار فانه يقول لكم بعد عشرة أيام يكونون عندكم قال فلما سمعنا ما تكلم به الملك قيس صدقناه فى معرفته ونطقه ولكن يا أبا الفوارس ما فعلم من أين تأتينا هذه العساكر فلما سمع الامير

عنترا

عنترا منهم هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لهم يا وجوه العرب أما الملك قيس فوحق ذمة العرب لقد أصاب فى تفسير هذا لاشكال المستغرب واما هذه الجيوش القادمة عليكم فأنا اخبركم بخبرها واترك خيلنا تعتريجما جم فرسانها وركابها وهى منهزمة بين أيدينا تطلب ديارها وأوطانها ثم ان عنترا حدثهم بحديث خبر الشام وانهم يريدون أن يأخذوا بثار ابن ملكهم الذى قتلته أنا فى أرض تيما فأتوا الى هذه الديار يطلبون ثاره ثم انه أخبرهم ايضا بمكاتبة سنان بن أبى حارسة وانه سائر الى ملتقاه فى فرسان بنى فزارة هذا وقد عرفهم عنترا بالجموع التى جمعها النقيط بن زرارة هذا ولما انتهى عنتر من كلامه وقد بين لهم القصة على جليتها التفت بعد ذلك الى فرسان بنى عامر وقال لهم اسمعوا يا وجوه العرب واعلموا ان طلبنا أكثر من طلبكم والدماء علينا أكثر مما عليكم فان كانت قلوبكم تطيب بجوارنا وأنتم تساعدونا على الاعداء فلا مانع والا فاعلمونا حتى نرحل من جواركم ونبعد فى البرارى والقفار عنكم وما يدبر كل أحد ما يحب ويختار لانكم أنتم يا أصحاب هذه الديار ونحن لكم من بعض الرعية والجوار فلا تتكلفوا أنفسكم الا بما تطاوعه نفوسكم وشأنكم وأمركم وأوصيكم أن لا تعتمدوا على شىء يضركم (قال الراوى) ولما سمع بنو عامر كلام عنتر وما أبداه استحسنوه وشكروه وقالوا له يا أبا الفوارس أتريد أن تنسينا بين العرب لفسخ الذمام وتتركنا معيرة بين الانام والذى أرسى شوامخ الجبال ويعلم عدد الحصا والرمال ما بقى أحد منا يثنى عن صاحبه حتى انه يقتل الى جانبه فدع يا أبا الفوارس الملك يدبر وانفوسهم ونحن نتبعهم فيما يدبرون فلما تكلم العامرى بهذا الكلام قال الملك قيس

للاخوص بن جعفر سيد بني عامر فاذا كنتم ياوجوه العرب قلوبكم طيبة بهذا القول فهو الصواب ونعم الرأى فجددوا بيننا وبينكم العهود والمواثيق انا كلنا نكون على عزم واحد ونلقا هذه العساكر والجيوش بغير معاون ولا مساعد فقال الاخوص أيها الملك افعل ما تريد وما تشتهى وما يخطر على بالك فعند ذلك التفت الاخوص ابن جعفر الى بعض فرسانه وأمره أن يمضى الى الديار وان ينفذ فرسان القبائل ومقدمين العساكر لانهم فرق تحت ادارته شتى وهم بنو كلاب وبنو عامر وبنو غساه وبنو الحارث هذا ولما سارت الرسل الى جميع القبائل والخلل أعلموهم بما أتوا فيه فلما سمعوا ذلك القول لبسوا عددهم وركبوا خيولهم وساروا طالبين طوع سيدهم الاخوص بن جعفر فلما وصلوا اليه قبلوا الارض بين يديه فقال لهم الاخوص بن جعفر اسمعوا أيها المقدمين من أصحاب الخلل والقبائل ان فرسان بني عبس قد تحرك عليهم بعض عدوهم وهو الملك الحارث الوهاب الغساني الحاكم على مدينة دمشق وأرض غزة والرملة وبلاد عسقلان الا ديار مصر ونيابها وصعيدها وقد اتيت الينا هذه القبيلة العبسية وقد كانت زادنا بين حريمنا وأولادنا وقد اختاروا جوارنا من دون سائر القبائل وهذه عساكر وفرسان وأبطال حاملة على هذه الرباوان لم نحسن المعاشرة والا داستنا الخيول الغائرة ونحترق بنارهم ونتفرق فى ديارهم ان لم نكن يدا واحدة وكلمتنا على بعضنا البعض نافذة ومساعدة والا صرنا قطعا بالسيف ونذوق الحسرة والخيف فيها أنا قد أعلمكم بالحال ان رافقتمونا فيها والا ارحلوا عن هذه الديار واعتصموا بالروابى والتلال وقد بلغنا ان الاتى علينا ماءتا وخمسون ألف عنان سوى العبيد

والغلمان

والغلمان فلما سمعوا مقدمون الحلل والقبائل من أميرهم ذلك المقال قبلوا جميعهم الارض بين يديه وقالوا له أيها السيد اعلم أنك لو أمرتنا بالبحار لخضناها ولو أمرتنا بالنيران لنزلناها ودسناها لانك صاحب رأينا وشورتنا وأنت سيدنا وملكنا والحاكم علينا والآمر الناهي فينا فلما سمع الاخوص من قومه ذلك الكلام شكرهم وثنى عليهم ثم انه أخذهم وأتى بهم بين أيادي الملك قيس وقبل الارض بين يديه وقال أدام الله أيام الملك المهاب والسيد المفضال اعلم أنه قد انصلح الحال وتم الامر بين المقدمين وما بقي غير الرحيل من هذه الديار لاقي هذه العساكر والجيش الجرار فجددوا العهود والمواثيق بينهم حتى صاروا عصبة ويدا واحدة على الاعداء من بني غسان وغيرهم من جميع الانام وانهم يكونوا مع بني عبس وعدنان طول الشهور والسنين والاعوام قال فأجابه الملك قيس الى ذلك ولما انتظم الامر بينهم على ذلك الحال أمر الملك قيس لهذه القبائل أن يركبوا خيولهم ويحفظوا طرقاتهم ثم انه أمر الجواسيس بأن يسيروا الى سائر الجنبات من الارض ويتجسسوا الاخبار فسارت عند ذلك الجواسيس وقد أخفوا امورهم وطلبوا الطريق الواضحة التي يمكن أن تدلهم على آثار أعدائهم قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه قال لابيه ويا أبتاه اني خائف على اختي مروة وعلى ابنها الهطال وأيضا على بني غطفان لانني أنا أعلم ان سنان بن أبي حارسة اذا اجتمع بعساكر الشام وفرسان بني غسان لابد أن يقول لهم هؤلاء بنو عمي الذين قتلوا ابن ملككم فاقلعوا آثارهم واخربوا ديارهم فتهلك عساكر بني غطفان من أجلنا ويحترقون بنار ذلك الشداد

ياولدى انى متعجب كيف ان بنى غطفان يسمعون بهذه الاخبار ويقيمون فى الديار فقال عنترلعلهم ماسمعوا بذلك لان سنان بن أبى حارسة ان اجتمع بطوائف أرض الشام وفرسان بنى غسان يمنعونهم عن آخرهم ولا يجد أحد من الفرسان ولا من أبطال بنى عبس وعدنان فى ذلك الوقت من ينجدهم فقال شداد والله لقد صدقت ياولدى ولعل سنانا يكون من خبثه وملعنته من حين سمع بخبر عساكر الشام وهذه الطوائف طلبنا قد أوقف الرجال بالطرقات ومنع الناس من بنى فزارة أن لا يمكنوا أحدا من الخروج من الديار وكذلك سائر العشائر حتى لا يبلغ الخبر الينا ولا نسمع هذه الحديث من بشر وكان هذا الحديث من عنتر أعجب من كل عجب لانه قد أصاب فى الحديث والكلام وكان سنان قد فعل هذه الفعال وقد وكل بالطرقات الرجال حتى لا يعلم بنو عبس بما هم عليه وتدهسهم هذه العساكر على غفلة منهم وقد سلك سائر الطرقات والمذاهب وحفظ الخيام والمضارب ولا صار يترك أحدا من أهل الحلة ان يخرج من الديار الى مكان ولم يخرج من الاحياء الا ذلك الرجل الذى قد أتى لبنى عبس لان امه كانت من بنى عبس فلما ان جرى هذا الجرى قالت لولدها ياولدى اعلم أن هذه النوبة صعبة على بنى عبس وان نمت على أخوالك فنوابا الحسام وتساق نساؤهم الى أرض الشام والرأى ياولدى انك تتسبب فى الرواح اليهم وتقص هذه القصة عليهم لعلهم يرجعون الى بلاد اليمن أو يلتجؤن الى جبل يحميهم من طوارق الزمن ثم انها بكت حتى بكا ولدها وقال ياأماه على أن أبذل المجهود فى بلوغ المقصود ثم انه ركب ناقته وخرج يطلب البرقوردنه الفرسان التى وكلها سنان على الطرقات

ثم انهم ساقوه الى بين يدى سنان فلما أقبل عليه قال له الى أين أنت غادى فقال له يا مولاى الى المراعى لان العبيد أخبر وفى البارحة أن الفحل الذى لى قد شرد وأخذ النوق والجمال معه وأنا ذاهب لاردها بلا امهال فقال له سنان هذا مثلك محال فما أنت سائرا الى بنى عبس تخبرهم بما نحن فيه لان أملك منهم وقد ضاق صدرها عليهم فلما ضاق صدرها على أولاد بدر الذين قد مزج قيس دماءهم بماء النهر فارجع الى الخباء والا وشحتك بالحسام فقال له الرجل وكان اسمه الصامت والله يا مولاى ما عندى من هذا خبر وما أنا سائرا لا فيما قد ذكرت لك فقال سنان ان كان هذا صحيح وأنت صادق احلف لى بالرب القديم وزمزم والحطيم أنك لم تحدث بحديث الى عبسى أبدا فقال فحلف له كما اختار فأطلقوه وسار يقطع البيدا والقفار الى أن أشرف على بنى عبس وبنى عامر وقد بقى فى هذا الامر سائر ومن شدة حذاقته ومعرفته وذكائه نزل عن ناقته وخلع ثوبه وشدا كامه وملأ جنبه الواحد وملا والآخر شوكا ورماه بين يدى القوم وعاد راجعا وعدنا الى سياقة الحديث والخبر فلما قال عنتر لابيه شداد أنا خائف على أختى مروة وعلى بنى غطفان ومرادى أرسل اليهم عروة بن الورد لان أخته سلمى عندهم وأجيب الجميع الى عندنا وأساويهم يا أبى بأرواحنا فقال له أبيه يا ولدى لقد نظرت موضع النظر ولكن امهل اليوم وغدا حتى تكون قلوبنا طيبة لاجلك ونسمع ما يجدد من الاخبار والاقوال (قال الراوى) ولما كان ثانى يوم وادا بذوامى الخيل التى كانت على الطرقات قد أقبلت تخبر الملك قيس ان قد بان لهم غبار وقتام أسود وهو قد ملأ الاقطار وما ندرى ان كان هم عساكر الشام أو خلافها

أو بعض قبائل من الاعداء قد سارت الينا وعندها ركب الملك قيس واخوته وقد نادت العبيد في القبائل فركبت الخيول الصواهل وفي دون ساعة امتلأ البر بالفارس والراجل وقد ركب عنتر وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد وركضوا في طلب ذلك الغبار وكشف الاخبار وماهم الا أن فارقوا السواد فرأوا الخيل قد خرجت وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان يا لغطفان (قال الراوي) وكانت هذه الخيل المقبلة هي التي كان عنتر مراده يسير خلفها خوفا عليهم فأتوهم بحريمهم وأموالهم وعيالهم وهم يطلبون الحماية على أنفسهم خوفا من الاعداء وكان سيد القبيلة ومقدمهم زياد بن ماجد وهو على رأسه علم وهو كأنه أسد قد توسلم على بني عبس وعلى عامر بن الطفيل وبعد ذلك ساروا وهم يتحدثون في أخبار القبائل والمشائر فقال لعنتر اليوم كنت على قية المسير اليكم من خوفي عليكم لانا قد تعجبنا كيف قولكم قرار مع سماع هذه الاخبار فقال زياد يا ابن العم ما سمعنا بخبر صحيح الا في هذه الايام لان سنانا من ملعنته قد مسك على بني فزارة الطريق حتى لا تسمع أخبارا صحيحة عن عساكر الشام وما مكن أحدا من زيارتنا اليكم خوفا أن يظهر ما هم فيه رجل من بني عمنا متزوج من بني فزارة فقال لنا ارحلوا من ساعتكم من هذه الديار واطلبوا أرض بني عبس الاخيار وكونوا لهم جوار لان سنان بن أبي حارسة وحمدان بن حذيفة قد سارا بفرسان العشيرة وانتشروا في أرض مثل الجراد ولولا خلو الطريق ما قدرت ان اصل اليكم فارحلوا من يومكم واسرعوا في المسير لعلكم أن تصلوا الى بني عبس قبل أن يأتيكم ما لا يسر لكم به طاقة وتشمت بكم الاعداء والحساد وتسبي نساؤكم

والاولاد

والاولاد لان سنانا نائبه عليكم رديئه اذا وصلت اليكم العساكر
لغسانيه فلما سمعنا ذلك رحلنا كما ترى وقد قطعنا الصحرى وفى
طريقنا عبرنا على أرض بنى فزارة فرأينا أموالهم سائبه فسقناها
نذا منها وهى لا يحصى لها عدد وهى التى تورث القتام اسودلانها
أموال كثيرة العدد (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام
زياد فرح واستبشر وعاد القوم الى بنى عبس وعامر هذا وقد وقعت
نشبائر ونحرت الجزائر وقد نزل بنو غطفان فى أعز مكان
واجتمع عنتر بأخته مروة وكذلك عروة بأخته سلمى وقد اجتمع
كل قريب بقريبه وقد أصبحوا يتشاورون فى لقاء الاعداء والاضداد
وقد اجتمعت كل القبائل والسادات وفرسانها الجلاد ومابقى
فى ذلك اليوم ممن له عادة بالحضور الا وقد حضر وحدث بما سمع
وأبصر لحضرة زياد مقدم بنى غطفان وعنتر والملك قيس والاخوص
ابن جعفر هذا ولما طال عليهم الحديث قال الملك قيس لزياد يا بن العم
ومع هذا كله ما سمعت بعدد عساكر الشام التى هى واصلة الينا
فقال له بلى انى قد سمعت انها مائتان وخمسون الفا سوى التبع
والنهاب وأصحاب الطامع وقيل ان المقدم عليهم رجل جبار يقال له
سنامر وهو ابن عم صاحب دمشق وربما هذا الكلام يزيد
وينقص ولا تظهر لنا الحقائق الا عند المشاهدة بالحدائق فقال له
الملك قيس على كل حال لا يريد الانسان أن يكذب خبر ليكون
من أمره على حذر وأنا أعلم ان عساكر الشام تكون فى هذا
العدد وأكثر والا ما كان يخاطر بها الى هذه الديار ولا بد لسنان
من المسير اليه فى بنى فزارة مع من يكون من خلفائها وأقل ما يكونون
عشرين ألفا فيكون المجموع أقل من ثلاثمائة ألف عنان وهذا عالم

عظيم الشان والصواب أن نجعل رأينا لرجل منا ونعتمد عليه
في القتال ولا نخالفه في الفعال فعندها قال الاخوص بن جعفر
سيد بني عامر يا قيس اذا كان الامر على ما ذكرت فما نرى أحدا من
رأيك ولا أحسن من تدبيرك وأنا أول من يسلم أمره اليك ويعتمد
في أموره عليك وما يخالفك منا انسان لا من المملوك ولا من
الفرسان (قال الراوي) فعندها أشار كل الحاضرين بذلك وقبل
الجماعة أمرهم بالسمع والطاعة فقال لهم الملك قيس يا وجوه العرب
اذا كنتم جعلتم الامر لي والمعول على فابشروا بهلاك أعدائكم
ولا تعرفون تفريقهم الا متى ولو كانوا بعدد رمل البيداء ولكن اعلموا
أن الصواب عندي اننا نحترز على الحريم والعيال من قبل معانات
الحرب والجلاد مع الرجال فقالوا له وكيف ذلك أيها الملك
فقال لهم وهو اننا نرحل الى شعاب جبلة ونترك المال والعيال
في الوادي الذي تعرفونه بين الجبال ونلقى الاعداء على رؤس
الطريق ونكون قد حمينا أنفسنا من هذه الخلائق قبل حصول
التعويق الا أن تأتينا عساكر الملك النعمان لانا لا بد لنا أن ننفذ اليه
نجاب ونطلعه على هذه الامور الصعاب (قال الراوي) فان الملك
قيسا ما قال هذا المقال الا لما ثبت عنده ان بني عامر لم تثبت قدام
العساكر القادمة وخاف أن قبائلها عند اللقاء تتفرق في أقطار الفلا
وتترك بني عبس في هذا البلا فقبل ذلك المقال وأراد أن يجعل
الكل في الجبال حتى لا يبقى للهارب مجال فلما سمعوا مقاله
استصوبوا رأيه ثم انهم تفرقوا من المجلس وتوجهوا الى خيامهم
وصاروا يدبرون أنفسهم في أمر الرحيل وفي اليوم الثاني والثالث
عادت اليهم الجواسيس يخبرونهم بوصول الجيش قريبا من الديار

وقد وصفوا لهم كثرة عددهم وزيادة مددهم وازدحام راياتهم وصلباتهم وكثرة فرسانهم وأجنادهم (قال الراوى) وما زالوا يزيدون فى الوصف حتى صاح فيهم عنتر وقال لهم ياويلكم الى كم تصفون انذال بنى غسان الذى مالهم شبيه غير النسوان فوحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها من مثقال ما انتفيهم الا فى ألف فارس ولو أن معهم الجن والاباليس وها أنا مقيم فى هذا المكان حتى يصلوا وتبصرون صدق ما أقول (قال الراوى) ثم انه قال للملك قيس ارحل أنت بالناس الى شعاب جبلة كما أمرت وعلى الرأى الذى عزمت حتى أقيم أنا وعامر بن الطفيل فى هذا الفلا والاكام حتى تقدم عساكر الشام وغير أولها وآخرها ثم انا نمارسها ونختبرها ونبصر ما يحل بالتى أنت تحذرها (قال الراوى) فعند ذلك نادى الملك قيس بالرحيل وكذلك الاخوص بن جعفر فى بنى عامر وزياد فى بنى غطفان ورحلت سائر القبائل بالاهل والعيال والبنات والنسوان والصبيان والذوق والجمال فكانوا فى عدد عظيم وكان بينهم وبين شعاب جبلة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقروا فى الشعاب ونصبوا المضارب والقباب وكان الوادى واسع الجنبات كثير المنابع والغدران فسرحوا فيه الجمال والنياق والخيول العتاق فكان لهم ضجيج يسمع من خمسة اميال من كثرة الاموال والعيال والعبيد والغلمان والصبيان (قال الراوى) هذا وقد باتوا فيه ليلتهم وعند الصباح وثب كل واحد منهم وقد نصب خيامه واركز أعلامه وقد أمر الملك قيس بخروج الشيوخ والشباب من الفرسان والابطال وأرباب الحرب والقتال فخرجوا عند الصباح وقد استعدوا للحرب والكفاح

وهم متقلدون بالصفاح معتقلون باسنة الرماح هذا ولم يبق داخل الشعاب غير الكواعب الاتراب أو مجنون أو مصاب (قال الراوى) هذا وقد قام الناس جرائد على ظهور الخيل ينتظرون قدوم عنتر وعامر بن الطفيل فأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم أقاموا بعد رحيل القبائل ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلع عليهم غبار عساكر الشام وصار كأنه قطع الغمام ولم يزالوا متتابعين الى آخر النهار حتى ظهر المقدم الذى هو على بنى غسان وقد انعقدت على رأسه الرايات والصلبان وكان الى جانبه سنان ومقدمون الفرسان والابطال والشجعان الذى هم من بنى غسان (قال الراوى) هذا ولما أقبلت العساكر الى ديار بنى عامر رأوا جذع الطواف الذى كان فيه بنو عبس خاليا ليس فيه جس جسيس ولا أنيس ولا جليس فلما رأى سنان الارض خالية بعدما كانت ملانة بالفرسان فى الطول والعرض تعجب من هزيمة بنى عبس وبنى عامر وقد صار يتفكر كيف وصلت لهم الاخبار مع ذلك الاحتراز الذى كان فيه لانهم لما ان رأوا الديار خالية نزلوا فيها ونصبوا الخيام وشرعوا فى أكل الطعام فقال سنان عند ذلك المقدم بنى غسان يا أمير الفاخر ان القوم قد سمعوا بأخبارنا فهربوا وهذه الديار هى ديارهم وان صدقنى حذرى ولم يخطئ بى فكرى فانهم قد تحصنوا فى تلك الشعاب بين الجبال من خوفهم على الحريم والعيال فقال له ضامر أو هذه الجبال تمنع هذه العساكر لا والحق المسيح لا تركن منهم من يمشى على قدم ولا سوقنهم سوق الغنم لان الملك الكبير فى قلبه نار السعير لاجل ولده بدر النصرانية الذى قتله هؤلاء الكلاب وانه قد عول أن يصلب رجالهم على أشجار الفواكه (قال الراوى) هذا وعامر

ابن الطفيل وعنتر قد أبعدوا عنهم في البر وترجلوا عن خيولهم
ينظروا الى بحر عجاج وهو لا يقابل ولا يخاض عميق العجاج
فتعجبوا كل العجب فقال عامر بن الطفيل والله لقد أصاب الملك
قيس في رحيله الى الشعاب والجبال واحترازه على الحريم
والعيال لان هذا الخلق يحبون فيها الشجاع وقد أشرفوا علينا ونحن
في المنازل ما ثبت قدامهم منا الا كل فارس بارز فقال له عنتر صدقت
يا عامر ولكن لا تخبر قومنا بهذا الحديث فتقطع ظهورهم وتخيرهم
في أمورهم ولكن نسلي نحن نار الحرب بأرواحنا وتقوى بذلك قلوب
رجالنا وفرساننا هذا وبعد ما وصل اللقيط ولا بان عنه خبر وما أظن
اذا وصل يبقى للعساكر طريق الى الطلب والفرار والهرب (قال
الراوي) ثم انهم أقاموا على ما هم عليه الى وقت الغروب ثم رحلت
العساكر والجيوش ودق الناقوس وصاحت الرهبان والقسوس
وأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم ما زالوا يجدون السير في عرض البر
حتى قارب الصباح وسار وا ذلك النهار وتلك الليلة وفي اليوم الثاني
أشرفوا على بني عبس فتصادروا اليهم مع فرسان بني عامر وهنؤهم
بالسلامة وسألوهم عن العسكر فطيب عنتر قلوبهم وقال لهم ما الامر
الا دون ساعة وأما ما عندكم يا بني الاعمام فلا تحملوا على قلوبكم هما
ولا غما وكان الملك قيس وسادات بني عامر الكل تحت الرايات قيام
فسلموا جميعا وأبدوا الابتسام وقالوا لهما أيها الفوارس أخبرنا بما
شاهدت من هؤلاء الملثام فقال لهم والله ما جاءكم من أرض الشام
الا هدايا وانعام وذلك تتهنون به طول الزمان وتوسعون به على
الارامل والايتام على ان الجيش كثير الجمع غزير ولكنه في عيني
حقير صغير وان منهم مزوقين بزي الحضر وما لهم هيبة الا عند النظر

ولو نظرتهم عند رحيلنا من الديار ما طاوعتكم على هذا السبب ولا تركنا على اثرنا اسم الهزيمة والهرب (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك الكلام حتى اشتدت ظهور الرجال فعند ذلك قال الحارث اخوا الملك قيس يا وجوه العرب أين قول الجواسيس من قول ابن عمنا عنترة لان ابن عمنا نظر بعين فروسيته والجواسيس نظرت بقلة معرفتهم فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس ومتى يصلوا الينا فقال لهم غدا عند الصباح أو ضحوة النهار وترون غبارا يذهل الابصار وأعلاما وصلبانا تملأ الاقطار ولكنهم طعام الجائع ومنهل العطشان (قال الراوى) ثم ان عنترة تركهم يتشاورون وفاتهم ودخل على ابنة عمه عبلة فرآها له فى الانتظار وفى قلبها لاجله لهيب النار هذا والمرأة ابن عمها عنترة نثرت من أجفانها دموع الافراح على خدود أحسن من التفاح وخرجت اليه وقد ترجل هو أيضا لها واعتنقها وقد قبلت يديه وقالت له يا ابن العم كم تركب طريق الاهوال المهالك لم لا تجعل طريق المصائب لسواك فقال لها عنترة يا ابنة العم أنا ما أعد هذه الامور من الاخطار لانى أنا أعلم ان الذى حضر أجله فى الليل لا يموت بالنهار ومن كان أجله بالنهار لا يموت وقت الزوال (قال الراوى) ثم انه قام عندها حتى أقبل الظلام وتناول شيأ من الطعام وعاد الى جواده وطلب الشعاب وشيوب فى ركابه مثل العقاب فرتب للحرس ملاعب الاسنة غشم بن مالك وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرين من بنى عامر وأبعدوا عن الشعاب وركبوا الخيل وركدوا على طريق الجيش يكشفون الاخبار ولم يزالوا على ذلك حتى عبر عليهم نصف النهار وقد مدوا أعينهم فرؤا على البعد غبارا قد ثار وكدر الاقطار

فقال عنتر الآن سمحت الاخبار ومابقى غير الاستظهار والطعن بالاسمر الخطار (قال الراوى) ثم انهم وقفوا حتى انكشف الغبار وبان للنظار وقد ظهر من تحته جيش كبير عرموم وصليب من الذهب وعلم وكان هذا الجيش طليعة بنى غسان وهو يزيد على عشرة آلاف عنان كلهم أبطال وشجعان معدون للحرب والطعان فقال عنتر ماقولكم فى قتال هؤلاء قبل قدوم رفقائهم فقال ملاعب الاسنه اعلم ياأبا الفوارس ان هذا الرأى خطر ببالى لانهم كفاية واحدة منا فقال عنتر ياغشم ماهذا وقت الافتخار والمطال وما فى الامر الا نحمل كلنا مرة واحدة خمسة من على اليمين وخمسة على اليسار ويكون قصدنا الصليب والعلم لانه اذا افترقت هذه الجيوش وانهزمت انقطع ظهرها من خلفها من الامم لاسيما اذا سمعوا ان عشرة فوارس كسرت عشرة آلاف فارس وقتلت أكثرها فقال ملاعب الاسنه افعل ماتريد ودبر ماتحب وتختار حتى انى أتبع فعالك واقهار (قال الراوى) ثم ان عنتر أراد الحملة على الميمنة وأراد أن يتبعه عامر بن الطفيل وثلاث فوارس أخر فقال عنتر ماهذا صواب فأنا لا يتبعنى فى الميمنة غير أخى شيبوب المهاب وأنتم كلكم مع غشم بن مالك عينوه على هؤلاء الكلاب قال وكان الامر كما ذكر وحمل عنتر على الميمنة ومعه أخوه شيبوب وحمل ملاعب الاسنه على الميسرة كأنه البلاء المصبوب وتبعه مقرى الوحش الليث المهوب وعروة بن الورد فارس الحروب وحمل الفتى المطال الفارس الربال وأوقدنا رالحرب اشتعال وحمل نازح فحمل الرجال والاربع فوارس الاخر وكلهم أبطال وقصدوا ذلك الطليعة ولا خافوا من كثرة الجماعة فنظر مقدم الطليعة الى هذه

الفعال فوقع به الانزعال وقال لمن حوله من الرجال وحق المسيح ما حسبت هؤلاء الفرسان الا رسل أرسلوهم لنا يطلبون منا الامان وأراهم قد انقسموا قسمين قسم منهم تسع فوارس والقسم الثاني راجل وفارس وأظن ان هذين الاثنين أما الس والاما كانا يحملان على خمسة آلاف فارس ان هذا الامر عجاب باقتحامهم هذا الجيش العرموم من غير خطاب وما وجد فيهم أحد يرشدهم للصواب ولكن ما جاؤا الا لفروغ آجالهم وأقول ان خلفهم كمين يريدون أن يلقونا فيه والاما كانوا فعلوا هذه الفعال فوحق المسيح قد حصل لي وهم من هؤلاء الاندال وأقول انهم يفنون لا محال فدونكم واياهم ومن قدر منكم على واحد منهم فلا يقتله بل يحضره بين يدي حتى أكتفه وأقدمه لمقدمنا ضامر فألفان منكم يخرجوا الى هؤلاء الاثنين الكواسر وألف يخرج الى هذه التسع فوارس وأتوني بالكل أسارى حتى تنالوا المنزلة العليا (قال الراوي) فعندها تناخت الفرسان ونادت باسم جدها غسان وقصدت غير ذلك الالفان من فوارس الشام وغسان وكذلك غشم بن مالك ومن معه لانهم احتقروهم وما علموا أن بين أيديهم نارا لا تطفى ولهيب لا يخفى وان كل واحد منهم يلقى قبيلة ويروح عليها الا أن الغبار ما طلع عليهم واعتكر حتى تساقطوا من على الخيل مثل أوراق الشجر وطارت جماجمهم مثل الاكر وعاد الاقل منهم يطلب الاكثر هذا وقد مهم شاخص اليهم بالنظر وكان يقال له كافر بن فاجر فلما نظر ما جرى على أصحابه اشتد عند ذلك مصابه فما كان قد رساعة الا والالف الذي قدام غشم ومن معه قد عاد منهم خمسمائة وهم يضربون أكفال خيولهم و يلتفتون الى ورائهم قال واذا بالالفين فارس

الاخر الذين كانوا قدام عنترة وشيبوب قد عاد منهم ألف فارس وهم يصيحون ويقولون واويلاه من هؤلاء الغفاريت العتاه فعند ذلك التفت المقدم عليهم وقال لهم ياويلكم دونكم واياهم وعودوا اليهم قبل أن تأتى العساكر وينفضح لاجل ذلك الامير ضامر (قال الراوى) وما تم هذا المقال حتى أخذتهم الصيحات من اليمين والشمال وأبصروا باقى الجيش يتسع ويضيق والطعن يعمل فى جنباته مثل الحريق فخاف على الفرسان تنهزم ودخله من ذلك الفزع فحمل بنفسه وطاب القتال وطلع من تحت العلم وماهو الا ان تقدم حتى أدركه ملاعب الاسنه وضربه على وريده أطاح رأسه من بين كتفيه فصار يلعب بيديه ورجليه فوقع فى بنى غسان الانزعال ورأت رجالا أشد من أسد الدحال وطعنا يسبق الاجال (قال الراوى) فعند ذلك ولوا على الاعقاب وانقلبوا أى انقلاب ومازال الطعن فى ظهورهم حتى أقبل الليل وأظلم واقبل السواد الاعظم ولاح الغبار الاقتم وأبصرت فرسان بنى عبس وعامر الى غبار العساكر فعادت طالبة الجبال وقد تهيبت بعض الخيول والاسلاب وأما الرجال الذين سلموا من الطليعة فانهم التقوا بنى غسان بالبكاء والعويل قال وحدثوهم بما جرى عليهم من الحرب الطويل فتعجبوا من ذلك كل العجب فأوصلوا الخبر الى ضامر وحدثوه بأن عشرة فوارس التقت عشرة آلاف فارس من بنى غسان وقد أهلكت اكثرهم فقال سبحان فم أيها السيد هؤلاء العشر فوارس الذين أتيت فى طلبهم من أرض الشام وأنا أعرفهم حق المعرفة أولهم مقرى الوحش الذى أتانا من عندكم وكنتم تسمونه فارس النياق فقد التجأ الى بنى عبس وطاب له عندهم المقام وهو الذى ساق

عبيدهم الاسودالى بلاد الشام حتى قتل ابن ملككم وخلص الذى يهواها وهى مسيكة وأقول ان معهم ملاعب الاسنه فارس بنى عامر وان كان قد صحبهم عامر بن الطفيل فهو الذى حل بهؤلاء الويل وعلى ان عنترة وحده يلتقى هذه العساكر كلها والرأى ان تكون منهم على حذر وان طلبوا منك البراز فلا تفعل بل نكاثرهم بالقتال الشديد لعلك أن تنال منهم ما تريد فقال ضامر وقد تبسم من مقالة مه أنت ياسنان الا قد جزعت من هذه الطائفة والا ما كنت وصفتها بهذه الصفة وسوف أريك ما أفعل بهذا الشجاع البطل على انى أقول انه لم يكن فى هذه الارض أشجع من مقرى الوحش ولا أشد منه فى القوة والبطش وانه بقى قدامى يوما كاملا حتى انى اصبت منه بعض المقاتل وبعد ذلك خلصت عليه وطيبت قلبه ومن ذلك اليوم الى اليوم اسمه فارس النياق وارتفع ذكره وعلا أمره فى الافاق فقال له سنان يا مولاى ومن هو مقرى الوحش لو أن فى هذه الارض ألف ألف مثل مقرى الوحش وألف ألف من الفرسان الصناديد قدام عنترابن شداد الرفيع العماد لالتقطهم كما يلتقط الطير الجراد (قال الراوى) فلما سمع المقدم ضامر كلام سنان قال له ياشيخ حيث علمت ان هؤلاء هم هذا الشان لما لا أعلمتنا وعرفتنا بذلك حتى كنا جمعنا كل من فى البلاد من الخاص والعام وجميع العباد فقال له سنان يا مولاى أنا ما قلت ذلك الكلام الا على سبيل المبالغة لاجل ما وصفت مقرى الوحش بهذه الصفة وأما بهذه العساكر تبلغ الامال وتنقضى الاشغال وفى هذه الايام تنقضى الاشغال ويلحقنا اللقيط بن زراره بفرسان بنى دارم مثل النجوم السياره والكل غدايكون بين يديك فقال ضامر ولكن ياشيخ سنان

لا يضع الاقيط ولا غيره فى أسير من بنى عبس ولا من غيرهم لان الملك الكبير أمرنا كم بالاموال وأمرنى أن أسوق اليه الاسارى من بنى عبس وعامر الطائفة المغدارة فقال له سنان افعل ما تريد (قال الراوى) ثم انهم ساروا على هذا الترتيب ولم يزالوا سائرين الى ان أشرفوا على شعاب جبلة قبل المغيب هذا وقد دقت الطبول لاجل النزول وارتجت الارض عرضا وطولا هذا وبنى عبس على صهوات خيولهم الان عنتر وأصحابه لما عادوا أخبروهم بما فعلوا فى الطليعة من الاهوال ففرحوا بذلك الحال وأدخلوا الخيل والاسلاب وقد طابت قلوبهم وقلوب النسوان وقد باتوا تلك الليلة ولهم صياح وضجيج أشد من أيام الحجيج (قال الراوى) وما زال الحرس حارس لهم حتى ولى الظلام وارتحل ولما أصبح الله بالصباح تهيؤا للحرب والكفاح وتزاعقت تلك الخلائق والفرسان الملاح ولمعت بروق الصوارم والنبوت والرماح كأنهم الاراقم وقد سبق فيهم حكم الحاكم وساروا بين عاطب وسالم (قال الراوى) وكان لشعاب جبله ثلاث مواضع للقتال فسكنت بنو عبس وبنو غطفان القرن اليمين وبنو عامر القرن الشمال قال وأما عامر بن الطفيل وعنتر وملاعب الاسنه ومقرى الوحش وهروة بن الورد فى المقدمه ومعهم تمام الالف فارس وهى الفرسان التى عليها المعتمد فى الجانب الثالث (قال الراوى) هذا وقد صاحت بنو غسان وملأت البرارى والقيعان وانتشرت حتى ملأت الجبال والشعاب وزحفت الى القتال من كل جانب ولاجل كثرتها ما ترتبت بل انها صاحت باسم المسيح ابن مريم وحملت وقد صاحت خلفها القسوس والرهبان (قال الراوى) فلما ان رأى عنتر الى حلتهم تلقاهم هو ومقرى

الوحش ومن معهما من الفرسان وحمل أيضا البطال فحمل الرجال وحمل نازح البطل البارح وحمل أبو الموت فى سودانه وهم بلغم وبلاغم ودمدم ودمادم وفداغ الشكل وزبالة الفرس وأصداغ الجمل وقاطم بوزه وأبو رجل عرجه وهؤلاء سودان عنتر البطل القصور وكانوا خمسمائة تمام وحملت بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان هذا وقد اختلطت ألسنة الاشطان عند الضرب والطعان وقد بكت الابطال على فراق الشجعان والاوطان وصاح عليهم كل شيطان وألقت خلق البطان ورملت النساء ويتمت الصبيان وقد ذل الشجاع وفر الجبان وخاف البطل الشديد البأس وتقطعت الدروع والاتراس وعملت الرماح فى الاشباح ونادى المنادى وصاح وقد تمنى الفارس أن يطير بلا جناح وبيعت الانفس بيع السماح وقد تساوى المساء والصباح وبان شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وصاحت الفرسان من ألم الجراح كما تصيح النوق عند الرواح وزعق غراب البين عليهم وناح وفر الجبان وطلب الرواح (قال الراوى) وقد ضاق على عنتر الميدان والمجال وقد هانت عليه الاهوال وصار يكبكب الخميل الذى بين يديه تارة يمين وتارة شمال وكيف مالت فرسان بنى غسان كأنهم الجمال هذا والفرسان والابطال تطالبه مواكب وسرب وترجع من زعقاته تتكبكب وكان معه فى ذلك اليوم مالك أبو عبله وأخوها عمرو فأبصر ولمن فعاله العجب وصار عمه يلتفت عنه الاسنه ويظهر له المحبه ويقول يا أبا الفوارس الله يبين فضلك على أعدائك ويزيد مجدك وعلاك (قال الراوى) ولله در عامر ابن الطفيل وملاعب الاسنه فلقد أشفيا الصدور وفعل فعلا يبقى ذكره على مر الايام والدهور وكذلك عروة بن الورد ومقرى الوحش

والمطال ومن معهم من الرجال لانهم لاقوا الاهوال وقاتلوا أشد قتال وتم السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل والرؤس تتناثر الى أن اسود مفرق الشمس وغسق الظلام وعادت بنو غسان وهى متعجبة من عظم مالاقت فقال ضامر لقومه ويلكم ماوراءكم ومن بشره رماكم وما الذى دهاكم وأراكم عدتم بالخسارة وأخذ أكثركم أسارى فقالوا له لاتحقد علينا أيها الامير واشكر المسيح الذى أعادنا اليك سالمين فانشا وحق المسيح ومن عبد الصليب وشد الزنار لقد قاسينا يوما مامثله فى الايام لانسار أبسار رجالا يسابق طعنها سهام الاجال لاسيما هذا العبد الاسود الادهم الذى كان على الطليعة مقدم وحق المسيح ابن مريم مامال على جمع الا وفرقه ولا قصد موكب الا ومزقه ولا رعق زعقة الا وقلنا البرق قد خفق وما بلونا على قولنا هذا الا كل أحمق لان هؤلاء القوم مايقدر أحد بلقاهم ولا يصبر على بلاهم والصواب أننا نداريهم جميعا بالقتال والا أهلكونا فى المجال فلو قتل منا كل يوم ألف ومنهم كل يوم واحد كنا نحن الرابحين (قال الراوى) فعند ذلك قال لهم ضامر هاأنا صابر عليكم يومين أو ثلاثة فان فعلتم كما أريد والا صليت أنا الحرب بنفسى قال فهذا ماجرى لمقدم بنى غسان وأما ما كان من بنى عبس وعدنان وبنو عامر وبنو غطفان فان فرسانها رجعت وهى من الدما مثل شقيقة الارجوان ورماحها قد تحطمت من ضرب السيوف وقد تعبت خيلها ولكن حيث بلغت الفرسان مأمولها لم تبال بتعب النفوس هذا وعنتر قدام بنى عبس وكلاب وأبطال بنى عامر يفتكر ما قاله عمه مالك بن قراد فى وسط الحرب والجلاد فأنشد يقول هذه الابيات

ولقد حفظت وصاية عمى فى الصبى
اذ يقلص الشفتان عن وضح الفم
اذ يتقون الاسنة لم أحل * عنها ولكنى أضايق مقدم
لما لقيت الخيل أقبل جمعهم * يتبادرون كررت غير مذمم
ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر اقدم
يدعون عنتر والرماح كأنها * أشطان بئر فى لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها * برق تلالأ فى سحاب مظلم
يدعون عنتر والدروع كأنها * حدق الضفادع فى غدير مفعم
مازلت أرميهم بغرة أجرى * وشلائه حتى تضرج بالدم
فازورمن وقع القنا فزجرته * فشكى الى بعبرة وتحمحمى
لو كان يعلم ما يحاط به اشتكى * أو كان يعلم ما الكلام تكلم
ماذا على لا أبالى جمعهم * خاض الدما تحت الغبار المظلم

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الابيات ترغت لها السادات ولم يزالوا سائرين حتى أقبلوا على الشعاب فعند ذلك نزلت الفرسان والابطال ومافيهم الا من يذكر ما قاله عنتر من الشعر والنظام وكان معهم جماعة من الجرحى فادخلوهم فى الشعاب فلما أخذت الفرسان الراحة تولى عنتر الحرس وعامر بن الطفيل ودارا حول الشعاب وهم يحرسون الاهل والعيال بطول ذلك الليل حتى رحلت جيوش الظلام وعاد الصباح أشرف بالنور والابتسام فعند ذلك عاد عنتر وعامر بن الطفيل ودخلوا المضارب والخيام يريدون الراحة وأكل الطعام فلما أكلوا وشربوا توانبوا الى خيولهم ركبوها بعد ان أفرغوا عليهم الحديد والزرد النضيد واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف الصفاح وتمكنوا بالدرق ودفعوا خيولهم وخرجوا من

المضارب والخيام فنظروا الى البر واذا بالصوف تصفقت والكتائب تقابلت فلما ان نظروا الى هذا الحال أطلقوا أعنة خيولهم وتجاوزت من خلفهم الفرسان من بني عامر وبني غني وبني كلاب وبني عبس وبني غطفان (قال الراوي) فلما ان نظروا عساكر الشام الى عنتر وقد أقبل والفرسان من حوله جفل بعد جفل وقد لمعت أسنة الرماح من بني عبس عند طلوع الشمس فعندها أشار سنان بن أبي حارثة الى مقدم عساكر الشام أن يحمل عليهم في وسط المجال ولا يطمعهم في البراري والتلال (قال الراوي) وما فرغ سنان من كلامه حتى أشار ضامر بيده الى عصابة من بني غسان تنوف عن مائة ألف عنان وقد جعل عليهم مقدما من أرض حوران يقال له مالك بن حسان وقد أراه المقدم ضامر أن يحمل في هذه الفوارس ويأتيه من فرسان بني عبس بألف أسير فعند ذلك ثار مالك بن حسان ثورة الاسد الغضبان وقد أرغا وأزبد ووثب على خيله ولبس الزرد واعتدّ بعدّته وركب على ظهر جريته وسار وقد انحدرت خلفه الكتائب والمواكب ولم يزل سائرا حتى صار محاذيا لعنتر بن شداد ونظر الى فرسان بني عبس الاجواد والكل لابسين الحديد والزرد الشديد وكاملي العدد وعنتر بينهم كأنه أسد فلما نظر اليه مالك بن حسان صرخ فيه وقال ويلك يا وغد يا لئيم ويا أسود يا زنيم اليوم آخر أيامك ثم انه أنشد وجعل يقول

خليلي لما طاب الموت والنقع أسودا
بطعن الردينى والحسام المهندا
رعى الله انسانا يبيت وقلبه * من الموت فزعانا اذا راع واعتدا
ذريني أوف السيوف والحرب حده * اذا ما طما بحر المنية مزبدا

أنا كاشف الغمات وقت حلولها * وان علائى بالسعادة تبدا
وأنا من تذكر الناس فعله * ولكن فعلى كل يوم مجددا

(قال الراوى) ولما فرغ حسان من هذه الابيات طربت لها بنى غسان السادات ثم انه أشار الى عنتر بالبراز وسأل الانجاز فحمل عليه عنتر حملة منكرة وجال الاثنان تحت الغبرا وسمع لهما همهمة وزمجرة واعتركا اعتراكا مبيا وتضاربا ضربا وفيا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وأخذا فى الجيل بالشكائم والمراود وطلع عليهم الغبار وغابا عن الابصار وفى دون ساعة عرف عنتر قتاله واختبر طعنه ونزاله فلاصقه وأتعبه وأجهده وطعنه بالسنان طعنة الغيظ والحنق فسقط مالك من على ظهر فرسه قتيلا وعلى وجهه الارض جديلا فلما رأت بنو غسان الى مالك وقد قتل صرخت وحملت على عنتر وقالوا له شلت يداك وأنامك وقطعت مفاصلك ياعبد يا زنيم وياوغد يا لئيم لقد قتلت فارسا كريما وحجت عليه المائة ألف حملة واحدة فعندها صرخ عنتر فى عروة بن الورد وزحاله وعامر ابن الطفيل وفرسانه وهو قرى الوحش وأبيه شداد وأبطال بنى قراد الاسود فعند ذلك نفار المقدم عامر الى تلك العساكر وقد جالت والمواكب قد مالت والطيور فى الجو على القتلى حامت هذا وقد اشتد الحرب والقتال بين الطائفتين وقد حكم الصارم اليمانى بين الجماجم والابدان وهمهمت الاسود وحامت العقبان وطلع الغبار الى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى أنه ما كان وضاق الميدان وصحا السكران وقد حمت سنابك الخيل شمل النيران وجاء الحق وحصد الزور والبهتان وقوى القتال بالصارم المران واشتد الضرب والطعان بعوامل الرماح والاسنان وتكسرت من السروج الاقران

واعتقر

وفقراء الشجع على الجبان وعبيت فرسان الجبار أبطال بني عبسان وهجمجرهم الى أبعد مكان واستظهروا عليهم استظهار الاسود على الغزلان فلله دره من يوم عظيم الشان حمي فيه الحديد على الابدان ولا رأوا مثله في سائر الايام (قال الراوي) وأما عنتر فانه في ذلك اليوم يصول ويجول في عرصة القتال وهو يهول الابطال والفرسان وقد بلغ العرق في ذلك اليوم الى الاذقان وعنتر ينادي في وسط الميدان ويقول أنا الليث الضبان أنا متبع لوحوش والعقبان هذا وهو يخوض تحت الغبار ويذهب الى فوس ذات اليمين وذات الشمال ويأخذ مهج الفرسان والابطال وتناجت الرجال لانفسها وأقامت في أيديها أسنتها فلم تكن غير ساعة حتى بددوا أقوامهم وأقرانهم وجندلوا أبطالهم ورجالهم ورملوا نسوانهم وصرخوا عليهم من كل جانب فعند ذلك اندقت الاقران والفرسان هاربة ولم يجدوا لهم صبرا على مضارب سيوف بني عبس وغطفان فما كان عندهم عيوب من الفرار فهجمت المائة ألف فارس على وجوههم في القفار وقد ألوت أعنة خيلها وطلبوا الهرب وقد اتسعوا في وسيع الفضا وتمزقوا منهزمين لا تسمع لهم الا هدير الخيل الشارده فلا ترى لهم أثر وخلوا الاموال والغنائم والاسلاب والخيام والمضارب ورجعت بنو عبس عنهم وهم فرسانها بالنصر والظفر ولكن بقوا من الدماء مثل شقيقة الارجوان مما سال عليهم من أدمية الفرسان وأمارماحهم فقد تحطمت من ضرب السيوف المواحق وتعيبت خيولهم وقد بانت مأمولها وكان لها السعد موفق وبعد ذلك رجعوا الى الشعاب والجبال وباتوا تلك الليلة ولهم صياح وعياط وصراخ فهذا ما كان من هؤلاء وأما

ما كان من فرسان بني غسان وأبطالهم فما زالوا في هزيمتهم حتى عبر عليهم الظلام ووصلوا الى أصحابهم وهم في انتظارهم فلما نظر المقدم ضامر ذلك الحذر ق يد على يد وفي الحال أمر باحضار سنان بن أبي حارثة فما كانت غير ساعة حتى انه حضر وباس الارض وتأخر فعند ذلك أعلمه المقدم ضامر بما جرى عليهم في ذلك اليوم العبوس من انكسار عساكره وتفريق مواكبه فقال له سنان أيها المولى ما قلت لك لا تبارزهم ولا تستعمل معهم البراز فان هؤلاء شياطين الارض ومعروفين في البلاد وسائر الغازي بانهم أسود الشجاز ولكن في غداة غد آمر العساكر أن تحمل عليهم حملة واحدة وهي تكون وقعة الانفصال وتربط سادتهم في الحبال وتحطهم في السلاسل والاغلال فعند ذلك سكت ضامر على الغيظ وقضيت تلك الليلة في أعظم مبيت وهو في هموم وغموم بطول ليلته كلها (قال الراوي) هذا ما جرى للمقدم ضامر مع سنان بن أبي حارثة وأما ما كان من عنتر ابن شداد وأصحابه الاجواد فانه لما أخذوا الراحة تولى الامير عنتر حرسهم هو وعمر بن الطفيل وقد دام عليهم الامر كذلك حتى رحلت جيوش الظلام وأقبل الصبح بالابتسام فعند ذلك عاد عامر ابن الطفيل وعنتر الى الاصطباح وكاسات الراح من شفار الاسنة وضرب السلاح وكان يومهم الثالث أشد من اليومين وأعظم من الايام التي مضت وما زالت الحروب بين العرب وبين فرسان بني غسان وهم على ساق وقدم وهي على هذا المنهاج ليلا ونهارا هكذا مدة خمسة وعشرين يوما على التمام والكمال الى ان ضعفت الخلائق وسلب من القوم القوى والحيل من شجعانها وأبطالها قال والما أصبح الله بالصباح وهو السادس والعشرون بردت نيران الحرب وقل

الطامع

الضلع من كثرة الجرحى من الطائفتين من تواتر الطعان وقد طلب الفريقان الراحة بالبراز فعند ذلك اصطفت الصفوف وتعدلت المياه والصفوف وترتبوا للطعن والضرب والقتال والنزال وكان أول من تقدم الى الميدان وأوسع فى الجولان كان مقرى الوحش فارس الشام لانه هو صاحب القريحة وهذه العربان والوقائع والحروب كلها من أجله وقد تعصبت له هذه الخمس قبائل وهذه العربان كلها (قال الراوى) فلما ان حصل فى طابق الجولان صال وجال ومد واعتطال ولعب بالسيف والسنان حتى حيرعقول الفرسان فعند ذلك ثارت جيوش بنى غسان ولما دنا من فرسانهم ناداهم وقال لهم يا أولاد الزنا ما كان لكم أن تظاهروا بالعداوة لهؤلاء العربان وقد تعديتم عليهم فضلتموهم وظلمكم قدعم عليكم لانى أنا خصمكم وأنا الذى سلطت عليكم من قتل ابن ملككم وخلصت محبوبتى من أرض الشام بطعن الرماح وضرب الحسام وها أنا قد خرجت اليكم حتى أجازيكم على أعمالكم القبيحة وأشتت شملكم وأفنى عددكم فابرزوا الى يا عبدة الشيطان والصور المصورة فى الحيطان ان شئتم فارسا لفارس أو عشرة لفارس أو مائة لفارس أو ألف لفارس لانى أعرف أن ما فيكم أحد يقوم قدامى ساعة من النهار اذا ما لكت حسامى ومددت اليكم رمحى وحسامى الا أن يكون مقدمكم ضامر ولكنه اليوم مقدم على هذه العساكر والدساكر وانه ما يرى على نفسه أن يبرز الى مثلى فقير صعلوك حقير ولكن اذا اشتهى أن ينظر من شجاعته طرفا فليبرز الى أهل الحجاز وفرسانها ويخرج الى الميدان يطلب الضرب والطعان (قال الراوى) وغلط مقرى الوحش فى كلامه حتى نفرت اليه الفرسان من بنى غسان

وطلبته الشجعان من كل جانب ومكان لاجل ما فى قلبها عليه من الحقود فقال وفى دون ساعة داروا حواليه وقد خرج الكل عليه وقالوا له ويلك ياشيطان هجرت بلادك وتركت الاوطان وتخليت عن عبادة الصلبان والصور المصورة فى الحيطان وتخليت أيضا عن عبادة المسيح وصرت تعبد الحجارة والاوثان الويل لك مما تلقى منا القسوس والرهبان فعند ذلك ثار مقدرى الوحش وقال والله يا كلاب بنى غسان لقد كذبتم فى قولكم والكلام واتيتم بالزور والبهتان لان هؤلاء العربان ما يعبدون الاصنام والاوثان كما تعبدون أنتم المسيح ومارى حنا المعمدان وانما يجعلونها واسطة الى خالق الاكوان والانس والجان ومطلع النبات الوان أخضر وأحمر وأصفر وأبيض صنع ربى تبارك الله العزيز الرحمن وأيضا لهم الزمام والقول الصادق فى الكلام وانهم الى بيت الله الحرام وعلى أننى اليوم ما فى تلبى أحلى ولا أجل من الرب القديم الديان الذى كان من قبل الزمن والدهور وهو الحى القيوم الذى رزقنى من زوجتى مسيكة ولدا وهو سبيع اليمن وكما ذكرانه أتاه ولد فى بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان يحبه محبة عظيمة مفرطة زائدة لاجل حسنه وجماله وقده واعتداله وملاحته وصورته الا أن مقدرى الوحش بعد ذلك الكلام حمل على الفرسان والابطال وجال فيهم وصال وجود الطعن والضرب بالعوال والسيوف الصقال وفى الحال أشعل نار الحرب والقتال فما زالوا مصاصار نصف النهار حتى أهلك مقدار خمسين فارسا كرارا وجرح اكثر من ذلك المقدار (قال الراوى) فلما نظرت الفرسان الى ذلك حارت وصارت تطلبه من اليمين والشمال من غيظها وحقدها عليه ومقدرى

الوحش يقلل عددها وكثرتها هذا كله يجري لفارس النياق واما
بنو عبس وعدنان وعامر بن الطفيل والامير عنتر بن شداد فانهم
صاروا يتعجبون من أفعاله ويستحسنون لقتاله ونزاله وأما المقدم
ضامر فانه نشقت مرارته من الغيظ الذي حصل له وداريت مهيبته
وقدحار في قصته ومن شدة ما جرى عليه خرج بنفسه من تحت
الاعلام والصناجق والبنود وقد سأل من كان حوله من الفرسان
من بني غسان عن مقرى الوحش فحكوا له عن ما كان له من
الشجاعة وانه عند عنتر زاد في الفروسية والبراعة أكثر ما كان
في بلاد الشام فعند ذلك قفز الى الميدان وقصد نايه وهو يهمهم
ويدمدم ويزمجر وكان تحته في ذلك اليوم جرة عربيه تسبق الرياح
الغربيه مع البروق الصريه وقد أخذ في يمينه قنطاريه خلصيه غليظه
شديده وعمل على رأسها حربة يسم الافعى مسقيه وقد لبس على
جسده زرديه لها عيون الذهب مطليه اذا لبسها الانسان كان
آمنا من حيل المنيه وهو منقلد بصفيحة هنديه ضرب الهند وسقاية
السند وان هذا المقدم لما كملت عدته وانصلت حالته وصار على
ظهر جرته قفز الى الميدان كما ذكرنا وسار ى مقرى الوحش في طابق
الجولان كما وصفنا ولما حصل في وسط الميدان فعند ذلك التفت
عنتر الى من كان حوله من الابطال والفرسان وقال لهم يا وجوه
العرب هذا الفارس الذي برز الى صاحبنا بخلاف الفرسان الذين
برزوا اليه ولكن أرى الفرسان تظهر له الخدمه والخذر عليه وأما
صاحبنا مقرى الوحش فانا أعلم انه تعبان من القتال وجراده تصر
من الجبال على ان صاحبنا الوتصر عليه ما خلت عنه أصحابه ويقع
والله بنا الخسران والصواب أن ينزل فارس منا ويرد ويتلقا هذا

البطال لعله أن يقتله ويفرق هذا الجيش عنا ويتقلقل لاني أرى
ركبته ساطانيه وفي نفسه في شهامة قويه فعند ذلك التفت ملاعب
الاسنه الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أفعل ماقلت عليه وما
تكلمت به من المقال وان لم أقتله بعد برازى له فانا ولد حلال فقال له
عنتر دونك ياغشم وهذا الشيطان عندها فقر ملاعب الاسنه
ورقد الاعنه الى الميدان بين الصفوف وقد جال وصال ولعب
بالقنطاريه حتى حير عقول الابطال وبعد ذلك التصق الى جانب
مقرى الوحش وعاداه وأشار اليه بعينه وقال له ارجع عن طابق
الجولان وخذ انفسك الراحة من التعب والخذلان فقال مقرى
الوحش لا وحق الاله الدائم بلا زوال الحنان المنان خالق الانس
والجان ما أطلع من هذا الميدان ولا أرجع عن خصمى لأن بيني
وبينه حقود قديمه من زمان وما صدقت أن أراه معى في الميدان
وموقف الجولان وما أفارقه الا بالانفصال وبلوغ الآمال فاما أن
يقتلني ويأخذ ثاره واما أن أنصر عليه فاقتله وعلى وجه الارض
أجندله وأشفي غليل صدري وفؤادي منه وأفرق هذه العساكر
قبل المغيب فعد أنت ياوجه العرب عني الى خلفك ولا تشوش
خاطري وأقرى سلامي على عنتر ومالي عنده وصية غير ولدي سبيع
اليمن وزوجتي مسيكه وعلى الدنيا السلام بعد الاهل والاصحاب
بل ان كنت ياغشم تعاونني وتساعدني أعطيني جوادك وخذ
جوادي لانه قد تعب من تحتي وقصر وما بقي يقدر يتقدم ولا يتأخر
(قال الراوي) فلما تكلم مقرى الوحش بهذا الكلام فعند ذلك
ترجل ملاعب الاسنه من على ظهر جواده وسلمه اليه وقد ركب
حصانه الذي كان تحته وتأخر عنه قليلا ووقف خلف ظهره من

فزعه عليه فعندها طلب مقرى الوحش خصمه بالحصان المستريح
وزعق فيه وركزه فزربه مثل الريح وفى الحال التقا المقدم ضامر وقد
انكر فى أمره على المسيح وتضاربوا وتطاعنا حتى أذهلا بفعلها النظر
الصحيح وجرى بينهما من الحرب مايخرس به اللسان الفصيح وعلم
المقدم ضامر ان مقرى الوحش خبير بالطعن والضرب فرمى فى الحال
قطاريته من يده وسل حسامه من غمده وعول على القتال
والضرب والنزال فعند ذلك تضاربا ضرب الحنق حتى تطايرت
السيوف على الدرق فلما نظر الى ذلك المقدم ضامر التفت الى قربوس
سرجه ونظر الى الجراب الذى معه فاخرج منها حربة من تحت فخذه
وفى الحال هزها حتى خيل للخلائق انها تقطعت وتمزقت وأرسلها
اليه فخرجت من يده كأنها شهاب من نار قد رمى بها شيطان من
مردة الجان فلما نظر اليها مقرى الوحش وهى مقبلة اليه خيل له انها
سحابة عذاب أو كأنها ثعبان فصبر عليها حتى قربت منه وسحبها
على رأس درقته وكسر حدتها بعدما كانت كالصاعقه وفى الحال
استقر فى قربوس سرجه وقال فى نفسه أعوذ برب الفلق من شر هذا
الفلق ومن شر ذا الفارس المطبق (قال الراوى) وأبصر ضامر
الى مقرى الوحش وكيف سلم من تلك الضربه والحربه وفعل ما فعل
من أعماله من الفروسيه فزاد غيظه وحنقه وويله فعند ذلك أخرج
حربة ثانيه وهزها حتى برق الموت من سنانها ولمع فظن كل من رآها
انها سارت قطعا وفى الحال ضربه بها فخرجت من يده كأنها شملت
نارا وصاعقة عذاب فوقعت فى الدرقه فعبرت فيها وخرقتها وفى
الحال وصلت الى جسده فمن قوة نارها وقع السيف من كفه وكان
مقرى الوحش من التعب مثل السكران فمال عن الحصان كأنه

عاود من الاطواد ووقع الى الارض والمهاد هذا وقد وقف ضامر على
رأسه حتى تبادرت اليه بنى غسان من كل جانب ومكان فعندها
حمل ملاعب الاسنة وقد طلب خلاصه وكذلك عنتر بن شداد
وعامر بن الطفيل وحمل عروة بن الورد المطال وقام المائتى فارس
من الرجال الاقويه الانجاب فصدموا بنى غسان وقد حال بينهم
وبينه فعند ذلك صدمتهم بنو فزاره بامر سنان بن أبى حارثة وقد
وقع بينهم وبين بنى عبس القتال والطعن والنزال (قال الراوى)
وكان بنو فزاره فى عالم عظيم يزوف عن عشرة آلاف فارس من
الابطال القناعس فحالت بينهم وبين فرسان بنى عبس وقد أخذوا
مقرى الوحش أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وطلب ملاعب الاسنة
أن يرجع فما رجع من كثرة الخلائق والمواكب بل صدمته من كل
جانب وكان الحصان الذى تحته قد هلك من التعب فما حمله أكثر
من ساعه حتى صدمته الخيل فانقلب على ظهره وقد بقى مرميا
فى القفار وفى الحال أخذ أسيرا بعد ما سل حسامه الصقيل ودافع
عن نفسه وقتل خلقا كثيرا وحملت بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان
وطلبوا الوصول الى عنتر فما قدروا على ذلك من كثرة الخلائق لان
سنان بن أبى حارثة زعق فى بنى فزاره وقال يا ويلكم ما تبصرون
أعداءكم فى هذا البلاء ونزل هذه العساكر تقاتل معكم فانصعوا
واطلبوا أخذ الثار (قال الراوى) فعندها حملت بنو فزاره وهى
تنادى بالثارات بنى بدر بالثارات حذيفة وطلبوا عنترا بالصوارم
والنبل وكان عنتر قد زعق فى عساكره حتى قارب المضارب فطلب
الاعلام هو وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ومائتا فارس أخر
فطلب العلم والصليب وملؤا الارض بالدماء الخضيب وذرفوا المواكب

بالطعن

بالمعن الصائب ولم يبق بين أيديهم الا الخيام والمضارب وكان قد حصل لهم تعب عظيم وجرح بعضهم وقتل من خيلهم وهم يقاتلون عن أنفسهم حتى ركبوا من الطويل الشارده وبذلوا الرماح والسيوف وكان عنتر على جواده الابجر وفي يده رمحه الغليظ الاسمر فما بدله وما كان معه من آلة الحرب غيره لانه لما أبصر قرى الوحش قد وقع على الارض اسودت الدنيا في عينيه ورمى البيضة عن رأسه وخفف وأعطى سيفه لاخيه شيبوب وانصف وحمل على الصفوف وهو يقول هذا يوم طعن القنا ما هو يوم ضرب السيوف (قال الراوى) ولما بذلوا الرماح سمعوا أصوات أصحابهم من الصياح فساروا يطلبونهم من فزعهم عليهم (قال الراوى) وفي تلك الساعه وصل اللقيط بن زراره بالعساكر الذى جمعها في وادى الاخدود وكانوا ثلاثين ألف فارس وكان اللقيط في المقدمه يسمع ارتفاع الضجيج والزعاق ونظر بعينه الغبار قد سد الاقطار والآفاق فعلم ان القوم في ضيق الخناق وان الحرب قد قام على قدم وساق فقال لمن حوله من فرسان عشيرته هذا وقت افتخار الفرص لان بني عبس وبني عامر ما التجأت الى هذه الجبال الا من خوفها من هذه العساكر وان لم نبلغ منهم غرضنا في مثل هذا الوقت ما نبلغه أبدا (قال الراوى) ثم انه فرق اخوته على سائر القبائل وأعلمها بهذا الحال وأمرها بالقتال ورمى الصياح في اليمين والشمال فأقبلت المواكب مثل الجبال وحمل اللقيط يطلب الغبار الثائر واذا قد اعترضه سنان بن أبي حارثة في جماعة من بني فزاره وأخبره ان عنترا بين يديه في طائفة قليلة وانه انقطع عن بني عمه وعشيرته فبادره قبل أن يخوض الحجاج ويعتصم بالجبال ودعنا انتهب جسده بالرماح

الطوال فمنعها صاح الاقيط بن زراره وامرحتاه بعد ترحاه وركض
فى أول العساكر وقدامه سنان بن أبى حارثه وتتابعت خلفه
الفرسان وأبصروا مرهذه المصائب فأيقن بحلول الحمام المصائب
وقال لعنتر يا أبا الفوارس مابقى من الملائم مهرب لانا قد وقعنا
فى بحر متلاطم بالامواج فما ترى من الرأى فقال عنتر ما هنا من
الرأى غير استقبال القادمين والطعن فيهم بالرماح وخطف الارواح
لانا ان رجعنا نطلب أصحابنا فتكت هذه الطوائف بنا وبت فناؤنا
ومابقى فى الامر الا اقتنا نلقاهم وتكفى بأنفسنا الهلاك لان الرجل
اذا قتل لا يقتل الا اذا قتل خلقا كثيرا وبعد هذا يكون مغبونا ثم انه
تلقا الخيل كما تلقى الارض العطشانة أوائل المطر والسيل وتبادرت
اليهم الرجال التى كانت مختفية فى الحفر وعادا اليهم صائحين وقدم الشام
وطال عليهم فى قطعة جيدة وأمر بنى نحسان أن تحمل كلها احملة
عنان فحملت الابطال وحملتها اهتزت الجبال والارض يمينا وشمالا
وجرى الدم وسال وفنيت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال
وارتجت الجبال والدنيا انقلبت والحياة منعت والسيوف قطعت
والرماح كسرت والدروع تمزقت والرجال جالت والشباب
شابت والآمال خابت والبطون تفجرت والنفوس تقسمت والدما
من الجراح هطلت هذا وهم بين طريح وطارح ومذبوح وذابح وباك
ونائح وزاعق وصائح وخسران ورابح وغادر وآمح وباك ونائح
ومشروح وشايح والدما على الارض سائح حتى صارت القتلى مثل
الذبائح هذا وهم فى صدام ولزام وتجريع الموت الزوام (قال
الراوى) وقد قال العقلاء اذا كثرت الكلاب على السباع أنزلوا
بها العذاب واذا اجتهدت العصافير على الباشق الصيود أتعبته

وناك منه المقصود الا ان القوم مامضا عليهم أكثر ساعة من النهار حتى قتل منهم جماعة وأسروا عروة بن الورد والباقى سلموا أنفسهم الا عنترة وعامر بن الطفيل فانهما بقوا نهارهما يقاتلان الى ان دخل عليهم الليل وأخذوا أسارى وقادوهم حيارى وسلموهم الى العبيد ورجعوا الى الخيام واستقر بهم المقام فعند ذلك جمع سنان بن أبى حارثة بنى لقيط بن زرارة وبنى ضامر مقدم العساكر فهنو بعضهم بعض بالسلامة والنصر وقال اللقيط لضامر أيها السيد بهنيك هذا النصر والارشاد فقد بلغنا كل المراد من الاعادى والاضداد الذين قد ملوا النساء ويتموا الاولاد فشكره ضامر على ذلك الايراد وقال له أيها الامير انى قد أمرنى صاحبى بفناء بنى عبس وها أنا قد أتيت لهم قاصدا ولابد ما أسوق اليهم جماعة مع مقرى الوحش وأبيض وجهى عنده بهذا العبد الاسود وما تسال عن الباقين فقال له اللقيط بن زرارة يا ولاى لامر اليك افعل كما تريد لان الاعداء حبسوا أنفسهم فى هذا الوادى ولا تركوا لانفسهم نجاة ولا بد ما نهلك الفوارس منهم والعوام ولو رحمت بهم سقناهم قدامك الى أرض الشام وقد أقاموا على رؤس الشعاب من يحفظها حتى لا يخرج هارب منها ودارت بهم الكتائب من كل جانب وباتوا فرحا بما تم على أعدائهم من العذاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم من حين أتى اللقيط بن زرارة وتلك الجموع واخلائق قد عادوا الى ورائهم وقاتلوا على رؤس الاودية والمضائق من فرعهم أن تملكهم الاعداء ومازالوا كذلك حتى أمسى المساء ورحمت الاعداء وانتظروا عنترة ومن معه فلم يروا لهم خبر ولا بان احد منهم ولا ظهر فتقطعت ظهورهم وحاروا فى امورهم

وعلموا ان القرم قد هلكوا فجمعوا رأيهم على أن يدخلوا
فى الجبال والمقاتلة هنالك عن الحريم والعيال ولما صاروا فى الوادى
وأبصروا النساء مشققات الثياب كثيرين البكاء والانتحاب
لان الخبر قد وصل اليهم وسمعوا ما جرى على رجالهم من النوائب
واقاموا على الخدود والترائب ومشوا بين الخيام والمضارب وهم
مكاشفات الرؤس منشورات الذوائب ولم يعلمن انسالم من العساكر
وأقمن العويل والبكاء وارتفع الضجيج فى الوادى وعلى وودع الوالد
الولد وتقطعت الاكباد من شدة الحزن والكمد وكان الملك
قيس قد تزوج امرأة وولد وسماه زهيرا وكان دون البلوغ وهو مبدع فى الجمال
وكان يحبه محبة عظيمة ومن شدة محبته له واشفاقه عليه خطر له
خاطر وتصور فى عينيه أنه صواب وكان ذلك الهاما من رب الارباب
والامر كان سبق فى أم الكتاب فجمع أمراء القبائل والمقدمين
من العساكر وقال لهم يا بنى عمى أنتم تعلمون ان هلاكنا قد آن وما بقى
لنا طريق من خلاصنا من هذا الوادى لان فرساننا قد قتلت
والاعداء فينا قد طمعت والجوع حولنا قد كثرت وأنا قد بان لى أمر
واريد أن تعاونونى عليه ولا تسألونى عنه فقالوا وما الذى تريد
من المعاونة حتى انا نعاونك على ما تريد فقال لهم يا بنى عمى من هذه
الليلة كل من كان له نوق أو جمال يأمر عبيده باعتقالها وتوصوهم أن
لا يمكنوهم من الماء والمرعى حتى اريكم تدبيرا نهلك به الاعداء
جميعا فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم انصرفوا وأمروا عبيدهم بمثل
ذلك وأما الملك قيس الى الاماء اللتى عند النساء ينهونهن عن
البكاء ووعدهم بالنصر على الاعداء وذكر لهم أن رجالهم سالمون
غير هالكين وان الحواسيس قد أتت وأخبرتنى بذلك وفى غداة غد

تدبر في خلاص الجميع (قال الراوي) وكان هذا الكلام يطيب به قلوب النساء ويزعن من الاعداء أن تسمع النواح والبكاء فيزيد بهم الطمع فسكت بهذا الكلام جميع الناس وأقام الحرس على رؤس الشعاب وباتت بنو عبس في أعظم ما يكون من الهم والاكتئاب هذا والربيع بن زياد قد أيقن بالهلاك وسوء الارتباك وقال عمارة ما زال الملك قيس يسمع من رأي عنتر حتى هلك وأهلكنا معه واحسرتاه على السلامة وعلى زواج عبلة وليلة واحدة فقال له الربيع انتهى جاءك الموت فمتى ويلك يا مذلول السبال وأنت بعد ذلك مولع بزواج عبلة أما يكفيك ما أنت فيه من هذا الوقت الخيال فقال عمارة يا أخي اني ما أنسى هواها ما دمت في قيد الحياة واحسرتاه آه وآه وادهوتاه على ما أصابني وكان شيبوب قد جرى عليه ما لم يجر على قلب بشر وعلم أن الحرس شديد عند رؤس الشعاب فما قدر أن يظهر ولا فعل شيأ الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركبوا الجرد الملاح وتقدموا يطلبون الحرب والكفاح فسد الشعاب بكثرة الخلائق وأبهروا الابصار بلمعان البوارق وأدارت فرسان بني عبس وبني غني وبني عامر الحرب في ذلك اليوم وقاتلوا من داخل الشعاب خوفا على الحريم والاولاد وجمع الملك قيس جميع عبيده وعبيد القبائل الاجواد وأطلعهم على قرون الجبال وعاونهم بالنبال والاحجار واشتد الحرب والقتال وعظمت الشدائد والاهوال ومازالوا على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار واستطال وعادت العساكر والقبائل الى الخيام وقد زادهم الطمع والخيال وعند عودتهم عدم الغيط بن زرارة على عنتر وقال له كيف ترى يا ولد الزنا حالك وعاقبتك وهذا الذي جرى

عليك بسبب تعديك على الفرسان مدى الدهر والازمان فابشر بما
تلقى وما يحل بك قبل القتل من العذاب وما ترى بعينك من الذل
والهوان وحق رافع السما لاقتلنك واقتل عيلة بين يديك واقطع
يديك ورجليك وبعد ذلك يحملك الامير ضامران سيد بني غسان
يصلبك على باب دمشق ويشفي منك القلوب عبدة الصلبان فقال له
عنتر لو اسقيت يا ابن اللئام ما تكلمت بهذا الكلام لانك ذليل
جبان لا تكشف شدة ولا تصلح لنجدة وأما أسرى أنا فانا هو عار لا في
ما أسرت حتى اجتمعت على عساكر الشام وعرب الحجاز وقتلت
منهم أبطال يعجز غيري عن لقاء بعضهم في البراز ومن يكن كل يوم
يطامع في لقاء الشجعان وأصحاب الاقدار ويتكس الاعلام تحت
قساطل الغبار لابد ما يصيبه سهم من سهام الاقدار وبعد ذلك
فما أنا قاطع من الحياة الا ياس مادامت نفسي تتردد في هذه الانفاس
لان الرجل اذا كان له في الدنيا زاد لا تعمل في جسده السيوف
الحداد وان كان لي في الحياة حظ ونصيب فجزاك على يدي
يكون قريب (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس مقالته هاله ذلك وقال
يا ابن الامة ما بقي لك من الهلاك فكاك ولو نزلت اليك الملائكة
من الافلاك ثم تركه ومضى عنه ودام القتال على ذلك الوجه خمسة
أيام الى ان علم الملك قيس أن النوق قد جدبها العطش وسار في الليلة
السادسة في القبائل وأمرها أن تصف النوق صفوفا وتترك رؤسها
الى مقابل رؤس الشعاب وتدع نصلانها كلها قدامها ففعلت ذلك
وما في القبائل من علم ماذا يريد أن يفعل ولا سأله عن ذلك أحد بل
أقاموا ينتظرون الفرج بأي وجه كان فلما كان وقت السحر قال
الملك قيس للعبيد اخرجوا النصلان الى البر قبل القتال وكانت

شيئا كثيرا مثل الرمل اذا سئل لا يقع عليها عدد ولا يحصى لها
عدد الا انها لما خرجت حفت خلفها امهاتها ورفعت بالحنين
اصواتها وكذلك هي عند فقد امهاتها وكانت العبيد تضربها
بالعصى وتخرجها من الوادي فأقلبت الدنيا بالضجيج فركبت
العساكر على حسها وظنوا ان بني عبس خرجت بالاموال تطلب
الامان لان الفصلان قد تتابعت من مضائق الشعاب تطلب رؤس
الاودية والمضاب وهي مثل الايتام لا تدري ما يفعل بها الا ان
الفرسان لما رأتها تتابعت اليها ونهبتها وأمرت العبيد بذبحها هذا
واللقيط بن زرارة يقول لسنان بن أبي حارسة انت على كل حال شيخ
من مشايخ العربان وأقول انك أخبر مني بحلول المصائب والنوائب
فما تقول في خروج بني عبس الفصلان يبن لي هذا الشان وأوضح لي
هذا البرهان فقال لسنان هذا الحال ما يحتاج الى برهان
فان الماء عندنا عدائنا قليل وهم خلق كثير وقد أخرجوا الفصلان
ليردون الماء للناس الذين عندهم والصبيان والصواب انكم من
اليوم تخلون القتال وتحفظون رؤس الجبال حتى يقل عنهم الزاد
كما قل عنهم الماء فقال له اللقيط وقد سره ذلك وحق رافع السماء
لازحفت عليهم الابسائر الجيوش والكبراء ثم انه قال لضامر
يا أمير ما تريد العودة الى بلاد الشام فقال بلى نادي في بني غسان
وقل لهم يركبوا في هذا الصباح حتى نهجم على هذا الشعاب ونقود
المشايخ والشباب ونترك الكل ينقادون قود الكلاب فقال
ضامر هذا وحق المسيح أكبر مرادي ثم انه أمر النقيا فنادت
في العساكر وقد أعلمت سائر العساكر وكذلك فعل اللقيط
ابن زرارة مع بني مشاجع والعرب التي جمعها من سائر المواضع

قال وما أصبح الصباح الا وقد ركبت تلك الخلائق وامتدت في المضائق وازدحمت الدروب واشتدت الكروب حتى كادت الاكباد أن تذوب فعلم الملك قيس بذلك الاتفاق فأنفذ العبيد الذين قد تركهم فرق الشعاب وقال لهم القوا بالكم الى آخر جيوش الاعداء واذا رأيتموهم قد جدوا في طلبنا وخلت منهم البيداء وما بقي لهم في البر أحد ارفعوا العلم الوسطاني حتى نعلم بهذه المعاني ثم انه قد نادى في القبائل وأمر فرسانها وأبطالها أن تقف قدام نياقها وجمالها ثم انه قال لهم واذا رأيتم بوادر الرجال قد ظهرت والى القتال تبادرت فعلموا جميع الذوق والجمال من عقالها واضربوها بالاسنة في أنقابها حتى تقضي الاشغال من غير قتال وتدوس من أعداكم الرقاب وتبعثها تحت أرجلها في الروابي والهضاب وتكون نحن قد بلغنا الآمال وقد سلمنا أنفسنا بالمال واشترينا بها النساء والعيال ولما سمعت فرسان القبائل هذا المقال بأن لهم وجه الخلاص من الحال وقد عرفوا مادبر الملك قيس واشتهر الامر وظهر وصافيهم الامن فرح واستبشر وقالوا لقد صدق هذا الرجل وما خاب من سماه قيس الرأي ثم انهم امتثلوا كلامه ومقاله ووقف كل واحد منهم يحفظ نوقه وجماله هذا وقد لج اللقيط في الطلب وغره فيهم الطمع ثم انه حمل بترسه والحسام وقد تقدم قدام عساكر الشام وهو يبشرهم بالنصر ويحدثهم بالغلبة والقهر وينشد الابطال ويحثها على القتال وهو مع ذلك ينشد ويقول

اليوم أشفي النفس من كل العلل * وأشعل الحرب بأطراف الاسل
واترك الطير بيبت حائما * على أناس سكنوا طرف الجبل

وأزال الهمام البطل الندب لذى * أنازل الموت اذا الموت نزل

(قال الراوى) هذا والملك قيس يدبر الناس ويصف السادات وينفر العبيد حتى انهم يرفعوا العلم الذى أمرهم به فبينما هو كذلك إذ سمع الصياح وقد علا وترعرت الابطال الى الفلا وأبصر العلم وقد رفع والعبيد الذى عنده أظهرت الفرح والشعاب قد اشتدت بالكتائب ولمع السيف فيها من كل جانب والغبار قد حكى ظلمة الغياهب والاسنة تلمع مثل الكواكب هنالك نادى الملك قيس فى الصفوف فحملت نوقها وجمالها وأطلقتها من شدادها واعتقالها ولزغتها بالاسنة فى أكفالها وأجنابها وكان شىء كثير لانها أموال ستة قبائل وقد عطشت خمسة أيام وقد أخرجت فصلانها عنها الى البر والجبال فنشبت على رؤس الرجال وصدمت الاعادى فى أضيق الاماكن ولطشت رؤسها وصدورها وداست الفرسان والخيل وكانت الابطال الذى اجتمعت فى الضروب أبصرت البلا قد أتاها فرجعت بالخيل الى وراءها أنها تطلب الطلوع وكانت العالم مثل البحر الزاخر وما زالوا على مثل ذلك حتى ضرب بعضهم بعض بالسيوف ورموا من أيديهم الرماح من ضيق المكان وضرب الاخ أخاه والاب أباه وذهبت الغرائب والانساب وصكان لهم يوم مشهور وفعاد وا يطلبون النجاة مما شاهدوا واندا سوا قعت أرجل الخيل والجمال وألقوا السيف فى أعناق بعضهم بعض وصارت العساكر تحت أرجل الجمال عبرة لمن اعتبر وكان الذى سلم منهم يقوم مثل السكران الا أنه ما فتح عينه الا ويجد على رأسه فارس من بنى عبس وغطفان فان كان فيه روح أخذوه أسيرا وما تقارب النهار حتى امتلأت الشعاب بالقتلى وفاضت الدماء وما سلم من العرب

ذلك اليوم الا بني فزارة لان سنان بن ابي حارسة أشار على القيط
ان يحاصر بين الجبال ويطاولهم الى أن يقل عنهم الماء والزاد ويبلغ
منهم المراد فخالف مقاله وما سمع ما به عليه أشار وأراد يبلغ من بني
عبس ما يحب ويختار فقال سنان لبني فزارة يا بني عمي قفوا خلفي
ولا تتبعوا القيط في هذه المضائق لان قلبي خائف من هذه الكوبة
وانا اعلم ان بني عبس تغفل عن أنفسها ولا بد ما تعمل مكيدة
لا سيما وعندهم الربيع بن زياد بخبثه ودهاه وشيطنته وقيس بن
زهير وعيارته وما أظنهم أخرجوا الينا الفصلان الا مكر ومحال وربما
انهم دبروا حيلة وتكون عاقبتها وبيلة فاقبلوا مني ولا تدخلوا
الشعاب فقبل بنو فزارة كلامه وأقاموا قدام المضارب والاعلام
فصاروا مما أبصروا من الاهوال التي رأوها فقال سنان لمن معه من
الفرسان من سادات بني فزارة كيف رأيتم مشورتي عليكم فقالوا له
وما الذي تنتظر اطلب بنا الهرب قبل ما تخرج علينا بنو عبس فانهم
ان خرجوا ألحقونا ببني بدر وحذيفة وجل فقال سنان لمن معه من
الفرسان وحق من في غيبه قد احتجب ما بقي ينفعنا الهرب ولا لنا من
يحمينا من قبائل العرب وهذه عواقب البغي والعدوان وهذا دليل
على أنكم من أول الزمان باغيين على عنتر وعلى بني عبس وعدنان
فلما سمع حصن أبي حذيفة هذا المقال بكى وقال كيف التدبير
يا عمارة فقال سنان من هذا كنت فزعان من دخولنا الى هذا
المكان والرأي انا نتبع المنهزمين من بني غسان ونطلب أرض
الشام فقال حصن هذا ما أفعله أبدا ومالنا الا اننا ندخل على
المأثورين ونحملهم من وثاقهم ونطلب من بني عبس وعنتر الزمام فلما
سمع بنو فزارة كلامه رأوه صوابا ثم انهم عطفوا نحو الخيام ونزلوا على

عنتر ومن معه وحلوهم من الشد والاعتقال وطلبوا منهم الزمام والامان فقال عامر بن الطفيل لسنان ابن أبي مارسة ما فعلتها الا عن أمر صعب شديد ولكن ما يخيب قصدك وأنت من جهة بني عبس في أمان فقال عنتر أنا ما أذم لك من بني عبس حتى ترضى عنك ساداتهم لاني أنا عبدهم والعبد ما يذم احد ثم انهم توالبوا على ظهور الخيل وطلبوا باب الشعاب وما سلم في هذه النوبة الا بنو فزارة وقتل اللقيط بن زرارة لانا ذكرنا في ذلك اليوم أنه ترجل في أول العسكر وترجلت معه بنو عمه ودار وا ببني عبس هم وعساكر الشام وكان اللقيط بين يديها ومتقدم عليها وهو فرسان يوقوع عنتر وأراد أن يبين قدام ضامر شجاعته وقوته وبراعته ونذكر ايام سرقة الجواد الابجر وكيف احتال عليه شيبوب وأخذه مع الحجرة سكاب وكيف سبا عنتر امرأة أخيه حاجب وقد ذكرنا هذا الحديث فيما تقدم فترجل وأمل أن ينال من بني عبس غرضا فجاءه القضاء والقدر عليه نزل وهلك هو وثلاثة من اخوته والباقون سلموا لان سنانا عجل بهم في طائفة بني مشاجع قبل خلاص عنتر ورفقته وكانت هذه الوقعة من أعجب ما جرى في ذلك الزمان وكان الذي قتل اللقيط بن زرارة الربيع بن زياد لانه أدركه وقد تار من تحت أرجل الجمال فقتله وأنشد يقول

أفاطم لو سألت الشعب عنا * أجابك وهو منطلق اللسان
بأخبار يشيب الطفل منها * ويهرب وهو مخضوب البنان
طعنا بيران حر الاعادي * يفيض دماء فرسان الطعان
وخلينا اللقيط بها طريحا * كأن عليه حلة أرجواني
شككت جنابه لما تولى * بسيف مثقف ماضي السناني

وخرجت بنو عبس من الطبال وهي تطعن في صدور الرجال وقلوبهم مشتغلة بمن لهم في الاسر والاعتقال لانهم ما يعلمون كيف حالهم وما جرى عليهم وما زالوا وقوفا حتى انهم التقوا بعنتر ووقعت العين على العين وأبصر بنو عامر ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وأخبروا الناس بأنهم سالمين ففرحوا بذلك وهنوهم بالسلامة وكذلك فعلت بنو عبس بعنتر ومقرى الوحش وأما بنى فزارة ترجلوا ورموا سلاحهم وتقدم سنان وحصن بن أبى حذيفة وجماعة من المشايخ وقصدوا الملك قيس وهم رجاله واعتذروا اليه من فعالهم وقالوا ايها الملك انا ندمنا على ما فعلنا ونريد ان نصفى لبعضنا ونرجع الى أوطاننا ونجعل مقابل خطأنا ما تطلب وتريد فالملك قادر على هلاكنا وفنائنا واهدم حصوننا وقبل ركاب الملك قيس وسأله العفو والبقاء فاستحى الملك قيس من الطوائف التى حواليه وأعطى لبنى فزارة الذمام ورحلوا بعد ذلك يطلبون الديار وقد ملأت سائر الاقطار وفى اليوم الثالث رحلت بنو عبس تطلب الديار والاوطان وركبت سادات بنى عامر وغطفان وساروا لوداعهم يوما كاملا وعامر بن الطفيل تأسف على فراق عنتر بن شداد ويقول يا أبا الفوارس لولا ما يشق عليك لكنت حلفت انى ما أفارقك فشكره عنتر وقال له يا عامر ان كنا تباعدنا عن العيون فالحب فى القلب مسكون فلما سمع عامر كلام الامير عنتر حمده وشكره وبعد ذلك ودع بعضهم بعضا وساروا يطلبون أوطانهم بعد ان عانق عنتر العامر بن الطفيل وأنشد يقول

اذا ودعتنى أودعت قلبى ✽ غراما لا يزول الى الممات
ولو انى أكون بحكم روحى ✽ لما فارقت مثلك فى حياتى

ولكني لعبلة عبد رق * فلو خافت لفتها كسرت قناتي

فلما سمع عامر بن الطفيل ما قاله عنتر بن شداد عذره وعاد مع قومه وبعد ذلك رجع عنتر مع مقرى الوحش وعروة بن الورد وهو مسرور القلب والفؤاد بما قد وصل اليه من نيل المراد وهلاك الاعداء والحساد وهو يمشي قدام العساكر ويفتخر على ظهر حصانه وهو يذكر ما جرى لهم من الوقائع فأنشد يقول

فؤادي قد برته يد الهيام * وعيني دمعها في الخد دامي

على زمن تقضا في انتصاب * وعين الدهر تكحل بالمدامي

بكل غريدة خود رداخ * كان جبينها بدر التمامي

بقد كالقضيب وحسن طرف * والحاظ أحد من الحسامي

والحاظ تحاكي الشهد فيها * وقد مزجت حقيقا بالمدامي

وقالي قاطر والدهر صاف * لنا والعيش حظ واغتنامي

وأيام الشبوبة والتصابي * لذيذات كما بين الخزامي

ولو أعلم بما في الغيب مقضى * ومنهم حكم جاري في الانامي

الا يا عبلة لو أبصرتي قد * جرى لي عند معترك الزحامي

وخيل الشام قد دفعت ورارت * على وقد أتتني الصدامي

وجالت مثل بحر وهو طامي * ومالت مثل غيث من غمامي

ولم أشعر بروحي اذ رمتني * أسيرا قمت قساطيل الاثامي

وانطبقت على الارض حتى * اني قد شربت من الحمامي

وقد أطلقت من قيد وثيق * ولم أحفل بآل بني اللئامي

سلي عني كلابا مع عمير * وعامر يوم كربي وافتحامي

سلي يا عبلة عني آل بدر * وقد أروبت من دمهم حسامي

وكيف تركتهم في القفر صرعى * كأعجاز النخيل مع الصدامي

تنوشهم السباع بكل باب * عرايا بين أطناب الخيامى
وانى فارس أسد هدور * كريم الجسة من أولادحامى
ولم أحفل بأهل الارض جمعا * وحق الركن والبيت الحرامى
عليك سلام الله من بطل كريم * بطول الدهر ما هتف الحمامى

فغاب فرسان بنى عبس السامعون وشكره جميع الحاضرين وسار عنتر مع قومه بنى عبس وعن شماله عروة بن الورد وعن يمينه مقرى الوحش وهو يقول لهم يا عمى نحن سائرين الى الاوطان وما فى قلبى طيب بمجاورة بنى فزارة وسنان بن أبى حارسة لانى أعلم أنه لايجىء من مجاورتهم خير وشرهم كثير فقال عروة بن الورد يا ابن العم دعنى من بنى فزارة وغيرهم وعاونى على أمر قد وقعت فيه ورزية قد طرقتنى على غفلة وما لقيت أحدا يعمل لى منها خلاصا فلا تستقل عقلى فى هذا الامر لو قدرت على حمله ما استعنت بك عليه ولا كفانى من الامر ما كتمت وتمنيت القتل حتى لا أبوح به لاحد فما هو سهل فقال عنتر وقد قامت عيناه فى أم رأسه ويلك يا أبا الابيض وما الامر الذى تريد القتل دونه والهلاك أخبرنى به حتى أعرفه أما علمت أن الانسان اذا كتم مرضه يكون على مخاطرة من أمره فقال عروة وقد تحسر من قلب مجروح وهطلت من أجفانه الدموع لما كنا فى ديارنا قبل قتل بنى فزارة وقبل دخولنا بلاد اليمن ويجرى هذا الامر الذى قد جرى علينا والمحن فكانت أختى سلمى قد أتت الى زائرة من بنى غطفان وكانت تقيم عندى أياما وتعود الى زوجها وكلما أتت ورأتنى خاليا أشارت على بالزواج وتقول لى يا أخى ان فى جوارنا جوارية يقال لها ليس بنت همام الغطفانى ما خلق مثلها فى هذا الزمان فكأن الصباح يطلع من غرتها والليل يطلع من سواد شعرها

والورد

والورد يقتطف من وجنتها والشهد من ثناياها ونكهتها وأشتهى أن تكون زوجتك فأنعم لى بالاجابة وقبولها حتى أخطبها لك من أبيها وأعينك بجميع ما أملك من المهر والصداق وأدعك تتهنأ بها حينا من الدهر لان النظر لوجهها يجلى ظلمة البصر والذى يضاجعها يفوز بالفوز والظفر يا أبا الفوارس اذا سمعت كلامها التفت اليها ولا يميل قلبى اليها وأقول لها يا أم حسان نقل الجفان الى الضيفان وغاثة الملهوف على جور الزمان أحب الى من مضاجعة النسوان ولاجل هذا كانت العرب تسميه عروة الصعاليك لانه كان كلما يكسبه فى القتال والمال والعيال ينفقه على اليتامى والارامل والصعاليك وانه قال لعنتر فى آخر شكواه يا أبا الفوارس وما زلت على مثل ذلك حتى اجتمعنا نحن وبنو غطفان فى هذه النوبة فى شعاب جبلة وجرى من القصة ما قد عرفت وكان أكثر مقامى عند أختى سلمى فى بنى غطفان وفى بعض الايام رأيت ليس خارجا من بيت أمها داخلة الى بيت عمها فارتجف فؤادى وغاب رشادى فهمت ناظرى وحار خاطرى وأبصرت صورة غريبة الكمال والجمال زائدة الحسن والدلال قد خلقت فى وقت سعيد وأعطيت من الملاحة أوفى نصيب فقلت لاختى يا أم حسان من هذه الجارية من بنى غطفان فوالله لقد أعجم لسانى لبعض صفاتها وأصابت فؤادى بينهم بسهم جفنيها عند التفاتها وسلبت عقلى مع قلة رغبتى فى النساء ولحسن ذاتها لا أجد عنها صبرا ولا سلوا يا أختاه وقد تيممت هذه ليست ابنة همام بدر التمام وبديعة الايام التى كنت اشتهيتها لك زوجة وأنت لم تلتفت الى ولا تعنى بكلامى فقالت يا سلمى ما علمت أنها بهذه الصفة وأريد منك أن تحدثى مع أمها بسببها حتى تكشف هذه الشدة

وأخطبها فقالت يا عروة ما بقي لك الى هذا سبيل ولا بقي لأحد في هذه الجورية مطمع لان القوم قد زوجوها برجل جليل القدر عظيم الامر وقد عاهده أبوها على ذلك وقد غدا يأتي بمهرها ويأخذها فلما سمعت ذلك يا بن العم زادني لوسواس والهم وقلت يا سلمى ويلك ومن زوجها من سادات العرب وكم حمل اليها من المهر من الفضة والذهب فقالت أما المهر فما سألت عنه ولكن سألت عن الرجل فقالوا هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي وأبصرتها فرحانة وتصفه بالحسن والجمال وكثرت الخيل والمال والنوق والجمال وقالت انه حج الى بيت الله الحرام وشهدت له فرسان العرب بأنه أشجعها وأحسنها وأدفاها نسب وذكرت في آخر حديثها أنهم ينتظرون أن يأتيهم بالمهر وقد انقطع خبره ولولا ذلك ما كانوا أتوا معها وانصرفوا في هذه الشعاب بل كانوا أنفذوا خلفه وتركوه يرد عنهم عساكر الشام من بني غسان ولا يتركها بعيدة عن الاوطان فلما سمعت هذا الحديث يا أبا الفوارس طار فؤادي وجفاني رقادي وأردت أخبرك بهذا السبب فوقفني في هذا الامر واشرفنا على الهلاك وقلت في نفسي ها قد أتاني ما أشغلني عن جميع الاشياء وأنا أعلم انه ما بقي يسلم منا أحد والصواب اني لا أحل ابن عمي هم آخر لانه يكفيه ما هو فيه والآن قد من الله علينا بالاطلاق وأنا ما أثرى قصتي خالف من هذا الامر سكران من غير شراب خمر ولولم أكن قد عجزت عن حمل الاثقال ما شكوت اليك حالي (قال الراوي) فلما سمع عنتر حديث عروة تعجب منه وعذره في شكواه وقال يا أبا الابيض وما الذي أوصل هذه الجارية الى بني زبيد وكيف تزوج بها هذا الرجل العنيد وما سألت أخته لك عن هذا الامر فقال عروة يا أبا الفوارس سألتها

فقالت

فقالت لي يا عروة أمها من بني مراد وكانت سارت الى زيارة وابنتها هذه معها وأقامت عندهم أياما وكانت كبشة أخت عمرو في بني مراد لان القوم جيران في أرض واحدة وانها لما أبصرت ليس ووصفتها الى أخيها عمرو أتى اليهم وخطبها من أبيها وبذل له مالا جزيلا فأعطاها اياه وعاهده على ان القوم ما زوجوا ابنتهم حتى أمرتهم أنا بتزويجها وانا قد عرضتها عليك مرجين كان لها من العمر تسع سنين الى الآن وما سألت عنها مع أن أهلها قد اعتمدوا على قولي وتركوا معولهم علي وكنت اذا أتيتك زائرة وصفتها لك فأرى منك نتهاور والفتور والنية الباردة فأعود بقلب مكسور وأكتم ذلك وأقول لام الجارية انهضوا أنتم وأتموا أمرها وكنت أرجو بذلك ان ترجع وتقبل قولي وما زال الحال على مثل ذلك حتى وقع بينكم وبين بني فزارة الوقعة الكبيرة وقتلتم حذيفة وأخوه حمل على أعدائه الهبا وغضب عليكم الملك النعمان ودخلتم بلاد اليمن وعلمت أنا بذلك فقلت في نفسي لا قطعت رزق هذه الجويرية ولا كسرت بختها ثم اجتمعت بأمها وقلت لها يا أم ليس جزاك الله عني كل خير لانك قد فعلت ما يعجز عنه غيرك من حفظ الذمام وحرمة الجوار والآن فقد جاء الامر بما لم يكن في الحساب لان أخي قد دخل مع بني عبس الى بلاد اليمن ولا أدري يرجع أم لا وما هو من المروءة ان تترك البنت بلا زوج فزوجيها من اليوم لمن شئت وديري ما هو بيتي فوالله يا أخي لقد شق عليها كلامي وأقامت على ذلك برهة من الزمان حتى اتفق لها هذا الانفاق وزارت أهلها وزوجتها العمرو بن معدي كرب الزبيدي وجرى من القصة ما جرى فعدت أنا الى بني عطفان فرأيت أمها فرحانة وقالت يا سلمى تدعوض الله لابنتي مثل أخيك وأوفى

ومدفع بنا رب السماء فقلت الحمد لله الذى وقع لا بقتل رجل قوى وما على ملام فقال عنتر وقد عرف القصة على حقيقتها لقد سعى عمرو لنصر أجله وقد مشى فى انقطاع أمله والصواب انك تكتم سرك وتخفى أمرك وتوهى أختك تنفذ تعلم ذا جاء وقت الزواج ووصل عمرو الى بنى غطفان وزفوا الجارية عليه حتى تمكن له فى الطريق وتأخذها منه غصبا ولا لا منا أحد فى ذلك تقول نحن أحق بابنة عمنا وقد جرى بيننا وبين بنى زبيد وقائع من أيام خالد بن محارب وابنة عمها الجيد أوفق من ان تخاطب أباها فى ذلك وتطلبها منه لانه ربما يقول أنا مسكت ابنتى لعروة وأعرضتها عليه مرارا وهو يتمنعها ولما وقع لها من يستره اعار يطلب هنكها وتقع الفتنة بيننا وبينهم ولا ننال غرضا ولا سيما ان كان هذا الرجل راغبا فى بنى زبيد كما ذكرت وهذا الامر نحن فى غنا عنه ولا بد ان نبعث برشيا تبلغ منه المنى فقال عروة لقد صدقت يا أبا الفوارس لا عدمتك اصدقاك ولا برحت سيوفك فى رقاب أعدائك ثم سارا الى الديار وقد تواطأ مرهم على ذلك المعيار وأوصى عروة أخته سلمى وكذلك أوصى عنتر أخته مروة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عمرو بن معدى كرب الزبيدى الذى تزوج هذه الجارية الغطفانية فى تلك الزمان فارسا لا يخاف الجبابرة من الفرسان وتبطل عند قتاله حيل الانسان وكان من الشجعان قد كمل ومن الفصاحة والبراعة والكرم والملاحة وكان معشوقا فى بنى زبيد كثيرا لكرم والاحسان ولكن فى صباه قد زاد به الهم فى أكل الزاد وكانت العرب تسميه أولق بنى زبيد والمألوف فى كلام العرب المجنون وقد ذكر فى أشعار بعضهم حيث يقول

أسد حزامى فوق ظهر مضمر ✱ كأن به من شدة السير أولقا

يعني جنونا وكان أبوه كلما رأى نفسه مهيئة يزيده هوانا ويلبسه الصوف ويستخدمه كما يستخدم العبيد والغلمان ويطلب بذلك ان ينتهي عن ماهو فيه وينتفي لروحه وهو لا يعرف ما يراه منه وما يطلب الاشياء لا يبرح يشتكي الجوع (قال الراوي) وبلغني انه كان لا يشبع الا اذا عمل أبوه وليمة أو نزل به قوم يعزون عليه وكان يأكل في ذلك اليوم ناقة ويشرب زق خمر ويطلب بذلك استظهار الايام أن تأتيه ومع هذه الشهوة كان عظيم الخلقة كبير البطن طويلا واسع المناكب هائل الاكتاف والجوانب وكانت أصابعه تزيد عن الفتر وراحته أوسع من الشبر مكحول الطرف لطيف الشمائل وكان كلما أرسله أبوه في رعي الاموال وأبعده في البر يتعلق بركوب الخيل ويتعلم عليها الكر والفر ومازال على ذلك حتى وصل الخبر الى قومه ان الاشعب بن ضمرة الكندي قد عول على غزوكم وقلع آثاركم وأخذ الخراج منكم والمداد (قال الراوي) وكان هذا الاشعث ملكا من ملوك الزمان كثير القبائل والاعوان والاجناد والفرسان وله منازل مقيمة بأرضه كلها تحمل اليه الاموال والانعام على ممر الشهور والاعوام ولما قوي وكثرت جنوده أخذ الخراج وبسط يده في الظلم وكانت قبائل العرب تفزع منه وأما بنو زبيد فانها لما طلبها رد وارسوله غائبا مذلول الشارب فاشتد به الغيظ فسار اليهم في جيش عظيم ولما علم بنو زبيد بمسيره اليهم اتفقوا على لقائه وركب الجميع وساروا حتى أبعدوا عن الاحياء على ثلاث فراسخ فالتقوا بالاشعث ووقع بينهم القتال فخسر بنو زبيد ورأوا عين الهلاك من كثرة العدد وتزايد المدد فخافوا على أنفسهم وعادوا الى الخيام والمضارب وكانت عودتهم

فى الليل عند ستور الغياهب وعند الصباح داسهم الاشعث
بكتائبه والمواكب وضيق عليهم الطرق والمذاهب وسدت
عساكر المشارق والمغارب ودارت عليهم من كل جانب ودخلهم
الطمع وبرق الحديد ولمع وطلع الغبار وارتفع وبكت النسوان من
شدة الفزع وتجرعت الابطال كاسات الموت جرع وأبصر عمرو
أخته كبشة وقد نشرت الذوائب ووجد نساء الحى وهن صارخات
على أبواب المضارب فقال لامه يا أماه واحسرتاه لو كنت شبعان من
الطعام لكنت أفعل فعلا بهؤلاء الاثام وأضرب أعدائى برمحى
والحسام فقالت أخته لا أشبع الله لك أحشاء ولا أروى لك ظمأ
لانك ما تبرح تأكل وتشتكى الجوع ابعد عنا أبعدك الله ولا
أشبعك لان عندنا شغلا شاغلا عنك وعن غيرك فقالت امه ويلك
دعى ولدى يا كبشة ما الذى تريدين منه يا لخنا ما كفانا هذا العار
والفضيحة بأن أموالنا قد صارا كثرها فى يد الاعداء وولدنا ما يشبع
منها نم وعيت لدنا قة وحكمته فى كل خبز كان فى البيت واشتغلوا
عنه بما هم فيه وتسلم عمرو الناقة وذبحها وأضرم النار على بعض
الجبال وصار يشوى ويأكل ويتفرج على القتال وما أقبل عليه
الظلام الا وجدوه لم يترك منها غير العظام وعند المساء رجعت بنو
زبيد وأكثرهم جرحى بعد ما قتل منهم فى ذلك اليوم خلق كثير وجمع
غزير وباتوا يحرسون أنفسهم حتى أصبح الصباح واتصل الطعن
بالرماح وقلعت الارواح من الاشباح وبيعت الانفس بيع السماح
وندموا كيف ما بعثوا الاشعث عدادا وأيقنوا بسبى النساء
والاولاد وكان عمرو على الجبل المقدم ذكره منبطح على وجهه وقد
أصبح شبعان ريان فطلبت نفسه القتال والطعان وضربت فيه

فخرة العرب لما سمع بكاء النسوان وهانت عليه المنيه وقلت
في عينيه الآلاف والميه ولم يهوله كثرة الفرسان وبدل الله قلبه
من مكان الى مكان وغيره من حال الى حال وأنفذ فيه مشيئته التي
جعلته من أهل السعادة وأنفذ فيه حكمه وارادته حتى يحظى قدام
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالشهادة فيكون من المختارين الذين
قدمدحهم الله في الدارين فنزل من على الرابية وهو يقول في نفسه
لابد لي من مقاتلة هذه العساكر وأترك الاول لايلحق الآخر ثم انه
هم ان يركب بعض الجنائب ويطلب من أبيه عدته واذا بأبيه معدي
كرب قد أقبل منهزما ومعه بعض رفقائه وهو يكد الجواد ويلتفت
الى ورائه فتقدم عمرو وقد ساواه بقامته وهو راكب فتعلق بأزياقه
وجذب رجله من على ظهر الجواد وركب مكانه وقال له أعطني
عدتك وامض أنت الى النسوان لانك قد كبرت وما يصلح لك مقام
الفرسان فتعجب أبوه من فعاله لانه ما كان له بهذا سابقه فناوله
السيف والرمح وقد تمناهلاكه حتى لايكون له ولد جبان هذا وعمرو
قد مال على الشجعان والاقران وكانوا دخلوا بين البيوت وبدؤا
في نهب الاموال وسبي العيال ومازال يطعن في صدور الرجال
ويضرب في أعناق الابطال ويصيح في وجوه الاعداء حتى أخرجهم
الى ساحة البيداء وكان صوته عاليا مزعجا فسموه أبا ثور وعرفه
القريب والبعيد وقالوا بعضهم بعض ما قصر أبو ثور الا أولق لان
طعناته كلها صائبة لاتخطئ الا نحر ورأس فاحملوا بنا الى معونته
لعل الله يكون جعل له سعادة ليبلغ بها الارب ثم حملوا بين الخيام
بالرمح والحسام وعمرو يثير الموا كب تحت الاقدام ويطلب الزايات
والاعلام وقد قويت قلوبهم بمجيئه لانهم ما أوامن تراثر

طعناته وكان أبوه قد وصل الى أبياته وهو راجل خال من السلاح فسألته زوجته عن حاله فأخبرها بما فعل عمرو به عند عودته وأخبرها انه فرق العساكر من الاعداء بحملاته فخافت عليه ولامت اباه كيف مارده عن جهله فقال أبوه ما كان له معقول يسمع به ما أقول ولقد رأيت له وجها اوحش من وجه الغول وهو يرمهم بكلام لا يقع له الانسان على محصول ولو لم أسلم اليه الجواد والعدة لكنت أمسيت مقتول ومابقى فى قلبى حسرة الا أن يكون جائعا فندمت كيف انى أهنته ولم أحفظ قدره فقالت زوجته أما جوعه فلا تحمل همه فانا أمس وهبت له ناقة فأكلها فقال ويلك لم اعلمينى حتى كنت أطعمه ناقتين ليكون أشد على الاعداء

تم الجزء الثانى عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد فى أوائل شهر ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين ومائتين بعد الالف